سليماني
منا أهل العراق

بقلم
أبي لواء البهادلي

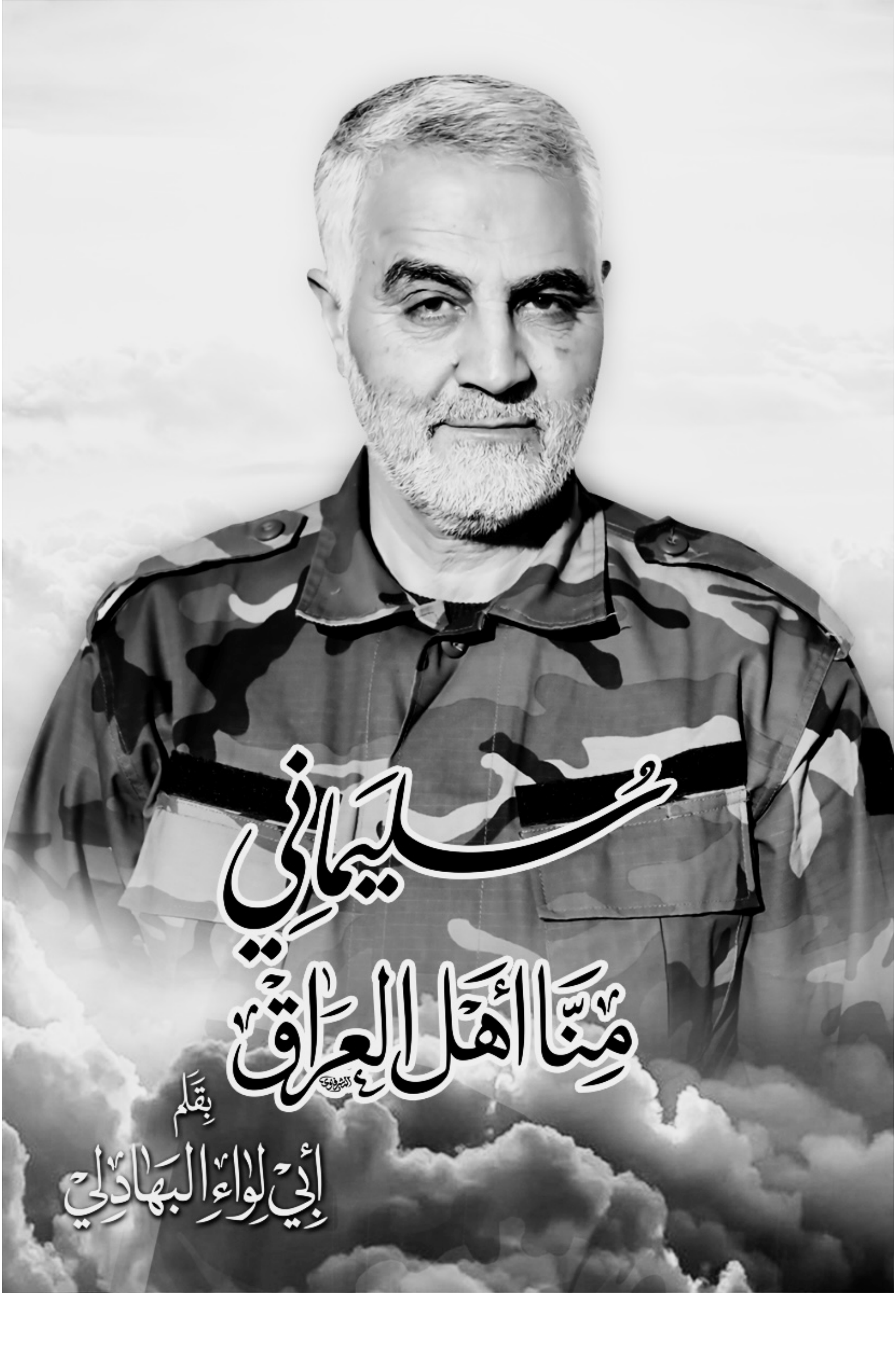
سليماني
مِنَّا أهل العراق
بقلم
أبي لواءِ البهادلي

اسم الكتاب: .... سليماني منا أهل العراق

المؤلف: .... أبو لواء البهادلي (عماد سالم)

سنة الطبع: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

القياس: .... ١٤,٨×٢١

عدد النسخ: .... ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... الرائد

تيليغرام: .... @Alnour313

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣١٠٨) لسنة ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء...

- إلى بقيّة الله في الأرض، صاحب الثأر، ناصر المستضعفين، الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.
- أم المصائب الحوراء زينب عليها السلام التي فقدت مَن وقف في باب مرقدها وقال لها ـ أمام العالم كلّه ـ: «نحن عبّاسكِ يا زينب»، وكان كما قال، فبقي مرقدها شامخاً بفضل الله وقيادته.
- صاحب الفتوى العظيمة التي حفظت لنا العراق وشعبه، سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف).
- سماحة آية الله العظمى السيّد القائد علي الخامنئي (حفظه الله)، صاحب السلاح والذخيرة التي أُرسلت إلى العراق وكان لسلاحه الدور الكبير في المعركة.

- عائلة الشهيد القائد الحاجّ قاسم سليماني، الذين صبروا على فراق والدهم لسنوات عديدة، وهو يدافع عن المستضعفين في العالم، ثمّ صبروا على ألم رحيله شهيداً، في سبيل الحفاظ على الإسلام المحمّدي الأصيل.
- عائلة الشهيد القائد الحاجّ الحبيب أبي مهدي المهندس، يمين الحاجّ قاسم ورفيقه في الدنيا والآخرة.
- شهداء المقاومة الإسلامية الذين استشهدوا تحت راية وقيادة الحاجّ قاسم سليماني.
- الشعوب المستضعفة التي فقدت ناصرها.

أقدّم لكم جميعاً كتابي هذا الذي أراه صغيراً من حيث الجهد وكبيراً من حيث المحتوى إن شاء الله.

أبو لواء البهادلي

(عماد سالم)

رسالةٌ وعِبرَة [1]:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنت الأخ أبو لواء البهادلي؟

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حياكم الله، نعم أنا أبو لواء البهادلي، تفضّلوا.

- لا أعرف ماذا أقول لك، لكنّي لم أجد أحداً سواك أتكلّم معه بهذا الأمر، أخي العزيز! أنا زهراء عمري ١٥ سنة من محافظة الناصرية، لم أكن أعرف الشهيد أبو مهدي المهندس ولا الشهيد قاسم سليماني، لم أكن أعرف أحداً لكنّي كنت أحب الحشد الشعبي، وقبل استشهاد القادة كنت في عمر ١٣ سنة، وكان لديَّ بعض الأصدقاء في اليوتيوب، وكانوا من

(١) وصلتني هذه الرسالة عبر تطبيق التكَلرام، ونقلتها كما هي. المؤلّف.

محبّين صدام حسين، وأنا لم أكن أعرفه، لكنَّهم قالو لي الكثير من الأشياء الجيدة عنه حتى أصبحت أحبّه بشدة، إلاّ إني كنت أخفي هذا الحب في داخلي، لكنّهم في نفس الوقت الذي عرّفوني على صدام وجعلوني أحبّه جعلوني أكره الشهيدين والمرجعية وبشدّة، وكانوا يقولون: إنَّ الشهيد أبو مهدي يسرق العراق ويدمّره بمساعدة الشهيد قاسم سليماني؛ ولأني لم أكن أعرفهم صدّقت كلام هؤلاء الأشخاص، وكانوا دائماً ينصحوني بمتابعة أحمد البشير، وعندما تابعتُه وكان له بعض الفيديوهات التي تتكلّم وتستهزأ بالشهيد أبو مهدي المهندس كنت أضحك وأقبل كلامه، وعندما استشهد وجدت كلَّ أهلي يبكون وحزينين عليه، حتى إنَّهم بوقتها كانوا يتكلّمون عن فضله؛ ولخوفي منهم لم أصارحهم إنّي لا أحبّه، ولكن صارحت هؤلاء الأشخاص، وكانوا يشجّعوني على هذا الشيء، بل وجعلوني أنشر الفيديوهات التي تستهزأ بالشهيدين في يوم استشهادهما، وكنت وقتها سعيدة ولا أعلم السبب؟

لكن بعد مدّة حدث شيء جعلني أتغيّر واترك كلّ شيء، وأمشي في هذا الطريق، وهو طريق مولاي صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف الذي لم أكن أعرفه أيضاً، ورأيت الذين يسيرون في هذا الطريق وهم أصحابي يحبّون الشهدين وبقوّة، ويكرهون صدام وأنا أيضاً فعلت نفس الشي، لكنّي لم أكن مثلهم ومثل حبّهم للشهدين، إلاّ إني كنت أقول: إني أحبّهم وفي هذه الفترة كنت أبحث عن كتب تتكلّم عن الشهداء حتى أقرأها، فوجدت كتابك (جمال الشهداء) وأحببت أن أقرأه، لكنّي بعد إن قرأته لم أعد أقدر على فعل شيء، فقد تغيّرت نظرتي للشهدين كليّاً، وأصبحت عاشقة لهما، وكلّما ذُكرا بكيت عليهما، أراهما في كلّ مكان وأشعر بهما وخاصة الشهيد أبو مهدي المهندس، حتى عندما أصلّي أشعر بوجودهم قربي، وكلّما أغمضت عيني يأتي على بالي موقف من المواقف التي ذُكرت بالكتاب أشعر بالندم والألم، هناك نار تشتعل في

صدري ولا أعرف ماذا أفعل، كنت قد رأيت الشهيدين في المنام قبل أشهر لكنّي لم أهتم؛ لأنّي لم أكن اعرفهم جيداً، أمّا الآن فأنا أريد رؤيتهم.

✡ ✡ ✡

شكرٌ وتقديرٌ

عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنَّه قال: «**مَن لم يَشكُر المُنعمَ من المخلوقين لم يَشكُر اللَّه عزَّ وجلَّ**». عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٧، ح٢.

انطلاقاً من هذه الرواية الشريفة، يلزمني أن أتقدّم بالشكر الجزيل والتقدير الوفير لكلّ مَن قدّم لي خطوةً في سبيل إتمامي لكتابي هذا ولغيره من كتبي السابقة واللاحقة إن شاء الله تعالى؛ لأنّي على يقين أنَّه لو لم تتظافر هذه الجهود المباركة، لما تسنّى لي أن أقدّم ما أُقدّمه اليوم من كتابات في خدمة الشهداء الأبرار الأخيار، فجزى الله الجميع خيراً، وأخصّ بالذكر منهم:

١- الحاجّ المجاهد اللواء الركن حسين فالح (أبو زينب اللامي) مدير أمن الحشد الشعبي؛ لدعمه المادّي لطباعة الكتاب.

٢- الحاجّ المجاهد مهنّد العقابي، مدير مديرية الإعلام في هيئة الحشد الشعبي، هذا الرجل الذي قدَّم لي ما قدَّم من أجل خدمة الشهداء، وهو الداعم الأوّل للكتابة عن الشهداء، ويقيناً لو لم يقدّم لي ما قدّمه لم أستطع أن أمضي بمشروع الكتابة عن الشهداء.

٣- الأخ والصديق العزيز، الحاجّ المجاهد أبو عقيل الكاظمي، هذا الرجل الطيّب والخلوق، حيث وقف معي خطوة بخطوة، وسخّر لي ما أحتاجه من سكن ونقل أثناء كتابتي عن الشهداء ومتابعة مواقفهم مع رفاقهم، كذلك هو المدقّق للمرحلة الأولى من الكتابة.

٤- الحاجّة بان الخزعلي، هذا الأُمّ الموفَّقة دائماً بخدمتها للشهداء، التي وقع على عاتقها الجهد الأكبر من حيث الاستماع لجميع التسجيلات التي أجريتُها حول الشهيد المراد الكتابة عنه، ثم كتابتها لي حتى

يتسنى لي قراءتها، ثم كتابتها بطريقة السرد القصصي لما يناسب ذوق القارئ.

وكنت عندما أتأخّر عنها في إرسال التسجيلات كانت تقول لي: لم أُوَفَّق اليوم للكتابة عن الشهداء.

٥- زوجتي العزيزة أم ريحانة، هذه الزوجة المجاهدة التي تشاطرني جهدي من حيث الصبر على غيابي عن البيت لأيام عديدة وتحمّلها العبء الكبير في تربية الأطفال والاهتمام بهم، وحين أكون في مكتبي داخل الدار كانت توفّر لي كلَّ أجواء الهدوء من أجل أن أكتب؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ الكتابة تحتاج إلى جو يسوده الهدوء تماماً.

أسأل الله لكم جميعاً التوفيق في الدنيا والآخرة.

✡ ✡ ✡

كلمة مدير أمن الحشد الشعبي

لـم أشـاهد الحسـين عليه السلام ولا أصـحابه الميـامين ولـم أكـن أو واحدٌ من آبائي يوم عاشـوراء فـي الطـف سـنة ٦١ هــ لكنـي شاهدت هذا المقدام الذي أصابه صدام بعجزٍ تجاوزت نسـبته الـ ٦٠٪ بالسـلاح الكيميـاوي، وذهبـت تلـك الحـرب بشـبابه، وشاب رأسه على الفداء، هذا الإنسيُّ المهول تواضعاً وشموخاً وقوةً وعطفاً هو من عرَّفني علـى الحسـين عليه السلام وأصـحابه عليهم السلام واقعاً لا الروايات، كان جسده النحيل وسياق الخدمة الوظيفية يدعوانه للهدوء والاستقرار فـي بيتـه، وعنـدما يـأتي عاشـوراء يقيم مأتمه للحسين عليه السلام وتنتهي القصة، هذا هو الشيعيُّ الـذي لم تقلقه جلجلة معسكر ابن زياد الأمريكي ولا خيانة أعـراب معسكر مسلم بن عقيل فيه، كانت عاشوراؤه معركةً مسـتمرة، وكان ماء الحرية هو هدفـه الأسـمى الـذي يريـد إيصـاله إلـى خيام الإنسانية؛ لينقذهم من حصار العبودية على يد ابـن زيـاد الأمريكـي، هـذا الـذي سـقى عُطاشـى الكرامـة وشـفى غليـل المحاصرين في صحراء الشرق الأوسط الجديد، كان يجـوب

الخيام من اليمن إلى البوسنة، همّاماً غير مبالٍ بحتفه، حتّى وصل إلى مطار بغداد فكمن له زنيم من وراء طائرة مسيّرة وضربه على كفّيه فقطعهما، فكان نداء كلّ حُرٍّ: « وا غربتنا بعدك».

حسين فالح اللامي

مدير مديريّة الأمن والانضباط

في هيئة الحشد الشعبي.

٥ /٤ /٢٠٢٢م

كلمة مدير الإعلام العام في هيئة الحشد الشعبي

«أنا عراقي وأُحبُّ العراقَ أكثرُ من العراقيين.. العراقُ بلدٌ عظيمٌ وشعبٌ شجاعٌ من المؤسفِ إنَ بعضَ قادتهِ مِنَ اللصوص، هذا الشعبُ وهذا البلدُ يَستحقُ الأفضلَ» هاتان العبارتان طَرَقتْ مسامعي ثلاثَ مراتٍ بشكلٍ مباشرٍ عن لسانِ قائِدِنا ـ كما كانَ يحلو للأبِ المهندسِ أن يُسمّيه ـ الشهيد قاسم سليماني في أوقاتٍ وأماكنَ مختلفة مع أشخاصٍ مختلفين، كانَ يُردّدُها وعلاماتِ الألمِ تعلو وجهه!!

قاسم سليماني والعراق، قصةٌ لم تكنْ بدايتُها اجتياح داعش للمدن العراقية ومجيئ ُهذا القائدُ الإسلامي للذودِ بنفسهِ مع رفاقهِ للدفاعِ عن أرضِ المقدّساتِ بعدَ أن خَذَلَنا العربُ والعالمُ وحتى بعض الشركاءِ في هذا البلد، بل إنَّها قصةٌ تمتدُ لأكثر مِن ذلكَ بكثيرٍ؛ إذ شاركَ هذا الرجلُ في مجالاتٍ عدّة وبشكلٍ سريٍ لكنَ وجودُهُ الأساسي والعلني بعد الانهيار الذي حدثَ في ٢٠١٤م هو الذي جعلَ من اسمهِ يَظهرُ للعلنِ

ويُخلدُ في التأريخِ بأنَّهُ ساهمَ في التصدّي للإرهاب العالمي وأنقذَ العراقَ من مصيرٍ كارثي.

جاء مالكُ الأشتر ـ وهو أحدُ الألقابِ المشهورةِ للشهيد ـ منذُ الأيامِ الأولى لسقوطِ المدن وبقيَ حتى ذهاب دولة الإرهاب، ودفعَ في النهايةِ الثمن بأن تقطَّعَ جسدهُ أشلاء على يدّ عدوه الأوّل أميركا وإسرائيل، ذهب بمعيّةِ شبيههِ في الخلقِ والخُلقِ والمنطقِ والحكمةِ الأب الشهيد أبي مهدي المهندس.

عندما تتحدّثُ عن شخصٍ بمثابةِ جبلٍ شامخٍ يُدعى سليماني فإنَّكَ قد تتيهُ من أينَ تبدأ، بل أوّل ما يخطرُ في بالكَ أن تفهمَ كلماتك إنَّها نوع من أنواع المُغالاة في هذا الرجلِ الذي لم نرَ منه إلاّ المثالية في كلّ شيء، لكن دعوني أتحدّث عن تجربةٍ واحدةٍ مع قائدنا.

كنتُ مولعاً بمراقبةِ الأشخاص المهمّين وتحليل شخصياتهم، ومن خلال ملازمتي المستمرة مع الأب المهندس وخلال سنين ما قبلَ حربِ داعش ظننت لوهلةٍ أن ليس هنالك إنسان

يعيشُ مع الناسِ أفضلَ من الشهيد المهندس.. وجاءَ هذا الانطباعُ خلال تعاملي مع العديدِ من الشخصيات والمؤسسات، سواء كانت مؤسسات عقائدية دينية أم غيرها، لم أجدْ شبيهاً للمهندسِ في كلّ شيء وتأثّرتُ به جداً، ودائماً ما أُردد: ليس هناك أفضل من هذا أي: أبو مهدي المهندس، وهذا الرأي كنتُ أُجاهر به أمامَ الجميع، الصديق والعدو، لكن كان هناك مَن يعترض على هذا، والمعترض هو نفسه الشهيد المهندس؛ ليتحدّث لي عن إنسان مثالي آخر اسمهُ قاسم سليماني، أنا شخصياً كنتُ أرى الشهيد سليماني قبلَ الحربِ لكن أراه في أوقاتٍ قصيرةٍ لا تكفي لأخذ الانطباع الكافي عنه، حتى جاءت داعش هذه الفرصة التي جعلتني أنا وآخرين غيري نتعرّف أكثر على أشخاص نراهم في الروايات والأساطير، ذلك الفذُّ الشجاعُ النبيل الخلوق المُحب للناس، وغيرها من الصفات التي يتصفُ بها الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والأولياء الصالحون.

بدأتُ أراقبهُ عن كثب.. وفي معركة آمرلي نهاية الشهر الثامن وبداية الشهر التاسع لعام ٢٠١٤م، رافقته لأسبوعٍ كامل ساعةً بساعة، ليلاً ونهاراً وجدتُ فيه ما يلي:

أولاً: شجاعةٌ لا توصف تصلُ في أحيانٍ عديدة أن يسقط بجنبه صاروخ أو قنبلة لا يهتز أبداً، ويصرّ على التواجد في الخطوط الأمامية.

ثانياً: متديّن جداً يصلّي في الوقت المحدّد ويقرأ القرآنَ كل يوم فضلاً عن الأدعية الشريفة المأثورة.

ثالثاً: حسينياً حدّ النخاع.

رابعا: متواضعٌ ويشهد له العدو والصديق، في أول مجيئه لآمرلي طلبَ من مسؤولِ الدعمِ اللوجستي الحاجّ المجاهد أبي رضا النجّار أن يجلبَ لهم من نفس الطعام الخاص بالمقاتلين، ولا يمّيز بين طعام القادة والمقاتل، وكان خجولاً، قلت له في أحد الأيام تلك: حاج أنت أصبحت قدوة للعديد من الشباب العراقي. أطرق رأسه خجلاً وارتبك، كأنَّهُ ليس ذلك القائد الكبير!!!

خامساً: يمتلك ُإنسانيةً عاليةً، حيث كان يرفض ضرب أي مكانٍ يسكنه مدنيون، وكان يرفض مشاهدة جثث الدواعش يقول: هؤلاء بشر إذا رأيتم الجثة فعليكم دفنها.

سادساً: قائد عسكري محنّك، وأغلب الخطط العسكرية هو مَن يرسمها.

سابعاً: عاطفيٌ.. يبكي لأي حدثٍ إنساني وبنفس الوقت يهابهُ الصديق ويخاف منه العدو.

ثامناً: لديه طاقة كبيرة للعمل تبدو غريبة جداً؛ فرغم الأمراض التي يعاني منها والإصابات، لكنّه لا يكلّ ولا يملّ، وفي بعض الأحيان ينامُ في اليوم ساعتين أو ثلاث ساعات فقط.

تاسعاً: كانت لديه طاقة روحانية عجيبة، فقد تنبّأ بشهادةِ العديدِ من القادة.

هذه بعض الصفات التي دوّنتها فقط في أسبوع واحدٍ من معركةِ آمرلي، فكيف وقد زادت علاقتي به بعد ذلك وتشرّفتُ بلقائه وبالبقاءِ معه لأوقاتٍ طويلة؟! فبالتأكيد يكون الوصف لا حدودَ لهُ.

وفي هذا الكتاب تفاصيل كثيرة، وشهادات عديدة لأشخاص تشرّفوا بالعمل مع الشهيد قاسم سليماني ـ وفخامة الاسم تُغنيه عن الألقاب ـ جمعها العزيز أبو لواء البهادلي، شخصٌ ذو موهبةٍ كبيرةٍ ومخلصٌ في مجالِ عملهِ، حيث أنتجَ عدّة أعمال من ضمنِها ـ أخيراً وليس آخراً إن شاء الله تعالى ـ هذا الكتاب المهم الذي يعتبرُ وثيقةً لمرحلةٍ حسّاسةٍ ومؤثّرة في تاريخِ العراقِ الحديث، وستكون مصدراً لمن يريدُ معرفة مَن جاء إلى العراق وضحّى بنفسه لأجل إنقاذ العراقيين، بغض النظر عن دياناتِهم وانتماءاتهم، من الجماعاتِ الإرهابية التكفيريةِ، إنّه المُحب للعراق والعراقيين الحاجّ: قاسم سليماني.

المحبّ: مهنّد العقابي

٢٢/ ٤/ ٢٠٢٢م

المقدّمة:

للحاج قاسم سليماني فضل على العراق والعراقيين يستحقّ الشكر دئماً، وأنا بدوري ككاتب وشاهد على أغلب تلك الأحداث، أخذت على عاتقي أن أكتب عن الحاجّ قاسم كتاباً أجمع فيها ما أستطيع جمعه من مواقف بطولية مشرّفة له أثناء وقوفه بوجه العدو التكفيري، الذي احتل ثلث العراق خلال ٤٨ ساعة، فأصبح ثلثي العراق مهدّداً بالخطر الحقيقي من ذلك العدو الذي لا يعرف الرحمة حتّى مع النساء والأطفال، بل ومع كلّ الأديان والمذاهب والطوائف.

في هذا الكتاب أتحدّث منذ الساعة الأولى التي وصل فيها الحاجّ قاسم سليماني أرض العراق، يوم احتلال الموصل بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠م واستذكرت أثناء كتابتي للكتاب كيف

هرب السياسيون العراقيون لدول الجوار؛ خوفاً من الموت الذي تقدم له الحاجّ قاسم بلا أيّ تردّد.

وأنا أكتب لتلك الأحداث ومواقف الحاجّ قاسم فيها، استذكرت الذين يتحدّثون بسوء عن الحاجّ قاسم بلا أيّ ذنب يُذكر، وكلّي أمل بأن يقرأوا هذا الكتاب ويطّلعوا على ما قدّمه هذا القائد العظيم الذي أسمته المرجعية: بـ(قائد النصر).

من قضاء سامراء إلى قرية آمرلي، مروراً بنصر جرف النصر، دوّنت أغلب العمليات التي قادها الحاجّ قاسم سليماني ميدانياً في العراق منذ عام ٢٠١٤م إلى عملية فرض السيادة التي فيها رفع الحاجّ قاسم العلم العراقي وسط محافظة كركوك عام ٢٠١٧م.

أخذ مني تدوين هذه الأحداث عامين بأكملهما، تردّدت خلالهما على أكثر من عشر محافظات عراقية، كنت أشعر

بالتعب وأنا أنتقل بين محافظة وأخرى، لكن الغاية ثمينة، والكتابة عن الحاجّ قاسم فيها أجر عظيم.

وبالله أقسم إنَّ أغلب صفحات هذا الكتاب كتبتها وأنا ممتد على الأرض؛ بسبب ألم الظهر الذي أُعاني منه، وكان الأمر في غاية الصعوبة، لكن كنت أشعر بالخجل من الحاجّ قاسم الذي كان جريحاً ويعاني من ألم الجراح وتحمّل الألم من أجل الدفاع عن أطفالنا ونسائنا.

ليالي كثيرة كنت أسهر فيها حتى صلاة الفجر وأنا أشعر بالتعب والنعاس، لكن كنت أخجل من أن أنام وأنا أكتب قصة عن موقف من مواقف الحاجّ قاسم التي كان يبقى فيها مستيقظاً لغاية صلاة الفجر من أجل الدفاع عن العراق.

أيامٌ بأكملها بقيَ الحاجّ قاسم مستيقظاً من أجل الدفاع عن الذين كانوا يشعرون بالتعب من كثرة النوم، وحين يستيقظون يشتمون الحاجّ قاسم بلا أدنى معرفة.

أعلم بأنّي لم أتمكّن من جمع كلّ مواقف الحاجّ قاسم سليماني في عمليات تحرير العراق، لكن بهذا القدر أشعر بالفخر بأنّي استطعت تدوين ولو الجزء اليسير منها في هذا الكتاب.

ما إن انتهيت من تدوين ما استطعت الحصول عليه من مواقف الحاجّ قاسم حتى أصبح عنوان الكتاب صعباً عليَّ؛ لأنَّ كلَّ عناوين البطولة والشهامة والفداء تليق بكتاب الحاجّ قاسم، عندها تذكرت ما قاله رسول الله ﷺ لسلمان الفارسي: «سلمان منّا أهل البيت»، فجرى قلمي وكتبت عنوان الكتاب: (سُليماني منّا أهلَ العراقِ).

أبو لواء البهادلي

عماد سالم

النجف الأشرف ٢٠٢٢/٣/٣١م

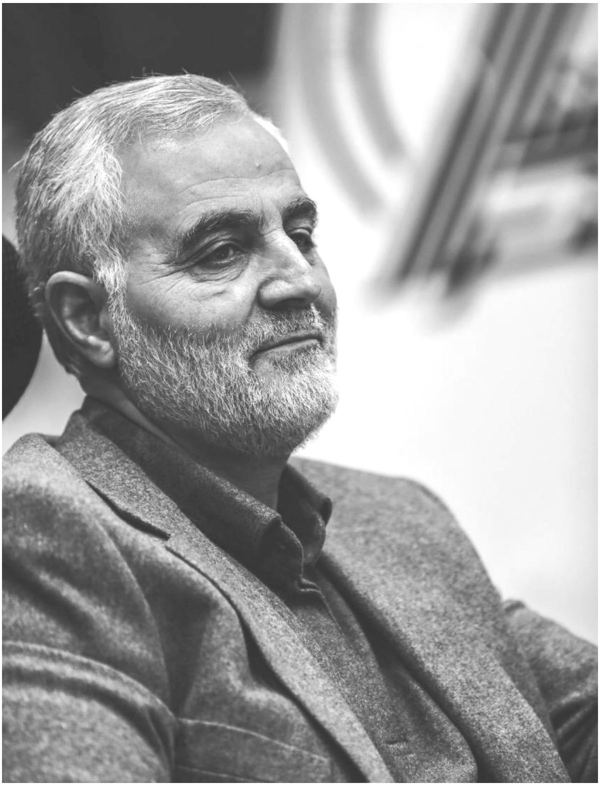

ما قبل سقوط الموصل:

الحاجّ أبو حسام السهلاني[1]:

قبل سقوط الموصل بعدّة أشهر كان الحاجّ قاسم يتحدّث عن أحداث المنطقة، ومتخوّف من حدوث

(١) احد قادة عمليات الحشد الشعبي.

شـيء فـي العـراق لا يحمـد عقبـاه، كـان يقـرأ الأحـداث بصيرة عجيبة وكأنّنا أمام ولي أمر المسلمين.

الحاجّ حسن فدعم[(١)]:

قبل أن أشرع بحديثي حولَ الحاجّ قاسم سليماني والمواقف التي جمعتنا به، لابدّ من أن أتقدّم بالشكر الجزيل لأخي العزيز (أبو لواء البهادلي) على هذا الجهد الكبير والمبارك إن شاء الله؛ فخدمة الشهداء والكتابة عنهم شيءٌ عظيمٌ جدّاً، وبالأخصّ الكتابة عن قادة النصر؛ لأنَّهم أصحاب فضل علينا جميعاً.

من المراحل المهمّة في هذه الحقبة هي الكتابة والتوثيق؛ لأنَّه إذا لم يُكتب التاريخ والحقائق في هذا الزمان مع شهادة جميع الشهود، ستُحرف الحقيقة لاحقاً حتّماً.

---

(١) أحد قادة الحشد الشعبي وعضو سابق في البرلمان العراقي.

وعلى سبيل المثال ثورة العشرين؛ حيث انطلقت من عمق الجنوب بقيادة شيوخ الجنوب والوسط، لكنَّ التاريخ الحديث الخبيث ـ للأسف الشديد ـ يتحدَّث على أنَّها انطلقت من خان ضاري!

بعد هذه المقدّمة المختصرة أقول: علاقتنا بالحاجّ قاسم سليماني منذ علاقتنا بالمعارضة، حين كنّا معارضين لنظام صدام المجرم، الذي عاث في الأرض الفساد والدمار.

لهذا القائد العظيم مواقف لا يستطيع أحدٌ إحصاءها، لكنّنا نتحدَّث عنها قدر الإمكان، وبمقدار وسعنا.

عام ٢٠١٣م تحديداً في الشهر ١١ كانت هناك معلومات أمنية شبه مؤكّدة تتحدّث عن انهيار أمني كبير، حينها كنت أشغل منصب عضو مجلس محافظة بابل.

نحن في محافظة بابل لدينا ناحية جرف الصخر، وتعتبر هذه الناحية من أخطر النواحي العراقية، وأجزم لك بأنَّه منذ سقوط

صدام حتّى عام ٢٠١٤م لم تكن هذه المدينة تحت سيطرة الدولة.

كانــت المعلومــات الأمنيــة تؤكّــد لنــا بــأنَّ العناصــر الإرهابيــة يتحرّكــون مــن مدينــة ديــر الــزور الســوريّة حتّــى ناحيــة جــرف الصــخر شــمال محافظــة بابــل، بــلا أن تعترضــهم أيّ قطعــات أمنيــة عراقيــة علــى طــول الطريق.

طبعــاً هنــاك قــوات أمنيــة منتشــرة حــول مدينــة جــرف الصــخر، لكــن كــانوا لا يصــدّون شــيئاً ولا يتعرّضــون إلــيهم، كانــت عناصــر داعــش تتحــرّك بعلــم وتحــت أنظــار القيــادة العســكرية لتلــك المنــاطق، طبعــاً نحــن نتحــدّث عــن قيــادة وجــيش وقــوات أمنيــة، لكــن فــي الحقيقــة الفســاد أنهــى تلــك المؤسســات التــي بقيــت بأسمائها فقط.

في السابق كان تنظيم القاعدة الإرهابي يؤكّد على أهمّية جرف الصخر، وفي سيناريو داعش الجديد وضعت ذات الأهمّية لتلك المدينة.

جرف الصخر كان تمويل إرهابها من مركز القيادة الإرهابي في سوريا محافظة دير الزور.

ربما تسألني إذا كانت لديكم هذه المعلومات شبة المفصَّلة فلماذا لم يكن لكم أيّ دور بالتصدّي لهم؟!

كلّ هذه المعلومات التي تحدّثت فيها والتي سأتحدّث فيها لاحقاً كنا نكتبها لقيادة القوات الأمنية العراقية ولم يجبنا أحدٌ، بل كانوا يستهزئون في معلوماتنا الأمنية ويسخرون منا، ولا أحد يشعر بأهمّية موقع جرف الصخر، والحال أنَّ الجرف هو خاصرة بغداد، وشمال بابل، وخاصرة شمال كربلاء.

أهم مركز عسكري لقيادة عمليات العدو بين ثلاث محافظة بغداد، بابل، كربلاء، هي ناحية جرف الصخر.

في الشهر ١١ من عام ٢٠١٣م أرسلت تقريراً مفصّلاً إلى القائد العام للقوات المسلحة نوري المالكي، أتحدّث فيه عن كلّ أحداث المنطقة وبالأخص جرف الصخر، كما وضّحت في التقرير أهمّية وخطورة ناحية الجرف على المحافظات الثلاث.

بعد أيام من أرسال التقرير التقيت بالسيّد المالكي، وتحدّثت معه ثمّ التقيت مع مستشاره العسكري الحاجّ أبو مجاهد.

طبعاً كما هو متوقّع لم تكن هناك أيّ نتيجة من التقارير الأمنية التي قدّمتها، ولم تؤخذ بعين الاعتبار، وكأنّي أتحدّث عن شمال ساحل العاج وليس عن محافظة بابل.

أنا أعرف جيداً ومطّلع بأنَّ كلّ معلومة أمنية تقدّم لرئيس الوزراء، يتأكد من صحتها عن طريق الضبّاط الذين هم

السبب الرئيسي باحتلال ثلث العراق عام ٢٠١٤م؛ لذلك كنا على يقين بأنَّ تقاريرنا لا تنفع شيئاً ما زال يتم التأكد منها بواسط الضبّاط الفاسدين.

تواصلت مع أحد الأخوة المقربين من الحاجّ قاسم سليماني، وهو عراقي الجنسية، تحدّثت له عن أحداث شمال بابل، فقال لي: أريدك أن تتحدّث أنت شخصياً مع الحاجّ قاسم سليماني حول تلك المعلومات؛ لأنَّ الحاجّ قاسم مهتم كثيراً بالشأن العراقي، ويشعر بأنَّ هناك انهياراً أمنيّاً كبيراً سيحدث في العراق، كما بإمكانه الحديث مع المالكي حتّى يهتم في وضع مدينتكم أكثر.

قلت له: ليس لدي أيّ مانع من تقديم كلّ المعلومات الأمنية التي أمتلكها بأدق تفاصيلها إلى الحاجّ قاسم سليماني، أنا أريد أن أحافظ على مدينتي بأي ثمن كان، أشعر بأنَّ أرواح الناس في ذمّتنا، وهم لا يعرفون بأنَّ الخطر على أبوابهم!

وفعلاً بعد الاتصال بالأخ الذي كان قريباً من الحاجّ قاسم، التقيت بالحاجّ قاسم سليماني، وطال اللقاء إلى أكثر من ساعتين، تحدّثت له عن كلّ أحداث منطقة شمال بابل، وأهمّية جرف الصخر ومَن هو المسيطر عليها كلّياً، كما أوضحت له كيف يتنقل العدو بين ناحية الجرف والمدن الأخرى.

تحدّثت للحاجّ قاسم عن مخطط العدو في ساعة الصفر وعلى أيّ أهداف سيتقدّمون.

في الشهر الثاني من عام ٢٠١٤م صار هناك اجتماع لقيادة البيت الشيعي وكان رئيس الوزراء حاضراً معنا، وتحدّثت لهم عن ناحية جرف الصخر، وسردت لهم كلَّ تلك المعلومات الأمنية التي كلّ لساني من إعادتها في كلّ مره، حتّى عادت لم تكن معلومات أمنية وأصبحت كأنَّها حكاية في مقهى.

ذكرت لقيادة البيت الشيعي أنَّ هذه المعلومات مقدّمة سابقاً لمكتب رئيس الوزراء، ومع كلّ الأسف يتأكّدون من صحة معلوماتنا بواسطة ضبّاط فاسدين منهارين لا توجد لديهم أيّ كفاءة عسكرية أو استخباراتية.

من هذا الاجتماع تقرّر تشكيل لجنة بأمر رئيس الوزراء للتحقيق ميدانياً من صحة المعلومات التي تحدّثت فيها سابقاً وحاضراً، لكن هذه المرة كان لديَّ أمل في هذه اللجنة الأمنية؛ لأنَّها كانت برئاسة الأخوة من كتائب حزب الله، وعضوية مستشار الحاجّ قاسم سليماني، وعضوية مستشار حزب الله اللبناني، وضبّاط من مكتب رئيس الوزراء.

في الشهر الثالث من عام ٢٠١٤م تحرّكنا ميدانياً إلى جرف الصخر، وكنت أنا شخصياً برفقة اللجنة الأمنية المكلّفة بالتحقيق.

أبلغت الأخوة أعضاء اللجنة بضرورة الدخول بعجلات الهمر وهي عجلة عسكرية مصفّحة ضد الرصاص.

باشرنا بالدخول إلى ناحية جرف الصخر، واستطلعناها من بدايتها حتّى النهاية، وعدنا من مركز الناحية إلى جسر الفاضلية، سرنا بمحاذاة النهر، لم آخذهم على الطريق الصحراوي.

ثمان ساعات أخذت منا المنطقة المراد استطلاعها والتي تبلغ مساحتها ١٨ كم مربع.

لم يكتب أعضاء اللجنة أيّ شيء، واكتفوا بالتصوير فقط، لم تبق زجاجة واحده سالمه في جميع عجلاتنا، وكلّ إطارات العجلات تعرّضت للرماية حتّى توقّفت، وفككنا أكثر من خمس عبوات ناسفة حتّى نستطيع إكمال الطريق.

كان الضبّاط الذين كانوا من مكتب رئيس الوزراء يتساءلون هل صحيح نحن في جرف الصخر؟!

إحــدى العبــوات الناســفة كانــت عبــارة عــن قنّينــة أوكســجين، وهــي فــي منتصــف الطريــق وتفكيكهــا صــعب جــداً، وأنــا علــى يقــين بــأنَّ الــذي بيــده زر التفجيــر ينظــر إلينــا الآن، توقّفنــا لأكثــر مــن ســاعة ولا نســتطيع العــودة وســط تلــك النيــران التــي فتحــت علينا كالمطر.

وبين ما نحن ننتظر حلاً لتلك العبوة جاءت عجلة نوع كيا تحمل معها طلاب مدراس ابتدائية ومتوسطة، كان عددهم ما يقارب ٢٠ طالب، وقفنا صاحب الكيا وطلبنا منه بأن يمر مع مرور الرتل، حتّى لا يتم تفجر العبوة، بعض الأخوة قالوا لي: كيف تجزم بأنَّه لا يفجّرها؟! قلت لهم: أنا أعرفهم جيداً وأعرف حتّى أسماء نسائهم وأطفالهم، الجرف لا يوجد فيها سكان مدنيين إطلاقاً، والذي بيده زر التفجير منهم، والأطفال أطفالهم، وأنا على يقين لا يفجّرون أطفالهم.

بعد مرورنا مع باص الأطفال قاموا بتفجيرها لغرض قطع الطريق.

كانوا يظنون بأننا سنعود من ذات الطريق لكن نحن عدنا من الطريق الصحراوي.

ذهبت اللجنة إلى بغداد، وجلست أنا مع الحاجّ قاسم، واطّلع الحاجّ قاسم على كلّ التفاصيل وتأكّد تماماً من كلّ المعلومات التي قدّمتها عن جرف الصخر.

بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٧م وافق رئيس الوزراء على إنزال قوات خاصه في جرف الصخر، وهذه المرة الأولى التي يعتمد فيها القائد العام للقوات المسلحة على قوات من المقاومة الإسلامية بدل القوات الأمنية بعد تأكده تماماً من الخروقات الخطيرة في ناحية الجرف.

الشيخ جلال الدين الصغير:

قبل أن أبدأ بحديثي عن دور الحاجّ قاسم سليماني في محاربة داعش بالعراق، سأتحدث لك عن هذا الموقف العظيم للحاجّ قاسم، الذي سيختصر الكثير من الحديث عن شخصيته وعظمته والعظمة لله.

ذات يوم أخبرني الأخ علي لاريجاني رئيس مجلس الشورى الإيراني، بأنَّ هناك قراراً سيصدر قريباً، يكلّف فيه الحاجّ قاسم سليماني قائداً للحرس الثوري.

بعده عدّة أيام من حديثي مع الأخ لاريجاني، التقيت بالأخ الحبيب الحاجّ قاسم سليماني، فقلت له: بأنَّ هناك أخباراً تتحدّث بأنَّك ستكون قائداً للحرس الثوري، قال لي: نعم سمعت فيها ورفضتها قبل أن تكون.

فسألته لماذا ترفض هذا المنصب وهو المنصب الأوّل في الجمهورية الإسلامية؟!

قال لي نصاً:

أوّلاً: الأخ جعفري قائد الحرس الثوري هو صديقي وأنا لا أحب أن أزاحم صديقي من أجل منصب مهما كان هذا المنصب.

ثانياً: مهمّة الحرس الثوري هي داخل الجمهورية الإسلامية فقط، وأنا لا أريد أن أحتكر عملي هذا للمواطنين الإيرانيين فقط، أريد أن أكون في خدمة الفلسطينيين واليمنين واللبنانيين والعراقيين والسورين، أنا أشعر بأني سأكون أكثر سعيداً حين أعمل خارج البلاد.

فقلت له: وإذا خيرك سماحة السيّد القائد بين الاستقالة والمنصب؟ قال لي: سأستقيل وأجلس في بيتي!

الحاجّ قاسم مختلف تماماً عن كثير من الناس، تشعر وكأنَّه لا يوجد له مثيل في هذا الزمان.

من طبيعة المقاتلين هي قساوة وصلابة القلب، لكن الحاجّ قاسم مختلف تماماً عن تلك الطبيعة، فهو عاطفي جداً إلى حد كثير البكاء، كذلك متواضع حتّى مع الذين لا يستحقّون التواضع معهم.

كان الحاجّ قاسم مهتمّاً كثيراً بأن يكون العراق مستقراً وآمناً، وكثيراً ما طلب أن يشترك بتأمين العراق وشعبه.

قبل سيطرة داعش على مدينة الموصل مركز محافظة نينوى، أرسل الحاجّ قاسم إلى الحكومة العراقية ٢٥٠٠ قطعة سلاح متوسط من نوع بيكيسي، وبعد أيام من وصول السلاح إلى بغداد، التقيت بالحاج قاسم وأقسم لي، بأنَّ بعض هذه البيكيسيات سحبت من يد جنودنا من أجل تزويد العراق فيها بأسرع وقت.

وفي لقاء آخر مع الحاجّ قاسم، وهذه المرّة في طهران، تحدّثنا عن أوضاع العراق، وكان الحديث عن محافظتي نينوى والأنبار، فأخبرت الحاجّ قاسم، بأنَّ الوضع الأمني في العراق غير جيد، كما قلت له: بأنَّ التقارير الأمنية التي تتحدّث فيها الحكومة العراقية على أنَّ الوضع الأمني مستقر تقارير وهميه و غير صحيحه، أنا شخصياً متابع للأحداث في تلك المناطق وكلّ المعلومات والمعطيات، تشير إلى أنَّ هناك انهياراً أمنيّاً كبيراً سيحدث قريباً في العراق.

كذلك أخبرت الحاجّ قاسم بأنَّ الحكومة العراقية، ارتكبت خطأ فادحاً؛ حيث قامت بتسليح العشائر بالأسلحة التي أرسلتها الجمهورية الإسلامية للحكومة العراقية. غضب الحاجّ قاسم كثيراً، وهذه المرة الأولى التي أراه فيها غاضباً إلى هذا الحد. أرسل الحاجّ قاسم أحد المستشارين ليتأكد من صحة المعلومة التي نقلتها له عن ضياع السلاح بأيادي غير آمنه،

فكانت معلومات المستشار مطابقة للمعلومات التي قدّمتها للحاجّ قاسم.

كنت ألتقي بشكل ودي مع بعض القادة العسكريين العراقيين، فكانوا يتحدّثون لي بشكل تفصيلي عن حجم الكارثة القادمة إلى العراق، وكانوا يقولون: كلّت الألسن ولا أحد يسمعنا. تحدّثت مع أخوة آخرين مراقبين للأحداث في المنطقة والعراق خصوصاً، فأكدوا لي صحة حديث الأخوة العسكريين.

كلّ التقارير الأمنية التي جمعتها تؤكد بأنَّ محافظتي الموصل والأنبار سينهار فيهما الوضع الأمني لا محال.

تحدّثت مع الحاجّ قاسم عبر الهاتف وأخبرته عمّا يجري بالعراق من أحداث أمنية خطيرة جداً، حينها كان الحاجّ قاسم غير مقتنع وأشار بحديثه معي بأنَّ تقارير الحكومة العراقية عن الوضع الأمني لا تشير للأحداث التي ذكرتها أنت!

في زيارة أخرى إلى طهران طلب مني الحاجّ قاسم عبر الهاتف بأن ألتقي بالحاجّ (م. ح) قبل أن ألتقي به شخصياً.

وفعلاً التقيت بالحاجّ (م. ح) وتحدّثت له عمّا يجري في الموصل والأنبار وديالى وصلاح الدين. فأكد لي الحاجّ (م. ح) بأنَّ كلّ المعلومات التي قدّمتها في هذا التقارير صحيحه.

في صبيحة اليوم الثاني ــ تحديداً بعد صلاة الفجرــ التقيت بالحاجّ قاسم، وتحدّثنا عن الأوضاع الأمنية في العراق، فقال لي: ماذا قال الحاجّ (م. ح) عن هذه التقارير؟ قلت له: اتصل به أنت واسمع الإجابة منه شخصياً. فعلاً أخذ الحاجّ قاسم الهاتف واتصل بالحاج (م. ح) وسأله عن معلومات التقارير المقدّمة، فأخبره بصحة ما ورد فيها من معلومات.

هنـــا اكتشـــف الحـــاجّ قاســـم وتأكـــد بـــأنَّ كـــلّ التقـــارير الأمنيـــة العراقيـــة التـــي ترســـل هـــي كـــذب وتتحـــدّث عـــن معلومـــات كاذبـــه وغيـــر حقيقيـــة، كمـــا اكتشـــف الحـــاجّ قاســـم بـــأنَّ الحكومـــة العراقيـــة ضـــللت معلومـــاتهم الأمنيـــة بســـبب رفعهـــم لتقـــارير مـــزوّرة لا تمت للواقع بأي صلة.

وما إن تأكد الحاجّ قاسم من المعلومات المقدّمة حول التداعيات الأمنية حتى أرسل مستشاره العسكري وهو الحاجّ ناصري، إلى مدينة الموصل مع وفد أمني عراقي كبير، وكان بينهم أسامة النجيفي، اطّلع الأخ ناصري على أدق التفاصيل المتعلّقة بالأوضاع الأمنية. وما إن انتهت الجولة الأمنية حتى كتب الأخ ناصري إلى الحاجّ قاسم تقريراً مفصّلاً بيّن فيه كلّ الخروقات الأمنية، كما كتب له بأنَّ الوضع الأمني سينهار لا محال.

تأكد الحاجّ قاسم تماماً بأنَّ الحكومة العراقية وقادة الأجهزة الأمنية لا يعلمون بشيء.

وبالفعل بعد أيام من تقريري الأمني، وتقرير ناصري، سقطت الموصل وانهار ثلث العراق.

الحاجّ فالح الخزعلي(١):

لم تكن أحداث العراق ودخول داعش هي السبب الأوّل بلقاء الحاجّ قاسم، فسبق وإن التقينا في أماكن عديدة.

في مطلع عام ٢٠١٢م التقيت الحاج قاسم سليماني، حين كتب الله لنا شرف الدفاع عن مرقد السيدة زينب عليها السلام.

كان العدو التكفيري يبعد عن حرم السيّدة زينب عليها السلام ٣٠٠ متر فقط حيث كان العدو مسيطراً على منطقة (الحجيرة) المحاذية لحرم السيّدة زينب.

(١) قائد في الحشد الشعبي ونائب في البرلمان العراقي الحالي.

عندما قام العدو التكفيري بتفجير ونبش قبر الصاحبي الجليل حجر بن عدي، دفعنا بأن نختار الموت فرحين أمام مرقد السيدة زينبعليها السلام ولا يمس التكفيريّون قبرها الشريف وتسبىعليها السلام مرةً أخرى.

هنا كان حضور الحاجّ قاسم سليماني حضوراً عبّاسيّاً، كان صادقاً حين قال للمجاهدين: لا تُسبى زينب مرتين، وهتف المجاهدون بصوت واحد: «كلنا عبّاسُكِ يازينب».

وجود الحاجّ قاسم سليماني في الشام ودفاعه عن مرقد السيّدة زينب عليها السلام، جعلنا نشعر بالفخر بأننا من أتباع أهل البيتعليهم السلام، كما ما زلت أشعر بالفخر بأني كنت جندياً تحت قيادة الحاجّ قاسم، وقدمت عيني فداء لزينبعليها السلام.

أمّا الحديث عن الحاجّ قاسم سليماني في أحداث العراق وسقوط الموصل فهو حديثٌ طويل جداً، فماذا أقول لك عن الحاجّ قاسم ودوره الفعلي بدعم العراق والحفاظ على بغداد؟!

منــذ ســاحات الاعتصــام، بــدأت الأحــداث تتســارع، وكــان هنــاك مــنهج مخطّــط بأيــادي أمريكيــة خليجيــة، يســعى إلــى إســقاط بغــداد وإرجــاع الحكــم لأهله كما يقولون هم.

كــان الحــاجّ قاســم ســليماني يتــابع أحــداث المنطقــة بشــكل تفصــيلي، وكــان يخبــر الأخــوة فــي مركــز القيادة بأنَّ العدو قادم إلى بغداد لا محال.

وفعــلاً توغّــل داعــش فــي منــاطق حــزام بغــداد وكــان مــن المقــرّر هنــاك ســاعة صــفر تقطــع فيهــا الجســور والطــرق العامــة، وهنــا تكــون المحافظــات الغربيــة بعزلة تامه عن العاصمة بغداد.

داعــش كــان موجــوداً فــي منطقــة إبــراهيم بــن علــي، النبــاعي، الضــابطية، سبع البــور، شــيخ عــامر. قبــل ســقوط الموصل.

دائماً كان يوصينا الحاجّ قاسم قبل سقوط الموصل والفتوى المباركة، بأن ننتبه إلى بغداد وحزام بغداد.

وضع الحاجّ قاسم خطة حماية بغداد قبل سقوط الموصل، كما وجّهنا بتعزيز القوات الأمنية بالرجال والسلاح، وطلب منّا أن نكون مرابطين مع القوات الأمنية في حزام بغداد.

حينها كان الحاجّ المهندس هو اليد اليمنى للحاجّ قاسم في العراق، وكان الحاجّ المهندس يشرف ميدانياً على نشر قواتنا في حزام بغداد حين شعرنا بأنَّ الخطر قادم إلى بغداد.

عبد الحسين عبطان:

عملنا في بعض الملفات الأمنية ولدينا بعض المعلومات عن المنطقة، وما يحدث في غرب العراق، لكن مَن يستمع؟!!

عـام ٢٠١٤م تحديـداً فـي الشـهر الثالـث التقيـت الحـاج قاسـم سـليماني فـي طهـران، وتحـدّثنا عـن الوضـع الأمنـي فـي العـراق، وقلـت لـه: يـا حـاج الوضـع أصـبح يسـوء أكثـر فـأكثر، ولا أحـد مـن المعنيـين مهـتمٌّ بالـذي يجـري، كمـا وقلـت لـه: إنَّ الفسـاد المـالي والإداري أنهـك المؤسسـة العسـكرية، حتّـى أصـبحت شـبه منهـارة، وهـذا الأمـر إذا لـم يُعـالج سـيتحوّل إلـى كارثـة، وكـن علـى يقـين بـأنَّ الوضـع في العراق سينهار.

أنـا علـى يقـين بـأنَّ الحـاجّ قاسـم، كـان مطّلعـاً بشـكل تفصـيلي علـى المنطقـة ومـاذا يـدور فيهـا، لكـن يشـكو مـن عدم تعاون البعض!!

الشيخ جلال الدين الصغير:

بعـد عمليـات فـتح الطريـق العـام بـين بلـد و بغـداد واسـتقرار القوات فـي بلـد، جـاء الحـاجّ قاسـم إلـى اجتمـاع بغـداد ومـا

إن شـاهدني أمامـه وهـو اللقـاء الأوّل بعـد سـقوط الموصـل، أشـار بيـده لـي وقـال: كـلّ مـا تحـدّثتَ فيـه أصـبح واقعـاً، فقلت له: بعد ماذا يا حاج، بعد أن سقط ثلث العراق؟!

✡ ✡ ✡

رسالة سليماني:

مهند العقابي:

منـذ عـام ٢٠٠٨م أنـا أعمـل مـع الحـاجّ المهنـدس، ولا أعـرف أحـداً سـواه، عنـدما أقـع فـي شـده أو أحتـاج إلـى حاجة، سرعان ما أذهب إليه.

يـوم سـقوط محافظـة الموصـل، ذهبـتُ مسـرعاً إلـى دار الحـاجّ المهنـدس ومـا إن دخلـت الـدار وجـدتُ الحـاجّ المهنـدس يرتـدي الـزي العسـكري، وكـان قـد رفـع الرايـة

الحسـينية داخـل الـدار، قلـت مـع نفسـي، سـيعلن الحـاجّ المهندس الحرب.

سلّمت عليه وقبل أن أشرع بأي حديث معه، طلب مني على الفور مرافقته إلى دار رئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي، تحرّكنا فوراً، حينها كان الحاجّ المهندس هو مَن يقود العجلة، توقّف أمام دار المالكي، وقبل أن يترجّل من العجلة، طلب مني عدم مرافقته داخل الدار، لم يمر على وصولنا أكثر من ١٥ دقيقه فقط، حتّى وصلت عجلة سوداء اللون تحلّق فوقها على ارتفاع منخفض مروحية لجيش الاحتلال الأمريكي، كنت أراقب وأنتظر من سيترجّل من تلك العجلة المصفّحة، وما إن ترجّل عرفته كان السفير الأمريكي، بعد دقائق من دخول السفير الأمريكي خرج الحاجّ المهندس، من باب أخرى برفقة ياسر المالكي صهر نوري المالكي على ابنته.

فكان الحاجّ المهندس عصبيّاً وهو يتحدّث مع ياسر وأسمعه يقول له: أمريكا باعت الموصول وستبيع بغداد والعراق بأكمله.

كان هناك جنود أمريكان برفقة السفير، وكنت أخشى على أن يتعرّفوا على الحاجّ المهندس ويقدمون على اعتقاله؛ لذلك ترجّلت من العجلة كي استقلّها من أجل قيادتها، وكنت أخطّط في حال قدوم الأمريكان على اعتقال الحاجّ المهندس، أباشر بدهسهم، حينها لم أكن أحمل سلاحاً معي، ولا أعرف كيف سأدافع عن الحاج سوى بدهسهم.

وصل الحاجّ المهندس للعجلة وطلب مني التنحّي من قيادتها وباشر هو بقيادة العجلة، في الطريق كنت أرى على ملامح وجهه الجميل الغضب، سألته عمّا جرى؟

فقال لي نص تلك العبارة: «لو نلحك على العراق لو بعد ما نلحك على شيء، والمالكي ما يعرف شنو جاي يصير،

والأمريكان سلّموا العراق وأتيت إلى هنا من أجل ان أبلغ المالكي ما أبلغني به الحاجّ قاسم سليماني».

سألته حينها وبماذا أبلغك الحاجّ قاسم سليماني؟ قال لي نصاً:« الحاجّ قاسم أبلغني أن أبلغ المالكي، أن لا يعطي أيّ تنازلات للأمريكان وخلال ساعات سأكون أنا في بغداد و الجمهورية الإسلامية الإيرانية معكم في كلّ شيء».

حين سمعت رسالة الحاجّ قاسم التي نقلها الحاجّ المهندس شعرت بالأمن وأصبحت متفائلاً أكثر.

الحاجّ قاسم سليماني، قائد عسكري فذ، وقدومه للعراق يعني لا يمكن أن تكون هناك أيّ هزيمة مهما فعلوا.

سألت الحاجّ المهندس عن سبب زيارة السفير الأمريكي إلى بيت المالكي، قال لي نصاً: «الأمريكان هنا من أجل المساومة على سقوط بغداد، يريدون من المالكي التنازل عن الحكم مقابل تعيين حاكم أمريكي، كما كان في زمن توني بلير،

والحاج قاسم كان على يقين بأنَّ الأمريكان سيفاوضون المالكي على بغداد؛ لذلك أبلغني بتلك الرسالة التي أبلغت فيها المالكي».

وصلنا دار الحاجّ المهندس وهنا باشر بكتابة الرسالة التي طلب فيها من القيادة الجهادية الالتحاق فوراً إلى مقر الجادرية من أجل إعداد قوة عسكرية لمواجهة داعش.

۞ ۞ ۞

جاء سليماني:

أ ـ د[1]:

يظن البعض أنَّ مجيء الحاجّ قاسم للعراق، هو بطلب من الحكومة العراقية وهذا الشيء غير صحيح، الحاجّ قاسم لا

(١) سيتكرّر هذا الترميز منّا في هذا الكتاب، وهو إشارة لمهنة شخص مهم رفض أن نذكر اسمه.

ينتظر أن يطلب منه الدفاع عن الإسلام والمستضعفين وأنا أعرفه جيداً.

ظهور داعش بالعراق وسقوط مدينة الموصل كما سقوط بعض المدن القريبة من المراقد المقدسة، كانت كافية لتجعل الحاجّ قاسم موجوداً في بغداد.

المراقد المقدّسة لدينا نحن كشيعة خط أحمر وللحاجّ قاسم الموت أهون بكثير من وصول العدو إلى مراقد أهل البيت عليهم السلام.

يمتاز الإيرانيون بحبّهم الشديد واهتمامهم بمراقد أهل البيت عليهم السلام أكثر من شيعة أيّ بلد آخر وطبعاً الشيء بالشيء يذكر، الشاه ملك طاغي لكن هذا الطاغي كان يعطي أهمّية كبيرة للعتبات المقدّسة في إيران، طبعاً لم يكن الشاه متديّنا إطلاقاً، لكنه يعرف جيداً أنَّ الشعب الإيراني لا يصمت أمام العتبات المقدّسة مهما كان الثمن.

كان الحاجّ قاسم يختلف عن أركان كلّ الحكومة الإيرانية، ولم يكن قائداً عسكرياً فقط، حيث كان قائداً إسلامياً متديّناً عقائدياً متعصّباً للدفاع عن الإسلام والمسلمين، ومن مقتضيات القادة الإسلامين هو الحفاظ على الدين الإسلامي؛ لذلك لم يكن مجيئ الحاجّ قاسم للعراق على أساس طلب من الحكومة العراقية آنذاك، بل جاء لشعوره بالمسؤولية أمام الخطر الذي يهدّد أمن وسلامة المستضعفين.

عندما احتلَّ العدو محافظة الموصل، أصبح هناك انكسار بالمعنويات العراقية، وقبل يوم من الفتوى المباركة كانت الناس خائفة جداً، ولا تعرف مصيرها بظل دولة منهارة كلياً، العدو لم يصل بغداد بعد والناس في محافظة البصرة يشعرون بخوف حقيقي وهذا ما حدث مع طلاب سبايكر، لم تسقط القاعدة ولم يحدث أيّ شيء بعد، لكن القلق والخوف سيطر على قلوب الطلاب الصغار وجعلهم يخرجون عراة مجرّدين

من السلاح ليلاقوا الموت وهم عُزّل، هزيمة المعنويات ولّدت انكساراً حقيقياً بأرواح القوات الأمنية والشعب؛ لذلك كان مجيء الحاجّ قاسم سليماني للعراق إعادة للروح المعنوية للجميع بما فيهم أصحاب القرار.

وصل الحاجّ قاسم إلى بغداد يوم ١٠_٦_٢٠١٤م بعد ساعات من سقوط مدينة الموصل، وأجرى أول لقاء مع رئيس الوزراء نوري المالكي، ومن أولويات الحديث هو كيف نحمي سامراء ونوقف تمدّد العدو إلى المدن الأخرى التي أصبحت تتساقط كأوراق الشجر بفصل الخريف.

كان الحاجّ قاسم ذكيّاً جداً وقائداً عسكريّاً لا يهتم بالخرائط كثيراً. نعم، كان يستفيد منها بمقدارٍ ما، لكنَّه كان يتحرّك من دونها معتمداً على ذكائه وقدرته بالحفظ، كان في صراع مع الوقت ليكون هو المستفيد الأول من الوقت قبل العدو.

طلب الأخ المالكي من الحاجّ قاسم سليماني دعم الجيش العراقي والقوات الأمنية بالسلاح، كما قال له: الأمريكان لم يوفوا بوعودهم بتسليح الجيش العراقي وقالوا لنا: لا يمكن تجهيزكم بالسلاح قبل عام ٢٠٢١م ونحن في منتصف عام ٢٠١٤م وثلث العراق بيد العدو، وسلاحنا بالذخيرة التي نمتلكها لا يكفي لتحرير قرية صغيرة، فقال له الحاجّ قاسم: لا تهتم بهذه الجزئيات الصغيرة، ففي غضون ساعات ستحط الطائرات الإيرانية في مطار بغداد الدولي محمّلة بمئات الأطنان من السلاح والذخيرة.

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

كـان الحـاجّ قاسـم سـليماني يعتبـر العـراق بلـده الثـاني، وكـان مسـتعدّاً أن يمـوت مـدافعاً عـن العـراق والشـعب العراقـي عشـرات المـرات؛ لـذلك حضـر الحـاجّ قاسـم سـليماني إلـى بغـداد منـذ السـاعات الأولـى لسـقوط

الموصـل، ومـا إن وضـع قدمـه علـى أرض العـراق حتـى شـرع بـالتخطيط والتنفيـذ للـدفاع عـن بغـداد، كمـا وضـع عـدّة محـاور أوّليـة مهمّـة جـداً، ومـن تلـك المحـاور، هـي محافظـة ديـالى، وقضـاء سـامراء، كمـا كـان يوصـي بالبقـاء علـى اتصـال يـومي مـع أهـالي آمرلـي حتّـى لا تهـزم معنوياتهم ويشعرون بأنهم يقاتلون بمفردهم.

الحاجّ حسن فدعم:

بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠م سقطت مدينة الموصل مركز محافظة نينوى، وبنفس التاريخ وبعد ساعات من سقوط الموصل هبطت طائرة الحاجّ قاسم في مطار بغداد، مع العشرات من المستشارين العسكريين الإيرانيين.

الحاجّ قاسم سليماني في مطار بغداد الدولي قادماً إلى الموت، وقطيع من السياسيين والبرلمانيين العراقيين في مطار بغداد هاربين من الدفاع عن وطنهم الذي سرقوا كلّ خيراته.

قسماً بالله العلي العظيم لديَّ صديق وهو من الثقات، لديه شركة سياحة وسفر، ومن الشركات المعروفة في العاصمة بغداد، يقول لي نصاً: كلّ الرحلات بين بغداد ـ تركيا، وبغداد ـ دبي، امتلأت بالكامل.

وبين دقيقة وأخرى يرن هاتفي من فلان السياسي يطلب تذاكر، فكنت أرد عليهم بأن رحلات تركيا ودبي امتلأت بالكامل، فكانوا يقولون لي: ليس مهمّاً أي بلد، بل المهم أن تحجز لنا تذاكر حتّى لو لمصر لبنان ترانزيت، ثمّ من هناك إلى دبي وتركيا.

وأنا أستمع لحديث صديقي شعرت بالخجل من هكذا أناس تجمعنا فيهم السياسية.

كنت أنظر إلى موقف الحاجّ قاسم سليماني في بغداد، وأنظر إلى موقف السياسيين الهاربين، وشتان ما بين الموقفين، ظلم

كبير بأن تمزّق صورة الحاجّ قاسم سليماني في بغداد، وترفع بدلها صور السياسيين الهاربين.

ومنذُ اللحظات الأولى لوصول الحاجّ قاسم سليماني إلى بغداد، تحرّك باتجاه ثلاث نقاط مهمّة جداً، أولها اللقاء بالمرجعية الدينية في النجف الأشراف، ثانياً اللقاء برئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة، واللقاء الثالث عقده مع قادة الكتل السياسية مع حضور السياسيين الكرد أيضاً.

بدأ الحاجّ قاسم بالتحرّك اتجاه حزام بغداد، وقاد ما تبقى من القوات الأمنية، كما طلب إسناد فصائل المقاومة الإسلامية الذين كان لهم الدور الأكبر في حماية بغداد وضواحيها.

الحاجّ أبو علي البصري(١):

الحديث عن الحاجّ قاسم سليماني ومواقفه المشرفة مع عامة المستضعفين في العالم، وفي العراق خصوصاً، أمر في غاية

(١) معاون رئيس اركان هيئة الحشد الشعبي لشؤون العمليات.

الصعوبة، فمَن نحن حتّى نتحدّث عن الحاجّ قاسم؟ نعم كنا شهود عيان على عشرات المواقف للحاجّ قاسم سليماني في العراق، لكن الحديث عن تلك المواقف ربما لا يدركها عامة الناس.

أنا شخصياً أعرف الحاجّ قاسم سليماني منذ أكثر من ٣٠ عاماً، لكن سأتحدّث لك عمّا يخص الشأن العراقي وماذا قدّم الحاجّ قاسم للعراق في يوم تخلّى الجميع عن العراق بما فيهم التحالف الدولي كما يسمّيه البعض.

عندما أدرك الجميع بأنَّ أمريكا غير جادة في مساعدة الشعب العراقي، طلب الأخ نوري المالكي المساعدة من الجمهورية الإسلامية، لكن في الحقيقة الحاجّ قاسم سليماني وصل قبل الطلب الرسمي والبرتوكولات الرسمية.

منذ اليوم الأول لسقوط محافظة الموصل وصل لنا الحاجّ قاسم سليماني مع بعض مرافقيه، وكان عازماً منذ الساعة

الأولى على أن يوقف تقدّم العدو وينهي كلّ شيء، كما قالها أمام الجميع في أوّل جلسة عقدت بقيادة الحاجّ قاسم: لم ولن أسمح لهم أن يُسقطوا بغداد.

مهند العقابي:

بتاريخ ١٠_٦_٢٠١٤م يوم سقوط الموصل، كتب الحاجّ المهندس رسالة إلى جميع القيادات الجهادية، يطلب منهم أن يلتحقوا جميعاً إلى مقر الجادرية، علماً هذه المرّة الأولى التي أشاهد فيها الحاجّ المهندس يرتدي الزي العسكري.

عقد الاجتماع وبدأ الحاجّ المهندس بتوزيع الأدوار العسكرية، وعرّفني أمامهم بمسؤول الإعلام، حينها لم تصدر الفتوى المباركة بعد.

في مساء هذا اليوم وصل الحاجّ قاسم سليماني برفقة الشيخ قيس الخزعلي إلى مطار بغداد الدولي بعد ساعات من سقوط الموصل، ما إن وصل الحاجّ قاسم

حتى عقد اجتماعاً أمنياً مع قادة الفصائل، لم يطل الاجتماع كثيراً، حيث إنّه على الفور طلب الحاجّ قاسم من القادة الجهاديين التوجّه مع قواتهم نحو قضاء سامراء، كان الهدف الأوّل للحاجّ قاسم سليماني هو الحفاظ على قضاء سامراء وتأمين مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام.

التقيت الحاج سليماني وكان هذا هو اللقاء الأوّل، عرّفني له الحاجّ المهندس بمسؤول الإعلام؛ رحّب بي كثيراً وسألني عن اسمي قلت له: مهند، بقي يردد بإسمي لأكثر من ثلاث مرات: مهند، مهند، مهند، وهذا من أجل أن يحفظ إسمي، قال لي: ماذا تريد أن أقدّم لك في مجال الإعلام؟ قلت له: نحتاج إلى بعض الإمكانات، قال لي تواصل مع الشيخ كريميان رئيس اتحاد التلفزيونات والإذاعات الإسلامية.

منذ اللقاء الأوّل رأيت الحاجّ المهندس مهتماً كثيراً بالحاجّ قاسم سليماني، حيث كان الحاجّ قاسم هو مَن يترأس الاجتماعات العسكرية، بينما كان الحاج المهندس ـ واحتراماً للحاجّ قاسم ـ لا يتحدّث في شيء ويبقى مستمعاً له فقط.

تعلمون جيداً عندما نأتي لأي مكانٍ ونسلّم نبدأ بالسلام والمصافحة من اليمين، لكن كان الحاجّ المهندس يقول: أبدأوا بالسلام من الحاجّ قاسم، حتّى وإن كان جالساً من اليسار، من هناك ابدؤوا سلامكم؛ احتراماً له.

الحاجّ فالح الخزعلي:

حين سقطت مدينة الموصل مركز محافظة نينوى، أصبح هناك جو من الانكسار، كان الإعلام العربي ينقل صور انكسار القوات الأمنية العراقية، كما يبث عشرات اللقطات حول حرق آليات الجيش، وترك السلاح، والرتب العسكرية

في شوارع الموصل، وبسبب هذا الإعلام المموّل بدعم إرهاب داعش، ضعفت الروح المعنوية لدى بعض ضباط ومراتب الجيش العراقي، حتّى أصبح الانكسار يخيّم على الجميع.

لكن حضور الحاجّ قاسم سليماني، والفتوى المباركة، حوّلت تلك الهزيمة إلى انتصار.

بفضل الحاجّ قاسم، والسلاح الإيراني، كما وبحضور آلاف الشباب العراقيين، تغيّرت المعادلة من مدافعين عن بغداد إلى مهاجمين منتصرين محرّرين للمدن، محافظين على أرضنا وعِرضنا.

أنا كنت أستمع إلى وزير الدفاع العراقي آنذاك حين قال: لا نمتلك في مخازن وزارة الدفاع أكثر من ٢١ صاروخاً فقط، تخيّل أنت حجم الكارثة عندما تعرف بأنَّك لا تمتلك سوى هذا العدد من الصواريخ وثلث

العـراق سـاقط بيـد أنـاس إرهـابيين لا يعرفـون مـن الرحمـة شيئاً؟

حين كنّا نستمع لأرقام وزير الدفاع عن السلاح والذخيرة كنا نشعر بالرعب الحقيقي، وبينما نحن في حيرة من أمرنا جاءنا الحاجّ قاسم إلى بغداد محمَّلاً بالسلاح والذخيرة، وهو يقول: لا تهتمّوا للسلاح والذخيرة فأنا أوعزت لقادة الحرس الثوري ووزارة الدفاع بأرسال عشرات الطائرات المحمّلة بالسلاح والذخيرة.

أقسم لكم بالله كنا نشعر كأنَّنا كنّا في صحراء قاحلة أنهكنا العطش، وجاءنا الحاجّ قاسم و السلاح الإيراني كقربة ماء باردة أعادت لنا الحياة.

لو أردنا الآن أن نضع قيمة لتلك القربة من الماء فبماذا نقيّمها؟ صورتان لا تفارق مخيّلتي، وجّه الحاجّ قاسم بيننا في كلّ معركة، وتلك العبارة التي كتبت على حاويات السلاح

والذخيرة المستخدمة في حربنا مع العدو (ساخت إيران) أي: صنع في إيران.

أـ د:

منذ الاجتماع الأوّل مع القيادة العراقية وبعد ساعات من سقوط الموصل، تكفّل الحاجّ قاسم بإيصال السلاح والذخيرة للقوات الأمنية وفصائل المقاومة، حينها لم يكن الحشد الشعبي موجوداً بعد.

وبعد ٢٤ ساعة من عقد الاجتماع الأوّل وصلت إلى مطار بغداد الدولي عشرات الطائرات الإيرانية المحمّلة بأنواع الأسلحة وأطنان من الذخيرة ولم تخلوا الطائرات من الأمور التي يحتاجها المقاتلون.

كنت برفقة الحاجّ قاسم حين اتصل بقادة الحرس الثوري والجيش الإيراني وطلب منهم فتح جميع أبواب مخازن السلاح وإرسال أكبر عدد ممكن من السلاح والذخيرة

للعراق، أصابني الذهول وأنا أستمع لحديث هذا القائد العظيم الذي كان يأمر فقط والحكومة الإيرانية بكبار قيادتها تنفّذ.

أشعر بأنَّ الجمهورية الإسلامية بأسرها تحت قيادة الحاجّ قاسم سليماني، كما علمت علم اليقين بأنَّ أوامره مطاعة بلا أيّ نقاش.

عندما كنا نطلب السلاح من الحاجّ قاسم، لم يقل لنا أحتاج إلى قرارات رسمية وبرتوكولات، ولم يطلب منا عقوداً رسمية للسلاح، لم نسمع غير تلك الكلمة التي كانت سائدة في كلّ جلسة، لا تهتموا كثيراً للسلاح سيصل لكم كلّ شيء.

الحاجّ أبو علي البصري:

في يوم ٦/١١ التقينا جميعاً في دار الحاجّ المهندس، وكان الحاجّ سليماني موجوداً وهو من يترأس الاجتماع.

تحـدّث قلـيلاً، لكـن كـلّ الـذي تحـدّث بـه كـان فـي غايـــة الأهمّيـــة، كـــان يجمـــع لنـــا تلـــك النصـــوص المتبعثـــرة ثـــمّ يضـــع النقـــاط علـــى الحـــروف، حتّـــى نســـتفهم مـــا يـــدور حولنـــا مـــن مـــؤامرات ومـــاذا يـــراد مـــن إســـقاط الموصـــل فـــي ظـــلّ صـــمت مـــا يســـمّى بالتحالف الدولي.

✡ ✡ ✡

السلاح الإيراني:

عبد الحسين عبطان:

يوم ١٤ شعبان ليلة ١٥ كنت في كربلاء المقدّسة، وأنا داخل حرم الإمام الحسين عليه السلام تلقيت اتّصالاً هاتفياً وكان المتّصل الحاجّ المهندس، سألني عن مكان تواجدي فأخبرته في

كربلاء وعازم على إحياء أعمال هذه الليلة المباركة هنا، قال: «تعال سقطت الموصل وأريدك في بغداد وصاحبك هنا يريد يشوفك»، عرفت بأنَّه يقصد الحاجّ قاسم سليماني، قلت له: سأبقى هذه الليلة في كربلاء وغداً نلتقي في بغداد، وفعلاً في صباح اليوم الثاني توجّهت إلى العاصمة بغداد.

وصلت إلى دار الحاجّ المهندس وهنا التقيت بالحاج سليماني، وتذكرنا الحوار الذي دار بيننا في طهران عن أحداث غرب العراق والمنطقة، لم يطل حديثنا كثيراً حتّى كلّفني الحاجّ المهندس بمتابعة وصول السلاح والذخيرة الإيرانية واستلامها من مطار بغداد الدولي وإدخالها في المخازن بسجلاّت رسمية، ثمّ توزيعها على المجاهدين.

فعلاً استلمت مهام عملي ولم آخذ أيّ تعليمات أخرى، فأنا أعرف عملي جيداً، فأنا كنت مسؤولاً للدعم اللوجستي لأكثر من ٢٠ عاماً عندما كنا في المعارضة

آنـذاك؛ لـذلك حـين كلّفنـي الحاجّـان قاسـم وجمـال بهـذه المهمّـة، كـانوا على يقـين بـأني سـأكمل هـذه المهمّـة علـى أحسـن وجـه، فأنـا أعـرف جيـداً تعـداد اللـواء وعلـى أيّ صنوف يعتمد، وكم يكون تسليحه.

في كلّ ليلة كنت أستلم عشرات الحاويات المحمّلة بأنواع الأسلحة والذخيرة من الأخوة الإيرانيين، ومستمر في عملي بتجهيز كلّ القوات بالأسلحة والذخيرة، وهنا جاءني تكليف آخر من الحاجّ سليماني، وهو تسليح الجيش العراقي وبعض الصنوف العسكرية مثل المدفعية، والدبابات، وحتى الطائرات الحربية، وفعلاً وصلت الذخيرة الخاصة بالطائرات وذخيرة الدبابات، وبدأنا نسلّم الجيش العراقي والشرطة الاتحادية بلا أيّ مقابل، مجرّد توقيع صغير على أرقام الكمّيات المستلمة.

كـان يوصـيني الحـاجّ قاسـم سـليماني، بـأن أقسـم الـذخيرة والسلاح بين أبطال الحشد الشعبي والجيش العراقي.

ولكثرة العمليات العسكرية واتساع عدد المحاور بين محافظتي ديالى وصلاح الدين، أصبحت الذخيرة التي تنقل بالطائرات الإيرانية لا تكفي ولا تغطّي زخم المعركة، علماً كانت تصلنا الذخيرة كلّ يوم، لكن مع زخم المعركة لا تكفي، فأعطى الحاجّ قاسم سليماني أمراً للأخوة في الحرس الثوري، بأن يبذلوا أقصى جهدهم بإيصال السلاح والذخيرة للعراق، فاضطر الأخوة في الحرس الثوري للنقل براً وجواً.

المؤلف:

البعض يقول: إنَّ السلاح الإيراني والذخيرة لم تكن بالمجان، وإيران أخذت المال مقابل السلاح؟

عبد الحسين عبطان:

حين كنت في المهمّة لم نعط ديناراً واحداً للجمهورية الإسلامية، ولو فرضنا بأن كلّ ما تقدم من سلاح وذخيرة كان بأموالنا العراقية، فلنسأل متى أعطيناهم هذا المال ومتى وصل

السلاح؟ السلاح كان يعادل الروح حين كان الدواعش على أبواب بغداد، السلاح الإيراني كان كالماء البارد لعطش العراق.

طلبنا سلاح وذخيرة من كلّ دول المنطقة، ولم يستجب لنا أحدٌ سوى الإيرانيين، لماذا لم تقدّم لنا الدول العربية السلاح والذخيرة ونعطيهم ما يريدون من المال؟

علماً أنَّ دور الحاجّ قاسم سليماني في العمليات العسكرية وحرصه على العراق لم يكن محصوراً في منطقة جغرافية محدَّدة، أو طائفة عن أخرى، كان يدافع ويتواجد في جميع محاور العمليات العراقية، من ديالى إلى كركوك، وصولاً إلى سامراء وصلاح الدين.

أتذكر جيداً عندما حاصر داعش كردستان، هاتف الرئيس مسعود برزاني الحاجّ قاسم سليماني، وطلب منه المساعدة.

فكان رد الحاجّ قاسم سليماني لمسعود برزاني: فجر اليوم يوصلك كلّ شيء.

بقيت في بغداد والحاج سليماني ذهب إلى أربيل، كان الاتصال بين سليماني وبرزاني بعد صلاة الظهر، بالليل اتصلوا بي وأخبروني أنَّ السلاح وصل إلى مطار أربيل.

انتهت مهمّتي في هذا الواجب، بعد تكليفي بمنصب وزير الشباب والرياضة في حكومة حيدر العبادي.

الحاجّ أبو علي الكوفي:

عندما سقطت مدينة الموصل كنا نفتقر حتّى للذخيرة الخفيفة الخاصة بالكلاشنكوف، فكانت إمكانياتنا العسكرية ضئيلة جداً.

بعد أيام من الفتوى المباركة، أوصاني الحاجّ قاسم بأن أكون على اتصال مع قائد إيراني اسمه نوروزي، تواصلت مع نوروزي بخصوص التسليح والذخيرة وفعلاً بدأ التسليح

الإيراني يصل، كنا حينها ما زلنا في قضاء بلد وصل لنا السلاح والذخيرة الإيرانية وبعد ما كنا نفتقر للطلقة، أصبحنا نمتلك بيكيسيات، وهاون ٦٠، ٨٠، ١٢٠، في الطائرة الثانية وصل لنا سلاح الكاتيوشا والمدافع ١٥٢.

أصبح لدينا أوّل معسكر في شمال غرب العراق، هو قاعدة بلد الجوية، كان اسمها سابقاً قاعدة البكر.

والمعسكر الثاني هو في شمال شرق العراق، معسكر أشرف في محافظة ديالى، والذي أسماه الحشد الشعبي بعد شهادة الحاجّ المحمّداوي، بمعسكر الشهيد أبو منتظر المحمّداوي.

إصرار الحاجّ قاسم على فتح طريق بلد، هو المنطلق الحقيقي لوحدة القياس الذي تحدّثنا عنها.

كلّفني الحاجّ المهندس، بأن أكون في بغداد وأبقى أشرف على استلام وتسليم السلاح والذخيرة الإيرانية.

بعد معركة بلد جاءني أمر من الحاجّين قاسم وجمال بتسليح القوات الأمنية من الجيش العراقي والشرطة الاتحادية.

فعلاً باشرت بعملي وصرت أستلم السلاح من مطار بغداد ثمّ أستأجر عجلات حمل لنقله إلى مقر أكاديمية الشرطة، وكنا نفتقر حتّى لعجلات النقل؛ لذلك نضطر لتأجير عجلات من المدنيين لنقل السلاح والذخيرة.

في المرحلة الأولى أنقل السلاح من المطار إلى الأكاديمية ثمّ إلى معسكر بلد، وبعضه إلى معسكر المحمّداوي.
والدليل على اهتمام الأخوة الإيرانيين بتسليح العراق بأسرع وقت، كانواً ينقلون لنا السلاح والذخيرة بواسطة الطائرات، كلّ طائرة كانت محمّلة بثلاثين طناً من السلاح والذخيرة، وفي بعض الأيام تصل ٥ طائرات في يومٍ واحد، وكحد أدنى تصل لنا في اليوم الواحد طائرتان.

كنا نطلب من الحاجّ قاسم الذي نحتاجه من السلاح والذخيرة وفي اليوم الثاني تصل جميع طلباتنا، ومع النقل الجوي أصبح هناك نقل بري عن طريق إيران كردستان تحديداً محافظة سليمانية، وهذا أيضاً بتنسيق الحاجّ قاسم سليماني.

في أحد الأيام طلبت قيادة عمليات بغداد وكذلك قيادة الشرطة الاتحادية نوعاً من الذخيرة، كنا حينها لا نستخدم هذه الذخيرة في الحشد الشعبي، اتصل الحاجّ المهندس بالحاج قاسم وطلب منه ما طلب الأخوة، وبعد يوم واحد وصلت الطائرة محمّلة بكلّ الذخيرة التي أرادتها قيادة القوات الأمنية.

طلب الجيش العراقي ذخيرة أمريكية لسلاح (فيفتكال)، وخلال أيام أوصلنا لهم عشرات الأطنان من الذخيرة الإيرانية التي استخدموها في السلاح الأمريكي.

كذلك الطائرات العراقية السيخوي، بواسطة الحاجّ المهندس، حيث طلب من الحاجّ قاسم سليماني تجهيز الطائرات بذخيرة وقطع الغيار.

في العمليات العسكرية، صار العدو يركّز على إيقاف تقدّم قواتنا بالعجلات المفخّخة، فطلب الحاجّ قاسم تزويدنا بسلاح وذخيرة الكورنيت، وهو صاروخ موجّه ينطلق بواسطة قاعدة إطلاق مثبته على الأرض نسبة الإصابة فيه عالية جداً وهو السلاح الوحيد الذي استطاع تفجير العجلات المفخّخة.

فعلاً وصل السلاح مع المدربين اللبنانيين الذين طلبهم الحاجّ قاسم مع السلاح لتدريب العراقيين على استخدم هذا السلاح، الذي مكّننا فعلاً من إيقاف عجلات العدو المفخّخة.

يقول البعض: إنَّ هذا السلاح والذخيرة اشتريناه بأموالنا من إيران.

نعم صحيح كلّ السلاح والذخيرة اشتريناه من الجانب الإيراني، لكن كيف اشتريناه؟ كم كان مبلغها؟ متى أعطيناهم الأموال؟

علماً بأنَّ السلاح والذخيرة التي وصلت لنا في الأيام الأولى كانت بالمجان، ولم يؤخذ عليه دولاراً واحداً، لكن مع استمرار المعركة لأكثر من ثلاث سنوات، اختلف الأمر، وكانوا هم الخيار الأفضل لنا؛ فلا أحد يستطيع أن يبيع لك سلاحاً عبر الهاتف، وأن يقدّم لنا سلاحاً بهذه الطريقة السهلة وبهذه السرعة.

هذا البعض يركّز على القيمة المادية فقط، متناسين كيف يتم طلب وشراء السلاح وما يترتب عليه.

كذلك لأحدّثكم عن المبالغ المالية التي اشترينا بها السلاح من الجانب الإيراني.

مثلاً ذخيرة سلاح الففتكال، قيمة الأمريكي ١٥٠ ألف دينار عراقي، وقيمة الإيراني واصل لنا بهذه السرعة بـ ٤٥ ألف دينار عراقي فقط.

صواريخ الهليكوبتر ٨٢ ملم نفس الكمية التي أخذناها من إيران ب ٢٥ مليون دولار، كانت أمريكا تجهزها للعراق ب ١٠٠ مليون دولار.

الذخيرة الإيرانية الخفيفة والمتوسطة واصلة إلى بغداد الألف إطلاقة ب ٢٠٠ دولار، الأمريكي في العقود الذي يطول تجهيزها إلى سنوات، كلّ ألف إطلاقة بـ ٥٠٠ دولار، ناهيك عن السلاح والأرقام المتفاوتة بين الأمريكي والإيراني.

للعلم أنَّ القيمة الحقيقية للسلاح والذخيرة هي عندما تكون في متناول اليد حين العسرة والشدّة لا حين الرخاء واليسر، إيران أرسلت لنا عشرات الطائرات من السلاح والذخيرة بلا

أيّ مقابل، ومئات الطائرات الأخرى لم نعطهم من مبالغها إلاّ الشيء القليل جداً.

وفـي أسـوأ الحـالات أخـذنا السـلاح مـن إيـران بقيمـة ثلـث مـن سـعره الحقيقـي فـي كـلّ بلـدان العـالم، والحـاجّ قاسـم سـليماني لـم يكـن متفضّـلاً علينـا بتجهيـز السـلاح والـذخيرة فقـط، بـل علّمنـا كيـف نخـزن السـلاح وعلـى أيّ أسـاس يـوزّع، وأرسـل لنـا عشـرات المستشـارين الإيـرانيين مـن أجـل التـدريب علـى بعـض الصـنوف العسـكرية، وخبـراء بفحـص السـلاح والـذخيرة، حيـث كـانوا يفحصـون القنابـل الـ ١٥٢ واحدة تلو الأخرى.

بـالرقم الحقيقـي أتحـدّث لـك وأنـا شخصـياً مطلـع علـى كـلّ الارقـام، الحـاجّ قاسـم سـليماني جهّـز طيران الجيش العراقي بمليون صاروخ.

الحاجّ أبو كرار السهلاني[1]:

قسماً بالله في بعض المعارك كان الحاجّ أبو منتظر المحمّداوي يطلب من الحاجّ قاسم سليماني الكف عن تجهيز السلاح والذخيرة؛ لأنَّه لا يوجد لدينا أماكن تستوعب الكمّيات المجهّزة.

فكان يرد الحاجّ قاسم، عزيزي أبو منتظر ليس مهمّاً كمّية السلاح ولا حتّى الذخيرة لا تهتم لهم، المهم هو تحرير العراق بأسرع وقت.

۞ ۞ ۞

(١) أحد قادة الحشد الشعبي.

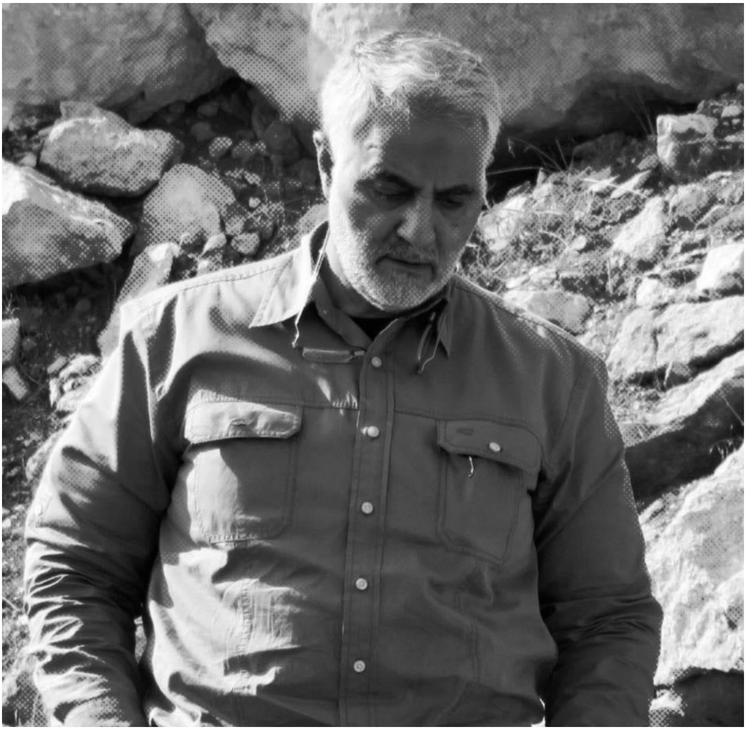

قضائي تلّعفر وسنجار:

الحاجّ أبو رضا النجّار[1]:

بعد أيام من إصدار الفتوى المباركة، اتصل بي الحاجّ المهندس وطلب مني مرافقتهم هو والحاج قاسم سليماني إلى

(١) قائد المحور الشمالي في هيئة الحشد الشعبي.

محافظة أربيل، وفي أربيل طلب مني الحاجّ قاسم بأن أذهب برفقة قوات البيشمرگة[١] إلى قضاء تلّعفر في محافظة الموصل، حينها كان العدو يسيطر على جزء كبير من قضاء تلّعفر.

أبلغني الحاجّ قاسم بأنَّ مهمّتي هي إيصال السلاح إلى أهالي تلّعفر فقط، كما قال لي: بأنَّ مهمّة البيشمرگة تنتهي في قضاء ربيعة التي تقع على الحدود السورية في محافظة الموصل ومن قضاء ربيعة أكمل طريقي إلى قضاء سنجار ثمّ قضاء تلّعفر، كما أكّد عليَّ الحاجّ المهندس بأن مهمّتي تنتهي مع وصول السلاح إلى قضاء تلّعفر.

في صباح اليوم الثاني خرجت مع شاحنات السلاح برفقة البيشمرگة، أنا من أهل طوز خورماتو جنوب محافظة

---

(١) البيشمرگة: كلمة كردية تعني الفدائي، وهي قوات كردية مرتبطة بحكومة إقليم كردستان، ويتم تأمين رواتبهم من الحكومة المركزية؛ أسوةً بالجيش العراقي.

كركوك، لكن لديَّ علاقات كثيره في تلّعفر؛ لذلك أخبرت الحاجّ قاسم بأني سأكون على اتصال مع رفاقي في تلّعفر من أجل مساعدتي، فرحّب بذلك.

كنت وأنا أسير برفقة شاحنات السلاح مع البيشمرگة، رأيت بأمّ عيني مئات العناصر من داعش يسيرون من منطقة اليعربية السورية إلى الأراضي العراقية، ورأيت أهالي القرى العراقية ترحّب بقدومهم.

في منتصف الطريق الذي محاط بمئات العناصر من داعش اكتشفت بأنَّ داعش لا يعترضون طريقنا، بل يسلّموا علينا ونسلّم عليهم.

أخرجت هاتفي واتصلت بالحاج المهندس وكان بجانبه الحاجّ قاسم وأخبرتهم بأنَّ داعش لا يعترض البيشمرگة، بل يسلّمون عليهم، فردَّ عليَّ الحاجّ قاسم وقال لي: بأنَّه مطلع على

كلّ شيء، ثمّ ذكّرني بأنَّ مهمّتي هي إيصال السلاح فقط، وقال لي نصاً: «أنت في مهمّة رسمية إذا نلت وسام الشهادة الحمد لله، وإذا لم تستشهد أكمل مسيرك حتّى انتهاء المهمّة».
وصلت إلى سنجار واتصلت بمجموعتي وسلّمت لهم السلاح والذخيرة، ثمّ اتصلت بالحاج المهندس وأخبرته بأنّي سلّمت السلاح إلى الإخوة، ففرح كثيراً.

واقع الحال في تلّعفر كان مبكياً، فالجيش العراقي قد انسحب، والشرطة المحلّية صارت تنسحب تدريجياً.
فاتصلت مجدّداً بالحاج المهندس ونقلت له الصورة الحقيقة للمعركة وأخبرته عن حال الناس.

أكثر من ١٠٠ ألف نسمة مهجّرين إلى سنجار، والشوارع أصبحت لا تستوعب الناس، والطقس مشمس وأيام شهر رمضان.

قلت للحاجّ المهندس ـ وكان الحاج قاسم يستمع لحديثي أيضاًـ: بأنَّ المعركة هنا خسرانة؛ لأنَّ روحيّة الناس منكسرة؛ فلذلك من الصعب أن تحارب بهم وتنتصر.

فأمرني الحاجّ المهندس بأن أخلي الناس قبل وصول داعش، قلت له: أحتاج إلى أموال حتّى أستطيع تأجير شاحنات كبيرة من أجل نقل الناس.

في اليوم الثاني حوّل لي مبلغاً على قضاء سنجار، كان حينها ٣٠ مليون دينار عراقي، ما يعادل في حينها ٢٥ ألف دولار أمريكي.

أخليت الناس، لكن ما زلنا بأمل إبقاء سيطرتنا على مطار تلّعفر، في غضون ساعات نظّمت مجموعة من أهالي تلّعفر كقوة قتالية، كانوا مدربين على استخدام السلاح وبعضهم كان عسكرياً.

اتصل الحاجّ المهندس وقال لي: بأنَّ لواء ١١ من الجيش العراقي ما زلوا في قضاء تلّعفر، إذهب وانظم إليهم، وسيكون لواء الجيش تحت إمرتك، فعلاً ذهبت إلى مقر اللواء وكان باستقبالي آمر اللواء، وكان الرجل معي جداً و قال لي: بأنَّه تلقّى اتصالاً من القيادة العسكرية وأخبروه بأن يكون تحت قيادتي.

سألته عن الموجود الكلّي من الجنود في اللواء، أخبرني بأنَّ عددهم الكلّي ٢٥٠ واحد فقط، قلت له: نستطيع أن نشكّل قوة مع العدد الذي معي، ونلتحق إلى أبو الوليد في مطار تلّعفر؟

قال: والله لن يبق معك حتّى عشرين جنديّاً؛ فالجنود منكسرين، ولا توجد لديهم أيّ روحيه للقتال، والمعركة تحتاج إلى معنويات عالية، فكن على يقين بأن جنودي لا يبقون معك إلى الطريق العام وليس المطار.

اتصلت بالحاج المهندس وتحدّثت مع الحاجّ قاسم وقلت له: «حجّي ترى ماكو شيء اسمه لواء ولا مقاتلين، الموجود في اللواء سلاح وآليات فقط جنود ماكو».

أخذت همرات الجيش المتروكة وكل القوة التي جمعتها معي لا تتجاوز الـ ١٥٠ مقاتل فقط.

السلاح والآليات مرميه في الطرق العامة، حتّى الدبابات كانت على الطرق وهي بكامل ذخيرتها.

طبعاً عندما نقول الجيش العراقي لا نعني الجندي؛ لأنَّ الذي هرب من المعركة هم القادة العسكريون وليس الجنود.

لو كانت هناك قيادة عسكرية حكيمة تشعر بالمسؤولية لأعطت الأوامر العسكرية بتلف الآليات العسكرية والسلاح، أفضل من أن يسيّطر عليه العدو ثمّ يقاتلنا به.

اتّصل بي الحاجّ المهندس، وأخبرني أنَّ أبا الوليد عازم على مغادرة المطار، فحاول أن تتصل به في أسرع وقت، كما طلب مني أتحدّث معه واقنعه بالبقاء في مطار تلّعفر.

تحرّكت فوراً وقبل أن أصل إلى مطار تلّعفر شاهدت أبا الوليد غادر المطار، استوقفت عجلته وتحدّثت معه، ثمّ سألته عن باقي الجنود الذين كانوا معه، فنحن لدينا قوة من بغداد بـ (١٦٠) مقاتلاً كانوا في مطار تلّعفر، فقال لي: أنّه أصدر أمراً بالانسحاب وهم لم ينسحبوا بعد.

لم أكن على اتصال مع قيادة المقاتلين الذين تركهم أبو الوليد في مطار تلّعفر، فاتصلت بالحاج المهندس، وقبل أن أشرع بحديثي عن هذه التفاصيل، أخبرني الحاجّ المهندس بأنَّ أبا الوليد انسحب، وبقي المقاتلون داخل المطار محاصرين وذخيرتهم قليلة جداً، فحاول في أسرع وقت لإخراجهم معك.

علماً أنَّ أبا الوليد أخبرني بأنَّ أمر الانسحاب من مطار تلّعفر جاءه بأمر القائد العام للقوات المسلحة.

أخبرت أبا الولد بأنَّ المقاتلين الذين بقوا في مطار تلّعفر محاصرين الآن وذخيرتهم قليله، وعلينا أن نخليهم في أسرع وقتٍ ممكن، وافق أبو الوليد، ولم يتردّد وذهب معنا بالقوات التي معه، واستطعنا إخراج المقاتلين، وكان بينهم شهيد واحد فقط.

بين دقيقة وأخرى يتّصل بي الحاجّ قاسم سليماني عبر هاتف الحاجّ المهندس وهو يسألني عن المقاتلين المتبقين داخل المطار، فأخبرته بأننا استطعنا إخراجهم سالمين ولم يكن لديهم سوى شهيد واحد، استبشر الحاجّ قاسم حين عرف بأننا استطعنا إخراجهم جميعاً.

أخبرني الحاجّ قاسم بأنَّ مهمّتي انتهت في تلّعفر وعليَّ الانسحاب فوراً، قلت له: سأبقى في قضاء سنجار وأحاول

مساعدة الناس الذين ما زالوا لم يخرجوا من تلّعفر، كما هناك الآلاف يريدون الخروج من سنجار.

بقيت في قضاء سنجار ٢٥ يوماً وقبل سقوط القضاء بيد العدو عرفت بأنَّ البيشمركة عازمين على الانسحاب من سنجار وتركها بلا حماية، اتصلت بالحاجّ قاسم وقلت له: إنَّ قضاء سنجار سيسقط؛ لأنَّ البيشمركة غير جادّين في قتال العدو، وربما هناك اتفاقيات فيما بينهم بعدم القتال، وقوات البيشمركة ينسحبون الآن، وأغلب المدن في قضاء سنجار، تترك خاليه بلا أيّ حماية، فطلب مني الحاجّ قاسم بأن أبقى حتّى أخلي جميع العوائل اليزيدين من سنجار. وفعلاً بقيت استأجر عجلات نقل كبيرة وأخلي الناس.

في آخر مجموعة خرجت من قضاء سنجار، أخليت جماعتي وخرجت أنا معهم إلى محافظة أربيل ثمّ إلى بغداد.

الشيخ جلال الدين الصغير:

شركاؤنا في الوطن لم يكونوا شركاء حقيقيين، العدو أخذ عشرات المدن وثلاث محافظات منهارة، ومسعود برزاني -رئيس إقليم كردستان - يصرّح بأنَّه لا نقبل بدخول الحشد الشعبي إلى المناطق المتنازع عليها.

اتصل بي الحاجّ ناصري، وأخبرني بأنَّه في قضاء سنجار، ويحتاج إلى قوة عسكرية.

كان العدو يزحف أتجاه سنجار وهي الطريق الوحيد إلى أربيل ثمّ كركوك.

قلت له: الأكراد لن يوافقوا على دخول قوات الحشد الشعبي هناك، فقال لي: إنَّ الكرد لا يوافقون على قوات العصائب والكتائب، وليس مطلق الحشد الشعبي!

قلت له: كم مقاتل تحتاج؟ قال: أحتاج لـ (٧٠٠) مقاتلاً، ولا تهتم في تجهيزهم عسكرياً، فهنا كلّ شيء متوفّر، فأريد مقاتلين فقط.

قلت له: رتّب أنت الأمر مع الأكرد وأنا سأحضر لك القوات.

انهار الوضع الأمني أكثر، ولم نستطع إرسال الجنود، وبقي الحاجّ ناصري مع العوائل اليزيدية محاولاً إنقاذ أكبر عدد منهم.

أتذكر أنَّه جاءني في ذلك اليوم اتصال من شخصٍ غريب، لم أتعرّف عليه من خلال صوته، ولكن من خلال صراخ النساء والأطفال عرفته أنَّه من أهالي سنجار، قال لي: نحن محاصرون ونحتاج أن تساعدنا، قسماً بالله لا أعرفهم ولا أعرف من أين أخذوا رقم هاتفي، بقيت على اتصال معهم حدود (٦) ساعات حتّى استطعت أن أخلّصهم والفضل لله والأخوة الذين وقفوا مع الإيزيدين لتخليصهم من أعداء الإسلام والإنسانية.

الدكتور علي الخفّاف:

كان الحاجّ قاسم إنساناً بكلّ ما تعني الكلمة؛ فقد كان الأخوة الإيزديون تحت حماية البيشمرگة، لكن بين ليلة وضحاها تركوهم على الجبال يواجهون الموت بمفردهم لا ناصر لهم ولا معين، قتل العدو منهم أكثر من (٤٠٠) شخص بينهم أطفال ونساء وكبار السن، فما إن سمع الحاجّ قاسم بهم حتى تحرّك نحوهم على الفور برفقة الحاجّ المهندس، وتعهّد بحمايتهم ونقلهم إلى مناطق أكثر أماناً.

وكان الحاجّ قاسم يقول: أنا لا تربطني بالإيزيدين سوى الإنسانية، وكلّ الذي قدّمته لهم هو من أجل الإنسانية.

۞ ۞ ۞

إلى سامراء:

الحاجّ أبو علي البصري:

وصل الحاجّ قاسم إلى مطار بغداد يوم ٢٠١٤/٦/١٠م بعد ساعات من سقوط محافظة الموصل، وعلى الفور طلب من المجاهدين العراقيين التجمّع في مطار بغداد من أجل التحرّك باتجاه معسكر اللواء ١٧ في الجيش العراقي بقضاء الدجيل؛ تمهيداً لفتح الطريق العام الرابط بين بغداد وسامراء.

أصـــرَّ علينـــا الحـــاجّ قاســـم بشـــكلٍ عجيـــبٍ أن نتقـــدّم نحـــو ســـامراء، أنـــا شخصـــياً أحـــد الـــذين طلبـــت مـــن الحـــاجّ قاســـم تأجيـــل العمليـــات إلـــى يـــوم غـــدٍ، قـــال: لا، اليـــوم يجـــب أن نخـــرج مـــن مقـــرّ اللـــواء ١٧، قلـــت لـــه: حجّـــي الآن الســـاعة ٦:٠٠ مســـاءً والطـــرق غيـــر مؤمّنـــة ويقينـــاً مفخّخـــة، قـــال لـــي: أنـــا طلبـــت مـــن الأخـــوة فـــي الجهـــد الهندســـي التقـــدّم أوّلاً وتنظيـــف الطـرق أمـام تقـدّم القـوات، أكّـدنا عليـه بـأن نبقـى هنـا حتّـــى الصـــباح، فقـــال لنـــا: أنـــا ذاهـــب مـــع القـــوات والخيـــار لكـــم إذا تريـــدون أن تـــأتوا معـــي أو تبقـــوا كما تحبّون.

طبعـاً تحرّكنـا كمـا يريـد الحـاجّ قاسـم، وعنـدما وصـلنا إلـى قضـاء بلـد، أدركنـا بـأنَّ الحـاجّ قاسـم كـان قـراره صـحيحاً، وأنَّ عمليات فتح الطرق كانت موفّقة.

جلال الدين الصغير:

في الساعات الأولى من سقوط مدينة الموصل وصل الحاجّ قاسم سليماني إلى أرض العراق، وما إن حطَّ رحله في بغداد، حتى تحرّك سريعاً تجاه سامراء.

أ ــ د:

كنت على اتصال مع السيّد محمّد رضا علي السيستاني، وكان مهتمّاً جداً بالوضع الأمني لمدينة سامراء والحفاظ على المراقد المقدَّسة فيها.

بتاريخ ٢٠١٤/٦/١١م اتخذ الحاجّ قاسم قراراً بالتحرّك فوراً إلى قضاء سامراء و قال: إذا سقطت مدينة سامراء، ستهدم المراقد من جديد، وإن حدث هذا الشيء لا سمح الله، ستنكسر الروح المعنوية لدى الشيعة، ويصبح هناك انهزام واضح، تحرّكنا برتل كبير من العجلات المصفّحة وغير المصفّحة، ولا نعلم ماذا يخفي لنا

القدر، كان الحاجّ أبو مهدي المهندس والحاج أبو فدك المحمّداوي، وعدد من القادة الجهاديين كلّهم برفقة الحاجّ قاسم سليماني، وصلنا إلى مقر اللواء ١٧ بالجيش العراقي الموجود قبل قضاء الدجيل، استقرّت القوات ليلة واحده في مقرّ اللواء بانتظار المجاهدين القادمين من محافظة البصرة، لكن تأخّروا حتّى اليوم الثاني، فطلب الحاجّ قاسم من القوات التحرّك إلى قضاء بلد وفتح الطريق العام بين بلد والدجيل، كان خيار بعض الأخوة أن نبقى في المعسكر حتّى وصول مجاهدي البصرة، لكن أصرّ الحاجّ قاسم على التقدّم في هذا اليوم إلى قضاء بلد، وقال: الذي يريد البقاء يمكنه البقاء، لكن أنا سأذهب نحو بلد حتّى وإن كنت بمفردي، ما إن سمع الأخوة حديث الحاجّ قاسم حتى خرجوا جميعاً معه، وفعلاً فتح الطريق و وصلنا إلى

قضـاء بلـد وهنـا أدرك الجميـع أنَّ إصـرار الحـاجّ قاسـم على القدوم إلـى بلـد كـان صـحيحاً، ولـو لـم نصل فـي هـذا الوقت لتمّت محاصرة بلد مثل ما فعلوا بمدينة آمرلي.

طلب الحاجّ قاسم من الأخوة القادة التحرّك نحو قضاء سامراء، فتحرّكت القوات بقيادة الحاجّ قاسم، ولمّا تحرّكنا تجاه سامراء، أمطرت الدنيا علينا رصاصاً بدلاً من الماء، بحيث لم نستطع أن نتحرّك متراً واحداً، كانت المواجهات مع العدو شرسة جداً ونحن بإمكانيات ضعيفة لا تذكر، كان الحاجّ قاسم يجلس بجانبي والرصاص من كلّ صوب نحو العجلة التي نستقلّها، والذي لفت انتباهي للحاجّ قاسم هو عدم اهتمامه بالرصاص الذي يُطلق نحونا، وكأنَّه لم يكن يسمع ذلك الرصاص.

وبعد الاشتباكات العنيفة التي استمرت إلى ساعات، اضطرت قواتنا للانسحاب إلى قضاء بلد من أجل أعادة تنظيم صفوفها

مجدَّداً، ودراسة المنطقة أكثر، والتفكير بخطة عسكرية أخرى، ما لم تكن هناك خطّة عسكرية بديله محكمة، لا يمكن لأي قوة اجتياز هذا الطريق مهما كانت، حيث يمتاز الطريق العام الرابط بين قضاء بلد وسامراء بكثافة البساتين، وهذه من أهم العوامل التي تساعد على اختفاء العدو.

مع شراسة المعركة وتحت أزيز الرصاص، كان الحاجّ قاسم مركّزاً جداً على دور بعض العسكريين الذين كانوا معنا أثناء الاشتباكات، وما إن انتهت المعركة حتى سألني هل حال الجيش العراقي كهؤلاء العسكريين الذين حولنا؟ قلت له: لا طبعاً، فالذين تراهم حولك الآن يسمّون النخبة، والجيش أقل إمكانية قتالية منهم.

ابتسم وقال: إن كانوا مثل هؤلاء، فلا ينفعون بالحرب مع العدو، العدو جاء بإمكانيات عجيبة وكبيرة جداً وتحتاج إلى قوة عسكرية مدرّبة حتّى نستطيع مواجهتهم.

في اليوم الثاني تحرّك الحاجّ قاسم برفقة الحاجّ المهندس لاستطلاع طريق سامراء بعجلتين فقط، لكن لم يمضوا كثيراً، فما إن ساروا في الطريق قليلاً حتى تعرضوا للقصف بواسطة قنابر الهاون.

كان الحاجّ قاسم مصراً على أن يصل إلى سامراء بأسرع وقت وكان يقول: نحن في سباق مع الوقت والعدو.

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

أنا أعرف الحاجّ سليماني منذ أكثر من ٢٠ عاماً، وطيلة تلك الأعوام لم أرَه هكذا عجولاً، كان يتنقّل بين بغداد وسامراء وديالى في نفس اليوم، كان في صراع مع الوقت، وفي بعض المواقف أراه مصرّاً على موقف معيّنٍ وهذا بعيد جداً عن طبيعة الحاجّ قاسم، لكن تعامل مع العراق ودخول العدو بعقل مختلف تماماً، كان يريد ـ وقالها كثيراًـ إيقاف تمدّد العدو والحفاظ على بغداد بأيّ ثمن كان.

قبـــل الفتـــوى المبار كـــة بأيـــام، تحرّكنـــا نحـــو قضـــاء الـــدجيل بقيـــادة الحـــاجّ قاســـم والحـــاج المهنـــدس، وكنّـــا بإمكانيـــات ضـــئيلة جـــداً علـــى مســـتوى الســـلاح وحتـــى العجـــلات، كـــذلك لـــم يكـــن لـــدينا عـــدد كبيـــر مـــن المقـــاتلين، فكـــلّ موجودنـــا هـــو فـــوج واحـــد مـــن أهـــالي محافظـــة ميســـان، بقيـــادة الحـــاجّ أبـــي منتظـــر المحمّـــداوي[١]، وننتظـــر قـــدوم فـــوج آخـــر مـــن محافظة البصرة بقيادة أبي حبيب السكيني[٢].

تحرّكنـا تجـاه قضـاء الـدجيل وكـان اسـتقرارنا فـي مقـر اللـواء ١٧ مـن الجـيش العراقـي، وكـان هـذا اللـواء شـبه المدمّر.

(١) آمر اللواء العاشر، استشهد عام ٢٠١٦م اثناء عمليات تحرير ناحية الصقلاوية.

(٢) آمر اللواء الرابع، استشهد عام ٢٠١٥م اثناء عمليات تحرير ناحية الصقلاوية.

انتظرنا وصول الحاجّ السكيني مع قواته لكنَّه تأخّر قليلاً، وهنا طلب منا الحاجّ سليماني، أن نتحرّك بقواتنا نحو قضاء بلد وفتح الطريق، كان هناك رأي من الأخوة القادة أن نبقى هذه الليلة في مقر اللواء حتّى وصول قوات البصرة.

رفض الحاجّ سليماني أيّ مقترح وأصرَّ على أن نتقدّم نحو بلد، وقال: سأتحرّك أنا بمفردي، ومَن يريد البقاء والانتظار فلينتظر.

فعلاً تحرّكنا حسب ما يريده الحاجّ سليماني، ووصلنا إلى قضاء بلد بعد اشتباكات في فتح الطريق العام بين الدجيل وبلد، وهنا خرج أهالي بلد مرحّبين بقدومنا، وتطوّع منهم العشرات معنا، وهنا أدركنا أنَّ إصرار الحاجّ سليماني على الوصول إلى بلد في هذه الليلة كان صحيحاً؛ فلو لم نصل تلك الليلة لوقعت بلد تحت

حصار داعش، وربما تسقط، وتتعقّد الأمور أكثر أمامنا، ونحن نريد الوصول إلى سامراء بأسرع وقتٍ ممكنٍ.

تحرّك الحاجّ قاسم سليماني نحو سامراء، لكن لم نستطع إكمال الطريق بسبب كمائن العدو على جانبي الطريق.

اشتبكنا مع العدو وكانت الاشتباكات دامية، ونحن بإمكانيات قليلة جداً، ومن الصعب أن نصل إلى سامراء مع قوات هذا العدو.

أعطينا عدداً من الشهداء وعشرات الجرحى، وكان من الممكن جداً أن ينال الحاجّ قاسم الشهادة في تلك الاشتباكات؛ لأنَّه كان مصراً على أن يكون بين المقاتلين.

عدنا إلى قضاء بلد، وفي مساء اليوم الثاني المصادف ٢٠١٤/٦/١٣م جاءت فتوى الجهاد الكفائي.

جاءت الفتوى بملايين المتطوّعين، وجاء معها السلاح الإيراني، اجتمعت الفتوى والسلاح وتحقّق النصر.

من بغداد إلى بيروت:

الحاجّ حسن فدعم:

بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٣م انطلقت فتوى الجهاد الكفائي والتي كانت لنا بمثابة الإنعاش لإنسانٍ أشرف على الموت، ثمّ عادت له الحياة.

في مساء يوم ٦/١٣ ذهب الحاجّ قاسم إلى حزب الله اللبناني طالباً منهم عدداً من المستشارين العسكريين.

حزب الله لديهم خبرة كبيرة في حرب الشوارع وتحرير المدن، كما نحتاج خبراتهم بتدريب المتطوّعين الجدد الذين جاءات بهم الفتوى المباركة.

تفاوتت الأرقام بعدد المتطوّعين الذين سجّلوا أسمائهم بنداء الفتوى المباركة، لكن كرقم أقرب للصحيح بالأيام الأولى السبعة سجّل أكثر من ٤ مليون اسم متطوّع.

وهنا ازداد دور الحاجّ قاسم سليماني بين فتح المعسكرات وتجهيزها بكل ما تحتاج، وبين قيادة العمليات العسكرية لتوقّف امتداد داعش على المدن الأخرى من حزام بغداد.

السيّد حسن نصر الله[١]:

في يوم الفتوى التاريخية المشهور لسماحة السيّد السيستاني (دام ظلّه الشريف) في موضوع الجهاد وإعلان حالة تطوّع

---

(١) النص مقتبس من لقاء تلفزيوني.

وإقبال الأخوة العراقيين على الجبهات، جاء الحاجّ قاسم من مطار بغداد إلى مطار دمشق ومن دمشق إلى بيروت الضاحية، وصل عندي في الساعة ١٢:٠٠ ليلاً و قال الآن الساعة ١٢:٠٠ مع طلوع الفجر أنا أريد منكم ١٢٠ قائد عمليات من اللبنانيين قلت له: يا حاجّ الساعة الآن ١٢:٠٠ ليلاً، فمن أين آتي لك بـ ١٢٠ قائد عمليات!؟

قال الحاجّ قاسم: لا يوجد حلٌّ آخر إذا كنا نريد أن نواجه داعش وأن ندافع عن الشعب العراقي وعتباتنا المقدّسة، والحوزات العلمية، فليس لدينا أيّ خيار آخر، لا أريد منكم مقاتلين، أنا أريد منكم قادة عمليات.

لذلك أنا في الخطاب قلت: منذ ٢٢ عاماً من علاقتنا بالحاج قاسم سليماني لم يطلب منا شيئاً حتّى لإيران! مرة واحدة طلب وهو للعراق؛ وهم القادة الميدانيون.

بقـي معـي وكنـا نتّصـل بـالأخوة واحـداً واحـداً، حتـى قمنـا بتـأمين مـا يُقـارب ٦٠ قائـداً ميـدانياً، وبعـض القـادة كـانوا بالجبهـة فـي سـوريا، قُلنـا لهـم: أذهبـوا إلـى مطـار دمشـق، وبعـض الأخـوة فـي لبنـان أيقضـوهم مـن نـومهم، وجئنـا بهـم مـن بيـوتهم؛ لأنَّ الحـاجّ قاسـم قـال: أنـا أريـد أن آخـذهم معـي فـي الطائرة بعد صلاة الفجر.

وفعلاً بعد صلاة الفجر ذهب الحاجّ قاسم إلى دمشق، ومن هناك سافر ومعه من ٥٠ إلى ٦٠ قائداً ميدانياً من قادة حزب الله.

ذهب بهم الحاجّ قاسم إلى الجبهات في العراق، وقال: لا أريد مقاتلين يوجد متطوّعين مقاتلين كثر في العراق، لكن أحتاج إلى قادة؛ لإدارة هؤلاء المقاتلين وأيضاً نقل الخبرة والتجربة.

لم يذهب قبل أن يأخذ مني التزاماً خلال يومين أرسل له بقيّة الأخوة.

شعرت في تلك الليلة أنَّ الدُنيا كلّها عند الحاجّ قاسم، هذا العراق وهذه المعركة، كما كان يعتبر هذه المعركة هي مصيرية، ولا يجوز أن نتسامح بها، كان حاضراً أن يُقتل بها، وأنا قلت له: يا حاجّ أنت كُنت في الموكب الذي أتجَه بإتجاه قضاء سامراء، وهذا أمرٌ خطيرٌ، قال: لم يكن هناك خيار آخر، كان عليَّ أن أمشي حتّى يمشي الآخرون، الوقت ضيق جداً ولا نستطيع أن نقاتل بحسابات، كان جداً متأثّراً لمّا كان يجري في العراق، كما كان مستعدّاً أن يُقتل ألف مرَّة في العراق من أجل نجاة الشعب العراقي.

✿ ✿ ✿

سامراء:

الحاجّ أبو امتحان الحلفي:

عام ٢٠١٣م تكلّفت رسمياً بمهام مدير استخبارات عمليات سامراء، ومن أوائل الذين رحّبوا بأن أكون في هذا المكان هم الحاجّان قاسم وجمال.

منذ نهاية عام ٢٠١٣م حتّى عام ٢٠١٤م بدأت عمليات داعش الإرهابية تزداد في المحافظات الغربية، وخصوصاً في محافظة صلاح الدين.

بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠م سقطت مدينة الموصل مركز محافظة نينوى بيد تنظيم داعش الإرهابي.

بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٢م سقطت مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين، وما إن سيطر العدو على مدينة تكريت، حتى تقدّموا نحو قضاء سامراء، أحاطوا المدينة ٣٦٠ درجة، أصبح العدو يبتعد عن قضاء سامراء شمالاً وجنوباً ٤ كم وعن مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام ٥ كم.

ولمّا باشر العدو بقطع الطريق العام بين بغداد وسامراء، قُطعت عنا كلّ الإمدادات، ونحن بالأصل لم تكن لدينا إمدادات كافية لمعركة تطول ساعات وليست أياماً.

كانت هناك مؤامرة حقيقية بقطع الإمدادات عنا مع وصول العدو بذريعة قطع الطرق العامة.

كنا نخاطب وزارة الدفاع عن الذخيرة والإمكانات الحربية، يقولون لنا: هذا الموجود، قاوموا حسب استطاعتكم، وهذا يعني لا تقاوموا العدو.

كان لدينا خمس مدافع، وكل الذخيرة الموجودة للمدافع الخمسة ٨٢ قنبرة فقط، والحد المسموح به بالرماية خلال اليوم الكامل هو ٥ قنابر، وكحد أعلى ٦ قنابر فقط.

بعد ساعات من سقوط محافظة صلاح الدين، اتصل بي الحاجّ المهندس وسألني عن معنوياتنا وعن أوضاع مدينة سامراء، فتحدّثت له عن كلّ التفاصيل.

فأخبرني الحاجّ المهندس بأنَّ الحاجّ قاسم سليماني بجانبه ويستمع لحديثي، سلّمت على الحاجّ قاسم فأخذ الهاتف من الحاجّ المهندس وأكمل الحديث معي.

سألني الحاجّ قاسم عن سامراء وما يجري حولها، فتحدّثت له عن تفاصيل سقوط محافظة صلاح الدين وكيف طُوقت

مدينة سامراء، وقلت له: إنَّ العدو سيهاجم المدينة، وقيادة عمليات سامراء ليست لديها إمكانيات استمرار المعركة لأيام إذا لم تصل لنا إمدادات عسكرية.

طلب مني الحاجّ قاسم أن نحافظ على مرقد الإمامين العسكرينعليهما السلام بأيّ ثمن كان.

فقلت له: حجّينا العزيز إلاّ إذا أصبحنا جثث هامدة يمر العدو علينا إلى مرقد الإمامين، لا تقلق وكن على يقين سأبقى أنا ومَن معي ندافع حتّى آخر قطرة من دمائنا، وليست آخر طلقة في سلاحنا.

بقي الحاجّ قاسم يوصيني بالصبر. وللعلم بأنَّ كلّ موجودنا من ضبّاط ومراتب في قيادة عمليات سامراء ٢٥٠ فرد فقط.

في اليوم الثاني اتصل بي الحاجّ قاسم وقال لي: أنا الآن بجانب رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة آنذاك نوري

المالكي، وهو يسمع صوتك أريد أن تتحدّث له عن كلّ التفاصيل التي تحدّثت لنا عنها ليلة البارحة.

تحدّثت مع رئيس الوزراء وشرحت له كلّ ما يجري حول سامراء، ولمّا أكملت حديثي معه أوصاني الحاجّ قاسم مرةً أخرى بالصبر والصمود، وقال لي: اصبروا ثلاث أيام فقط وسأصل إليكم، كما قال لي: لا تهتمّوا بالسلاح والذخيرة فأنا قادم لكم والذخيرة محمّلة معي.

يوم ٢٠١٤/٦/١٣م اتصل بي الحاجّ المهندس وأخبرني بأنّهم وصلوا إلى قضاء بلد، وقبل أن ينهي الحاجّ المهندس المكالمة معي، قال لي: أنتم الآن تدافعون عن مذهبكم، كونوا شجعاناً، كونوا أبطالاً، اصبروا سيتحقّق النصر بإذن الله.
أخذ الحاجّ قاسم الهاتف من الحاجّ المهندس وقال لي: ابذلوا كلّ جهدكم كونوا عيوناً ساهرة لحماية المراقد المقدّسة،

تحمّلوا ثلاثة أيام وأنا شخصياً سأكون معكم، سأقبّل جبينك كما يقبّلها الحاجّ المهندس.

ثمّ سألني الحاجّ قاسم عن الطريق العام بين سامراء وبلد، فقلت له: الطريق جداً معقد، وتقريباً بأكمله مفخّخ، وهناك عشرات الكمائن للعدو على جانبي الطريق، وأنَّ الأخوة من جهاز مكافحة الإرهاب تحرّكوا بعجلات ثمانية نوع همر ولم يصل منها سوى ثلاث عجلات فقط، وأمّا باقي العجلات فقد احترقت هي وجنودها ولم يخرج منهم أحد.

حاول الحاجّ قاسم التقدّم نحو قضاء سامراء وفتح الطريق العام، لكن حدث ما هو متوقّع والذي حذّرت منه الحاجّ قاسم، حيث وقعت قواتنا بكمين كبير جداً للعدو تسبّب بشهادة عدد من أبطالنا، وكاد الكمين أن ينهي حياة الحاجّين قاسم وجمال معاً.

لم يستعجل الحاجّ قاسم بهذه الطريقة سابقاً ولا لاحقاً، وعُرف عنه أنَّه كثير التأني والصبر، لكن هذه المعركة كانت معركة وقت مع العدو، نحن كنا في عمليات سامراء بالأنفاس الأخيرة؛ لذلك اضطرَّ الحاجّ قاسم للتقدّم ليلاً وسط المخاطر على أمل الوصول إلينا قبل وصول العدو.

أخلوا الشهداء والجرحى وعادت القوات إلى قضاء بلد، وما إن وصلوا إلى بلد حتى اتصل بي الحاجّ قاسم عبر هاتف الحاجّ المهندس، وأخبرني بما حدث معهم وقال: بأنَّهم تعرّضوا إلى كمين كبير وقوي جداً، وهناك العشرات من الشهداء والجرحى، كما أخبرني بأنَّ العدو جهّز كلّ إمكانياته على قطع الطريق والتصدّي للقوات القادمة من بغداد، فقلت له: ما هو الحل حسب رأيكم حجّي؟

قال لي: اعمل من الآن على اختيار وتجهيز قوة قتالية من خيرة أبطالكم المتبقين في عمليات سامراء مع آلياتهم، وتقدّم بهم

نحو قضاء بلد، ونحن من هنا سنتقدّم معكم، وعليه سيكون العدو مشغولاً بجبهتين وستقل إمكانياتهم في المعركة.

قلت له: حجّينا العزيز عليك الاتصال برئيس الوزراء، واطلب منه الاتصال بقائد عمليات سامراء، صباح الفتلاوي؛ لأنَّه هو قائد العمليات، وهو مَن يستطيع تحريك القوات لا أنا.

فعلاً تمَّ الأمر واتصل رئيس الوزراء بقائد العمليات صباح الفتلاوي، وقال له: إنَّ العميد محمّد (أبو امتحان) ضابط الاستخبارات العسكرية له الأذن في كلّ شيء وتعاون معه، وبالفعل أصبحت القيادة تحت تصرفي مع مساعدة الأخ صباح الفتلاوي.

يوم ٢٠١٤/٦/١٤م بعد يومٍ واحدٍ من الفتوى المباركة تحرّكنا تجاه قضاء بلد كما أراد الحاجّ قاسم، لكن واجهنا نفس المشكلة التي واجهها الحاجّ قاسم، حيث كان الطريق العام بأكمله مفخّخاً والتقدّم نحوه وفي

وضح النهار أشبه ما يكون بالانتحار، وأمّا المسير ليلاً فيعني الانتحار الحقيقي، لم نستطع المحافظة حتى على الأماكن التي سيطرنا عليها في الساعات الأولى من التقدّم، فكان هناك خيار آخر وهو أن نتجه نحو ناحية الإسحاقي والتي تبعد عن قضاء سامراء ١٥ كم، وتقع على الطريق العام بين قضاء بلد وسامراء، فأخبرت الحاجّ قاسم بالأمر وقلت له: الحل الوحيد هو أن نتجه صوب ناحية الإسحاقي، ومن هناك نستطيع أن نتحرّك بمساعدة شيوخ العشائر، فأنا أعرف العديد منهم وهم مستعدون أن يقاتلوا معنا ضد داعش.

فسألني الحاجّ قاسم، أبو متحان عزيزي تستطيع الوصول إلى الإسحاقي؟ قلت له: نعم حجّي أستطيع إن شاء الله.

أعرف في ناحية الإسحاقي شيخ عشيرة وهو صديقي الشيخ نعمان البزيع شيخ عشيرة البو مجمع، كان الشيخ نعمان

مسجوناً في محافظة صلاح الدين، وعندما احتلّت داعش المدينة اطلق صراح جميع السجناء ومنهم الشيخ نعمان.

اتصلت بالشيخ نعمان وقلت له: هل تستطيع أن تأتي لي في قيادة عمليات سامراء؟ قال لي وهو يضحك "شنو تردون تسجنوني مره أخرى؟" قلت له: لا احتاجك في أمر ضروري، قال لي: عميد محمّد! لا زال داعش وسط الإسحاقي، ووصولي لكم يعني موت حتمي لي.
اتفقنا أن يتحرّك سراً بعد منتصف الليل، وفعلاً في الساعة ١:٣٠ بعد منتصف الليل وصل لي الشيخ نعمان وجلسنا معاً.

تحدّثت مع الشيخ نعمان وقلت له: شيخنا أنا أعرف بأنَّك من شيوخ العشائر الأبطال، كما أعرف بمواقفك المشرّفة ضد القاعدة آنذاك، والجميع هنا تشهد بشجاعتك، فقال لي: آمر عميد محمد.

قلت لـه: نحـن عـازمون علـى التقـدّم نحـو ناحيـة الإسـحاقي، ونطلـب مسـاندتكم فـي هـذا الأمـر، وأنـت شـيخ عـام ولـك كلمـة فـي مركـز الناحيـة والقـرى المحيطـة بهـا، وإذا وقفـت معنا أنصبك مـديراً علـى الناحيـة، فقـال لـي ـ وهـو مبتسـم ـ: معقوله تستطيع أن تجعلني مدير الناحية؟!

قلت له: نعم وسأتصل الآن أمامك، أخذت هاتفي واتصلت بالحاج المهندس، سألته عن محل تواجده فقال لي: إنَّه برفقة رئيس الوزراء، فقلت له: إنَّ الشيخ نعمان سيكون معنا وأنا قلت له: ستكون مدير الناحية إذا وقفت معنا، قال لي الحاجّ المهندس، رئيس الوزراء على مسمع من حديثك، ويقول: ماذا يقول عميد محمد يُنفّذ، قلت له: إن شاء الله حجّي هناك أخبار ستكون مفرحة، وقبل أن أنهي المكالمة قال لي الحاجّ المهندس: أخبر الشيخ نعمان أن يجمع لنا أكبر عدد من عشيرته وسيتم تعيينهم مباشرة الآن من رئيس الوزراء، اطلب

منه أن يشكّل فوجاً برئاسته وهو مَن سيكون آمر الفوج برتبة فخرية.

استبشر الشيخ كثيراً بحديث الحاجّ المهندس، وخرج وهو مطمأن جداً، مع العلم أنَّه لم يعرف مَن هو الحاجّ المهندس، لكن كان يقول: مازال هذا الذي تحدّث معك أنت تثق به، فأنا أثق به أيضاً.

عاد الشيخ نعمان إلى ناحية الإسحاقي قريب الفجر، و بقيت أنا مستيقظاً حتّى الصباح؛ كي أخبر قائد العمليات صباح الفتلاوي بالمستجدّات، وعندما أخبرته عن نيّتنا بالتقدّم نحو ناحية الإسحاقي كان غير مقتنع بهذه الخطوة، فقلت له: سيّدي الموت على الطريق العام بين بغداد وسامراء أفضل من الموت في مقر قيادة العمليات، أنا أخذت الأذن من رئيس الوزراء وسأتقدّم حتّى لو قتلنا جميعاً.

كنت أشعر بالذلّة عندما يتّصل بنا بعض شيوخ عشائر سامراء ويقولون لنا: إذا تضايقتم وتقدّم عليكم العدو تعالوا لنا هذه بيوتنا مفتوحه لكم، فمهما كان موقفهم ومهما كانت غايتهم، أنا كنت أرى هذ الشيء إهانة وذلّة للمؤسسة العسكرية؛ فمن المعيب علينا أن يتصل بنا شخص مدني ويقول لنا: أنا أحميكم، فكنت أرد عليهم نحن باقون وقيادة العمليات أبوابها مفتوحه لكم إذا شعرتم بالخطر، ونحن من سنتكفّل بحمايتكم.

علماً بأنَّ العدو بدأ بشن هجوماته على قضاء سامراء منذ يوم ٢٠١٤/٥/٢٨م قبل احتلال الموصل ب ١٣ يومٍ، لكن كلّ هجوماتهم بائت بالفشل.

وفي أحد الهجومات استطاعوا السيطرة على جامع الرزّاق الذي يبتعد عن حرم الإمامين العسكرين عليهما السلام ١،٥ كم ولقوا خطاباً في الجامع، وخضنا معهم أشرس معركة وتدخّل فيها

طيران الجيش، وبعد (٥) ساعات من الاشتباكات العنيفة انسحبوا من المنطقة وعادت تحت سيطرتنا.

في الأيام الأولى من سقوط محافظة صلاح الدين ومحاصرة قضاء سامراء، كنا نعتمد على طيران الجيش العراقي، لكن بعد سقوط منشآت المثنى، لم يعد الطيران يستطيع الوصول إلينا.

يوم ٢٠١٤/٦/١٥م في تمام الساعة ٥:٠٠ صباحاً، تحرّكنا تجاه ناحية الإسحاقي، اتصلت بالشيخ نعمان وقلت له: نحن قادمون إلى ناحية الإسحاقي، قال لي: وأنا جاهز معكم لكن لا أتحرّك ولا أطلق إطلاقة واحدة حتى أراكم أمام عينيّ واقفين على أبواب الناحية.

كان الحاجّ قاسم والحاج المهندس معي عبر الهاتف، وكنت أستمد عزيمتي منهم، وكنت أستمع لدعائهم لنا، وأشعر بأنَّ النصر حليفنا لا محال.

اتفق معي الشيخ نعمان بأنَّه إذا شاهد قواتنا قريبة عليهم، سيأمر الشباب الذين معه بالرماية من أعلى سطوح البنايات إتجاه السوق الذي هو تحت سيطرة العدو.

قلت لقائد العمليات: إنَّ هذه العمليات ستكون باسمك وأنت معنا، ورئيس الوزراء على اطّلاع مباشر بسير العمليات.

اتصلت النائبة حنان الفتلاوي بشقيقها صباح الفتلاوي، وقالت له: إنَّ هناك قائداً عالميّاً سيقف معنا هو وبلده، والأوضاع تتّجه نحو النصر إن شاء الله. شعرت بأنَّ معنويات القائد صارت أفضل.

علماً أنَّ قائد العمليات صباح الفتلاوي لا يعرف مَن هو القائد الذي تتحدّث عنه شقيقته، ولا يعرف أيّ بلد تقصده، كذلك هو لم يكن يعرف بأنّي أتحدّث مع الحاجّ قاسم سليماني يومياً عبر الهاتف.

استمرت المعركة من الساعة الخامسة صباحاً حتّى الساعة الواحدة بعد الظهر إلى أن وصلنا إلى ناحية الإسحاقي.

كان نصراً عظيماً عندما أخذنا الإسحاقي، وجزء من الفضل للشيخ نعمان وهو رجل يستحق الشكر والتقدير.

اتصلت بالحاج قاسم وأخبرتُه بأنّنا دخلنا إلى مركز ناحية الإسحاقي، فردَّ عليَّ قائلاً: عزيزي أبو امتحان! أنت متأكد أنَّك في الإسحاقي؟ قلت له: نعم حجّي بالإسحاقي والآن جميعها تحت قيادتنا.

أخذنا الإسحاقي وعيّنا الشيخ نعمان مديراً للناحية كما وعدناه، وعيّنا ابن شقيقته، مديراً للاستخبارات، وأمرنا بتشكيل فوج منهم كان عدده ٣٦٠ مقاتلاً.

ناحية الإسحاقي هي المدينة الأولى التي تمَّ تحريرها بعد سقوط محافظة الموصل بخمسة أيام.

في الجانب الأخر من محور بلد أصبح هناك تقدّماً واضحاً تجاه قضاء سامراء، وأنا على اتصال مع الحاجّ المهندس والحاجّ قاسم.

كان الحاجّ قاسم يتحدّث معي وهو أمام الخارطة، وقال لي: هناك جسر يبعد عن الإسحاقي أربعة كيلوات اسمه جسر الرميلات، إذا استطعت أخذ الجسر ستنتهي المعركة؛ لأنَّ المسافة ستكون بيننا عشرة كيلوات فقط.

أخبرت الفريق صباح الفتلاوي بأهمّية الوصول إلى جسر الرميلات، حتّى تستطيع القوات القادمة من بغداد الوصول الينا بأسرع وقت، كما أخبرته بأهمّية فتح الطريق من أجل وصول الإمدادات، وإذا بقينا هكذا سنموت مع انتهاء ذخيرتنا.

اتصلت بالحاج المهندس وتحدّث مع الفريق صباح الفتلاوي، وطلب منه أخذ جسر الرميلات فقط.

طبعاً قواتنا أصبحت تزداد يوماً بعد يوم، كنت أضمّ معنا كلّ الجنود والقوات الأمنية الذين انسحبوا من محافظة صلاح الدين.

أحد الضبّاط وهو برتبة عميد قال: هذا خطأٌ؛ كيف تستقبل الضبّاط والجنود الهاربين، هؤلاء خونة، قلت له: هؤلاء ليسوا خونة، الدولة سقطت ماذا يفعلون؟

أخذت أمراً من رئيس الوزراء بأن تصرف رواتب الجنود والشرطة الذين انضمّوا معنا من قيادة عمليات سامراء، وشرحت لرئيس الوزراء موقفاً حدث معنا عام ١٩٩١م في الانتفاضة الشعبانية، وكيف تعامل النظام آنذاك مع الجنود الهاربين، ونحن فيها كنا من المنتفضين ضد النظام البعثي المجرم.

وافق رئيس الوزراء على مقترحي، وأصبحت القوات تنضمّ معنا، وأتذكر جيداً بأنَّ اللواء الشهيد البطل فيصل الزاملي

انسحب من صلاح الدين بثلاث ناقلات وانضمَّ معنا في قيادة عمليات سامراء، كان من الضبّاط الأبطال بمعنى الكلمة.

كذلك انضمَّ معنا المقدم علي نعيم المالكي، من ضبّاط الجيش العراقي البطل، كان معه ثلاث عجلات نوع همر، وبقى يقاتل معنا في كلّ العمليات.

تقدّمنا تجاه جسر الرميلات، وكأنّ تلك الأمتار المعدودة أصبحت آلاف، أربعة كيلوات قاتلنا فيها ثمانية وأربعين ساعة، كان العدو لا يريد وصولنا إلى الجسر بأي ثمن كان.

طول وقت العمليات لم ينقطع عنا الحاجّ قاسم بين دقيقة وأخرى يتّصل ويطلب منا الإحداثيات الجديدة حتّى وصلنا إلى جسر الرميلات، وأقسم لكم بأنَّ في كلّ شبر من الأرض التي تحرّرت سقط منا دمٌ وشهيدٌ.

في يوم ٢٠١٦/٦/٢٤م التقى محورنا بالمحور الآخر بقيادة الحاجّ قاسم والحاج المهندس، وفتح الطريق بين بغداد

وسامراء، ووصلت لنا كلّ الإمكانيات كما واعدنا الحاجّ قاسم عبر الهاتف.

لم أصدق بأنَّ هذا هو الحاجّ قاسم وذاك هو الحاجّ المهندس، أخذني الحاجّ قاسم بأحضانه وهو يقبّلني من هنا وهناك، ثمّ قبّلني على جبيني وقال لي: هذه القبلة التي وعدتك بها، رافقت الحاجّ قاسم والحاج المهندس إلى قيادة عمليات سامراء، وطلب الحاجّ قاسم مني ماء قبل أن يجلس، فأعطيته. طبعاً الفتوى المباركة للسيّد السيستاني (دام ظلّه الشريف) أعادت لنا الروح المعنوية، كما وشعرنا بأنَّ قتالنا هو بفتوى الجهاد وليس بأمرٍ عسكريٍّ.

في غرفة العمليات العسكرية كان هناك نقاش حول الفتوى حتّى سألني أحد الضبّاط وهو معروف توجهه، قال: كم ممكن تقاوم هذه الفتوى؟ قلت له: حتّى الموت، أنت ضابط عسكري وحتماً أنَّك تميّز بين الجهاد الكفائي والعيني، وهذه

الفتوى هي كفائية، وإذا أصبحت عينية لا تبقى لهم باقية، وتشهد ثورة العشرين لنا بذلك.

كنت على يقين بأنَّ هناك مؤامرة كبيرة جداً حول العراق، ومَن خطّط للمؤامرة لم يتوقّع بأن تكون هناك فتوى للجهاد وتتغير المعادلة.

عندما التقيت بمحافظ صلاح الدين أحمد الجبوري (أبو مازن)، وسألته عن كيفية سقوط المحافظة، قال لي: إنَّ الوضع الأمني كان مستقراً جداً بعد سقوط محافظة الموصل، لكن وردني اتصال من برهم صالح رئيس الجمهورية الحالي، وسألني عن محل تواجدي، فأخبرته بأنَّي في المحافظة، قال لي: خذ حقيبتك وغادر المحافظة، الموضوع انتهى، وكل شيء سيتغيّر، سألته ماذا حدث؟ قال لي: القضية أكبر ممّا تتوقّع.

حديثي مع (أبو مازن) كان في قيادة عمليات سامراء، وكان معنا كلّ من أحمد الجبوري شقيق مشعان الجبوري، ومحمّد الكريّم رئيس مجلس المحافظة، وعمّار البلداوي معاون المحافظ.

ذهب الحاجّ المهندس لزيارة حرم الإمامين العسكريين ﻋﻠﻴﻬﻤﺎ السلام، أمّا الحاجّ قاسم فقد أبلغني بأنَّه متعبٌ كثيراً ويريد أن يستريح. استراح الحاجّ قاسم، ثم قال لي: أشتهي تناول البطيخ (الرقي) فتحت ثلاجتي فما وجدت غير هذا الطبق الواضح أمامكم في الصورة فقدّمته له، وهذه الصورة بعد ساعات من دخول الحاجّ قاسم سليماني إلى قيادة عمليات سامراء.

علماً بأنَّ قائد عمليات سامراء صباح الفتلاوي لم يعلم بأنَّ الحاجّ قاسم داخل قيادة العمليات، ولم أخبره أنا بذلك.

بقي الحاجّ قاسم في مكتبي حتّى اليوم الثاني، ومنذ الصباح الباكر طلب منّي أن يستطلع ميدانياً سور سامراء وأبراج الحماية.

قلت له: أمهلني نصف ساعة حتّى أستطيع تحضير قوة عسكرية تكون برفقتنا.

قال لي: أيّ قوة التي تريدها أن ترافقنا؟ سنخرج بعجلة واحده أنا وأنت فقط، أحدنا سيقود العجلة.

قلت له: حجّي الوضع هنا أخطر من الذي تتوقّعه، وأخشى أن نقع بالأسر، فردَّ عليَّ قائلاً: نقع ونحن شهداء، هيا بنا نذهب ولا تخش شيئاً مهما حدث.

أبلغت الشهيد المقدّم ستار والذي أستشهد في معركة أخرى بأن يرافقني بعجلة أخرى من غير أن ينتبه الحاجّ قاسم لذلك.

حاولت بأن نخرج بعجلة عسكرية تكون مدرّعة، لكن الحاجّ قاسم رفضها أيضاً وأصرَّ على أن نكون بعجلة مدنية مألوفة في سامراء، فاخترت عجلة نوع تيوتا بيك آب بيضاء اللون.

كان الحاجّ قاسم يحمل معه مسدساً عيار ٩ ملم، وأنا أحمل بندقية عيار ٧،٦٢ملم كلاشنكوف، مع مسدس عيار ٩ ملم، مع عدد من القنابل اليدوية.

ما إن توجّهنا للعجلة حتى طلب الحاجّ قاسم قيادتها، فقلت له: حجّي صعب أنت تقود العجلة؛ لأنَّك تجهل طرق المدينة.

جلس بجانبي الحاجّ قاسم، وتحرّكت أنا بالعجلة، وتحرّك بعدنا الشهيد ستار مع إبقاء مسافة بيننا حتّى لا يشعر الحاجّ قاسم بأنَّ هناك عجلة أخرى ترافقنا.

وصلنا إلى أبراج جنوب سامراء، أصرَّ الحاجّ قاسم بأن يدخل الأبراج جميعها، بعض الأبراج لا يمكن الوصول إليها في وضح النهار، لكنَّه أصرَّ الحاجّ على استطلاعها بنفسه.

في البرج الخامس تعرّضنا إلى قصف مباشر اتجاه العجلة التي نقلّها، أخذت الحاجّ قاسم وحاولت إخفاء العجلة داخل فوج للشرطة الاتحادية لحين توقف القصف بواسطة قذائف الهاون.

علماً بأنَّ الأخوة الضبّاط لم يعرفوا الحاجّ قاسم، فكانوا يسلّمون عليه فقط، انتظرنا إلى أكثر من ساعة ثمّ عدنا إلى مقر قيادة عمليات سامراء.

كلّ الضبّاط والمراتب لم يعلم أحدٌ منهم بأنَّ الحاجّ قاسم داخل القيادة، وكنت مصرّاً على عدم معرفة مكان تواجد الحاجّ قاسم.

ولمّا وصلنا لمقر القيادة فتح الحاجّ قاسم الخارطة العسكرية، وصار يشرح لي عن نقاط القوة والضعف في حماية سامراء، وأخبرني بضرورة أنشاء ثلاثة خطوط للدفاع عن سامراء، ثمّ التحرّك اتجاه محافظة صلاح الدين.

فعلاً بعد أيام من وصول الحاجّ قاسم، تحرّكنا اتجاه محافظة صلاح الدين وكانت العمليات بقيادة الحاجّين قاسم وجمال.

أخذنا قصر العاشق ثمّ المعتصم، وشارع وطبان، حينها قال الحاجّ قاسم: هذه المرحلة مهمّه جداً وستساعدنا كثيراً في فتح الطريق العام بين قضاء سامراء ومدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين.

الحاجّ قاسم سليماني كان حافظاً للمدن العراقية وكأنَّه كان هنا، حتّى أتذكر أنَّه قال للحاجّ المهندس: من هنا سور شناص وهذا اتجاهه، فردَّ عليه الحاجّ المهندس: لا من هنا، فأصرَّ الحاجّ قاسم على رأيه، ابتسم الحاجّ المهندس وهو يقول له: كيف تصر وأنت لست ابن المدينة ولا تعرف شيئا عنها؟!

بقى الحاجّ قاسم مصراً على رأيه حتّى أخرجنا الخرائط وحدّدنا النقطة التي نقف فيها، وتبيّن لنا أنَّ حديث الحاجّ قاسم صحيح جداً، والاتجاه الذي أشار اليه كان صحيحاً.

عندما كنا في قيادة عمليات سامراء قبل الشروع بالتقدّم نحو ناحية الإسحاقي، كنا نعيش في قلقٍ عجيبٍ وانكسارٍ، وعدم الثقة كان لدينا شبه مطلق.

نحن داخل القيادة ونشعر بعدم الأمان داخلها، أنا شخصياً أنام وسلاحي بيدي وأرتدي صدرية الذخيرة على صدري، حتّى الطعام كنت أنتظر البعض يتناوله ثمّ أباشر بتناوله بعد ساعات من موعده؛ خوفاً من التخدير أو التسمّم.

بعض الضبّاط كانوا سبباً لهروب عشرات الجنود؛ وذلك بسبب حديثهم عن إمكانيات العدو وخسارة المعركة، أنا كضابط استخبارات القيادة شعرت بأنَّ هؤلاء الضبّاط سيكونون سبباً بسقوط القيادة قبل وصول داعش؛ لذلك

طلبت من القيادة العليا إرسال طائرات لغرض اعتقالهم وإرسالهم إلى بغداد، وفعلاً أرسلت القيادة ثلاث طائرات، اثنان بمهمّة حماية للطائرة الثالثة، وما إن وصلت الطائرة إلى مهبط العمليات العسكرية، حتى اعتقلت الضبّاط وأرسلتهم إلى بغداد، وهم برتبة عميد ركن وآخر عقيد ركن، وكان قائد عمليات سامراء صباح الفتلاوي بعيداً عن هذه الأحداث.

الحاجّ قاسم سألني عن المدفعية وكم بقي فيها من الذخيرة؟ قلت له: ثلاثون قنبرة فقط! اتصلَ بالحاجّ الكوفي، وطلب منه تزويدنا بألف قنبرة، وقال لي: عزيزي أبو امتحان الذخيرة مفتوحة أمامكم ارموا ما تشاؤون.

الدكتور علي الخفّاف:

أصبحت أعداد المجاهدين تزداد يوماً بعد يوم، وطريق بغداد ــ سامراء لم يكن آمناً بعد، والمواد الغذائية الموجودة في مضيف الإمامين العسكرين عليهما السلام غير

كافيــةٍ لإطعــام المجاهــدين، وأهــالي ســامراء يخشــون التعامـل معنـا خوفـاً مـن العـدو الـذي يعـرفهم ويعرفونـه، حينهـا كـان الحـاجّ قاسـم مشـغولاً بمتابعـة محـور عمليـات محافظــة ديــالى، لكــن لمّــا ســمع بــأنَّ المــواد الغذائيــة الموجــودة داخــل المضــيف غيــر كافيــة لإطعــام المجاهــدين، أخــذ هاتفــه واتصــل بالحــاج (بــولارك) وطلــب منــه أن يتكفّــل بتجهيــز مضــيف الإمــامين العسكرين عليهما السلام بجميع المواد الغذائية مهما بلغت.

سألت بعض الأخوة الذين يرافقـون الحـاجّ قاسـم عـن الحـاجّ بولارك، مَن يكون؟ فقالوا لي: إنَّه من رجال الثورة الإسـلامية وهو المشرف على إعادة أعمار العتبات المقدَّسة في العـراق، رجـلٌ ثـوريٌّ لا يخشـى المـوت ولا يهـتم إن كانـت الطـرق مفتوحة أو لا، ولمّا تعهّد للحـاجّ قاسـم بأنَّـه سيرفد المضيـف بالمواد الغذائية فهذا معناه سيفي بوعده مهما بلغ الأمر.

وفعلاً بين ليلة وضحاها تغير كلّ شيء وأصبحنا في وضع نحسد عليه، بل لم نكتفِ بتجهيز الطعام لقواتنا فقط، بل صرنا نقدّم الطعام لجميع القطاعات العسكرية المنتشرة حول مدينة سامراء وعلى طريق تكريت ـ سامراء.

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

في قضاء سامراء شكّلنا قوة خاصة مدرّبة من ثلاثين شابّاً، كانوا من الشباب الذين كان لهم دور كبير في عمليات الغوطة الشرقية في سوريا، وكانت مهمّة هذه القوة هو الاستطلاع ليلاً لمواقع العدو ثم التسلّل إلى داخل مناطقهم، ثمّ التنفيذ على بعض الأهداف المهمّة داخل المدن التي يتواجد فيها العدو.

كانت هذه الخطة من خطط المستشارين العسكريين الإيرانيين الذين كانوا برفقة الحاجّ قاسم سليماني، وكان يترأس هذا المجوعة شخصياً المستشار الشاب مهدي نوروزي.

كـان مهـدي شـاباً شـجاعاً مؤمنـاً لا يخـاف، اسـتطاع مهـدي ورفاقــه اســتطلاع عــدّة أمــاكن، وشــخّص عشــرات الأهـداف، ونفّـذ مـع مجموعتـه مـن الشـباب العـراقيين عمليـة واحـده داخـل أرض العـدو وكانـت العمليـة ناجحـة بامتيـاز، لكــن فــي عمليــة أخـرى وقعـوا بكمــين للعــدو وتعـرّض مهـدي للإصـابة، لكنَّـه كـان يشـعر بـأنَّ هـذا الإصـابة سـتكون هـي الأخيـرة، حيـث طلـب مـن رفاقـه الشباب العـراقيين مغـادرة المكـان وتركـه فـي مكانـه حتّـى يسـتطيعوا الخـروج أحيـاءً، لكـنَّهم رفضـوا وأصـروا عليـه وقـالوا لـه: لا نطيـع مـا تقـول، نحـن جميعـاً معـك ومـا لـدينا إلاّ خيـارٌ واحـدٌ، وهـو: إمّـا أن نخـرج مـن هنـا معـاً، أو نموت جميعاً، فكـان مهـدي يقـول لهـم: لا فائـدة مـن نقلـي معكـم؛ فأنـا ميّـتٌ لا محـال، وأنـتم لا تسـتطيعون الخـروج أحيـاء معـي، لـم يصـغوا لكلامـه وحملـوه معهـم وانسـحبوا

نحـو نقطـة الشـروع وكـان مهـدي نـوروزي بـرفقتهم لكـن كــان شــهيداً، استشــهد مهــدي و هــو علــى يــد رفاقــه العراقيين الذين رفضوا ترك جثمانه في أرض العدو.

هذا الموقف البطولي بين الشباب العراقيين والقائد الإيراني لا يُنسى أبداً، بل ومحل فخرٍ للعراقيين والإيرانيين.

ومن الأخوة العراقيين الذين كانوا برفقة الشهيد مهدي نوروزي، هم: الشهيد عبد الحميد الصبيح أستشهد برفقة الحاجّ المحمّداوي في عمليات الصقلاوية، والشهيد حيدر الصبيح استشهد في عمليات تحرير الموصل، والشهيد أحمد المالكي أستشهد في عمليات تحرير جزيرة الخالدية.

✡ ✡ ✡

آمرلي:

المؤلف:

في آمرلي كان للحاجّ قاسم سليماني موقفٌ سيقف فيه أمام الله تعالى بوجه أبيض؛ لأنَّ أكثر من سبعة عشر ألف نسمة ذات الأغلبية من الأطفال والنساء وكبار السن، كانوا بانتظار

الموت الحتمي، مع صمت الذين يسمّون أنفسهم بالتحالف الدولي، ولا حتّى الصليب الأحمر رفّ له جفن على آمرلي. كأنَّهم كانوا يريدون تكرار ما حدث مع طلاب سبايكر بأطفال ونساء آمرلي، تخلّى الجميع عن آمرلي وصمت العالم بأسره.

وكانت توصيات المرجعية: أن انقذوا آمرلي، وصوت الحاجّ قاسم يرد صداه إلى النجف الأشراف، سأكون في كربلاء الثانية، ولا حياة لي بعد آمرلي.

حطّت طائرة الحاجّ قاسم في آمرلي وكان برفقته الحاجّ المهندس، رفيق الروح والسلاح، ليبلّغوا أهالي آمرلي بأنَّهم تحت حماية المرجعية، كما قالوا لهم: بأنَّ النصر قادم لكم وصمودكم أمام هجمات العدو رصاص في بنادقنا التي مازالت تقاتل العدو خارج آمرلي لفك الحصار عنكم.

ما إن شاهدَ أهالي آمرلي الحاجّ قاسم والحاجّ جمال حتى علموا بأنَّ النصر قادم لا محال حتّى وإن طالت المعركة لسنوات.

أ ـ د:

أنا شخصياً تحدّثت مع السفير الأمريكي في بغداد وطلبت منه تقديم مساعدات إنسانية لقرية آمرلي؛ لأنَّها تحت الحصار، فكان رده صريح جداً حيث قال: ما زال المالكي بالحكم لا يمكن أن نقدّم لكم أيّ شيء مهما كان.

أثناء الحصار العسكري الذي فرضناه على قضاء الفلّوجة عندما كانت تحت سيطرة تنظيم القاعدة آنذاك، طلبت منّا منظّمة الأمم المتّحدة أن نسمح لهم بإدخال المساعدات الإنسانية إلى العوائل المحاصرة هناك، حينها قلت لهم: لا مانع لدينا من إدخال المساعدات لكن تحتاجون إلى حماية أمنية ونحن لا نستطيع أن نحميكم داخل الفلّوجة، فردَّ عليَّ ممثّل

الأمم المتحدة قائلاً: لا نحتاج إلى الحماية فقط اسمحوا لنا بإدخال المساعدات ونحن نتكفّل بحماية أنفسنا.

في الحصار الذي فرضه العدو على قرية آمرلي طلبت أنا شخصياً من ممثّل أمين عام الأمم المتحدة أن يقدّموا المساعدات الإنسانية للنساء والأطفال الذين يواجهون الموت يومياً في قرية آمرلي، فكان الرد متوقّعاً بالنسبة لي حيث قال ممثل الأمم المتحدة: «نحن لا نستطيع الوصول إلى آمرلي، ونحتاج إلى حماية وتأمين للطرق». طبعاً هذا طلب غير ممكن إطلاقاً، وحينها تيقّنت تماماً بأنَّ هذه الحرب أكبر وأكثر من أن تكون حرباً عسكرية وعصابات كما أُشيع عليها.

الحاجّ أبو رضا النجّار:

التقيت بالحاجّ قاسم سليماني في بغداد بعد غيابي عنه خمسةً وعشرين يوماً في مهمّة كلّفني بها هو في قضائي تلّعفر وسنجار.

طلب مني الحاجّ قاسم بأن أذهب غداً إلى محافظة كركوك، ثمّ قضاء طوز خورماتو للعمل على فكّ الحصار عن آمرلي، فطلبت منه فقط أن أرتاح غداً وبعدَ غدٍ سأكون حيث يريد.

أكملت استراحتي ثمّ تحرّكت اتجاه مطار بغداد، أرسل معي الحاجّ قاسم مئتي مقاتل، نزلنا في مطار السليمانية، ثمّ تحرّكنا إلى كركوك ثمّ إلى قضاء داقوق، كان هناك ملعب قرب مقام الإمام زين العابدين عليه السلام اتخذنا من الملعب معسكراً للقوات، طلب البيشمرگة خروجنا من قضاء داقوق، لكني أصررت على البقاء ولم أستمع لكلامهم.

اتصل بي الحاجّ قاسم، وطلب مني أن أقوم بطلب تطويع أكبر عدد ممكن من التركمان حتّى يتدربوا ثمّ نتحرّك بهم تجاه آمرلي.

انتقلنا إلى كفري، ثمّ أخذنا معسكراً قريباً من طوز خورماتو، اسمه معسكر (نوجود)، فطلب مني الحاجّ المهندس تسجيل

المتطوّعين رسمياً؛ لأنَّه أصبح هناك قرار بتشكيل هيئة الحشد الشعبي.

باشرت بتسجيل المتطوّعين وأغلبهم مدرَّبين على السلاح، فأصبح عددنا أكثر من ألف مقاتل، وطوال هذه المدّة لم يتركنا الحاجّان جمال وقاسم، فكانوا بمعدل كلّ سبعة أيام يحضرون معنا ميدانياً ليطّلعوا على آخر المستحدثات في المنطقة.

شرعت قواتنا بالتقدّم لفك الحصار عن آمرلي، لكن باءت العملية بالفشل بسبب قوة العدو وقلّة إمكانياتنا، لكن هذا الفشل الأوّل كان بمثابة الدرس المهم لقواتنا، حيث استطعنا تشخيص نقاط ضعف العدو ونقاط ضعف قواتنا.

عُقدت عدّة اجتماعات عسكرية وعُرضت على طاولة الاجتماعات عشرات الخيارات لفك الحصار عن آمرلي، ومن تلك الخيارات خيار

الحاجّ قاسم سليماني، وهو أن تباشر قواتنا بتحرير المناطق المحيطة بآمرلي، ثمّ تحديد ساعة الصفر، وقبل شروعنا بالتقدّم يكون هناك قصف كثيف على نقاط العدو المهمّة، وعندما ينتهي القصف التمهيدي تباشر قواتنا بالتقدّم من سبعة محاور. انتهى الاجتماع بتأييد خطّة الحاجّ قاسم سليماني.

كان هناك جبل صغير يطلّ على ناحية سليمان بيك اسمه: (جبل مرتضى علي) اتخذ الحاجّ قاسم من هذه الجبل مقراً للعمليات العسكرية، كما وأشرف الحاجّ بنفسه على العمليات ميدانياً برفقة الحاجّ المهندس، وأشرف على كلّ التجهيزات العسكرية واللوجستية للمعركة الحاسمة التي يراد منها فك الحصار عن أهالي آمرلي.

السيد خضير المطروحي[(١)]:

أوّل لقاء جمعني بالحاجّ قاسم سليماني هو عندما كنا في المعارضة لنظام صدام المقبور عام ١٩٩٨م، وكان اللقاء الأوّل في كردستان العراق تحديداً في محافظة أربيل منطقة دوكان، وكان الحاجّ قاسم برفقة الرئيس الراحل جلال الطالباني والحاجّ المهندس، واجتمعنا جميعاً على مائدة الغداء.

عام ٢٠١٢م التقيت بالحاج سليماني في سوريا تحديداً في حرم السيّدة زينب عليها السلام حينها كانت العمليات العسكرية قائمة هناك، جلسنا بعد أداء الصلاة نتحدّث عن العمليات العسكرية في سوريا، فسألني الحاجّ قاسم: كم تتوقّع سنبقى صامدين في سوريا؟ قلت له: من ثلاثة أشهر إلى ستّة أشهر لا أكثر، فابتسم وقال لي: خمس سنوات وذكّرني أنت بعدها. وفعلاً عام ٢٠١٤م التقيناه معاً وذكّرني الحاجّ قاسم بحديثنا، حينها

---

(١) قائد عمليات نينوى وآمر لواء ٢١ في الحشد الشعبي.

قلت له: الحمد لله صمدت سوريا وبقت بفضل دماء الشهداء وقيادة الحاجّ قاسم سليماني.

في اليوم الأوّل للفتوى كنت خارج العراق، وفي اليوم الثاني وصلت إلى محافظتي الديوانية، وفي اليوم الثالث التقيت بالحاجّ قاسم سليماني في دار الحاجّ المهندس في بغداد، وأخبرني بأنَّ العدو قادم بإمكانيات عالية وعلينا صدّه، وإذا لم نكن يداً واحدة جميعاً سيسقط العراق، وتسقط بغداد، وتُذبح الناس، وتُهدم المراقد والمساجد. ولمّا أكمل حديثه أمرني بالتوجّه فوراً مع قواتي إلى محافظة ديالى ومحاصرة ناحية العظيم، كان لديَّ أكثر من خمسمائة شاب مدّرب مسلّح.

كان الحاجّ قاسم مصراً على أن أصل إلى ناحية العظيم وتطويقها بأسرع وقت؛ كي لا يتقدّم العدو على قضاء الخالص؛ لأنَّه إذا سقطت الخالص لا يبقى عن بغداد إلاّ حزامها.

في اليوم الذي حرّرنا فيه ناحية العظيم خطب أبو بكر البغدادي وقال: ليلة الجمعة ستكون آمرلي عروساً وأتزوّجها.

اتصل بي أبو كوثر المحمّداوي وطلب مني القدوم إلى بغداد فوراً، ولمّا وصلت بغداد وجدت الحاجّ قاسم، والشيخ قيس الخزعلي، والحاجّ المهندس وأبا منتظر المحمّداوي والحاجّ مهدي الكناني(١) مجتمعين، تناولنا وجبة الإفطار وتوجّهنا سريعاً إلى الطائرة التي كانت تنتظرنا من أجل أن تقلّنا إلى قاطع (كرم) بين قضاء طوز خورماتو وناحية داقوق. ولمّا وصلنا إلى قاطع كرم باشرنا باستطلاع المنطقة؛ حتّى نستطيع فك الحصار عن آمرلي.

---

(١) آمر لواء ٤٢ في الحشد الشعبي، استشهد عام ٢٠١٥م في عمليات محيط سامراء.

استطلعنا كلّ المناطق المحيطة بقرية آمرلي وعدنا إلى قطعاتنا العسكرية من أجل تحريكها بأسرع وقت.

قال الحاجّ قاسم سليماني: إذا لم نستطع فك الحصار عن آمرلي ستكون هناك كارثة أخرى، ستكون هناك مأساة حقيقة، العدو لا يعرف الرحمة، سيعتدي على بناتنا وأخواتنا.

الحاجّ حيدر البهادلي(١):

قبل الشروع بعمليات فك الحصار عن آمرلي، طلبت القيادة العسكرية مني الذهاب إلى منطقة قادر كرم التي تقع بين مدينتي طوز خورماتو وداقوق؛ لمعاينة المكان الذي ستتجمع فيه قواتنا العسكرية. وصلتُ إلى هناك وشاهدت المكان وكان عبارة عن ساحة كبيره مفتوحة لا يوجد فيها أيّ شيء، وقالوا لي: هنا في هذا القسم من الساحة سيكون مكان قواتك. ألقيت عليه نظرةً مرةً أخرى فرأيته خالياً من كلّ شيء.

---

(١) قائد في الحشد الشعبي.

طبعاً في داخلي لم أقتنع بالمكان إطلاقاً، لأنَّه لا يحتوي على أيّ شيء، وعندما عدت إلى مقر العمليات، أبلغت الأخوة بالذي رأيته، وسألني أحد الأخوة الموجودين كم يبلغ عدد قواتك؟ قلت له: ألف ومئتان، قال لي: خير إن شاء الله.

وقال لي أحدهم: إنَّ الأخوة الإيرانيين أبلغونا بأنَّه سيكون موقع المجاهدين كاملاً يوم غد. قلت لهم: عن أيّ غدٍ تتحدّثون؟ الموقع عباره عن ساحة كبيره مفتوحة لا يوجد فيها أيّ شيء، قالوا غداً نذهب مع القوات وهناك نلقي عليهم الحجّة.

فعلاً في اليوم الثاني أخذنا قواتنا وذهبنا إلى الساحة الفارغة، لكن لم نجد الساحة الفارغة على حالها! أنا متأكد تماماً بأنّي أقف في الموقع نفسه الذي شاهدته البارحة، لكن الحيرة في الأمر أنّي الآن أقف أمام معسكر كبير جداً يتّسع لآلف المقاتلين، فأين ذهبت تلك الساحة الخالية عن كل شيء؟

سألت الأخوة الإيرانيين هل هذا هو المكان الذي شاهدناه معاً ليلة البارحة؟! قالوا: نعم، هو ذات المكان، لكن خلال أربعة وعشرين ساعة فقط نصبنا كلّ شيء، حتّى أصبحت الساحة موقعاً عسكرياً يليق بالمجاهدين، وخصصنا كلّ خيمة لعشرة من المجاهدين، وبين كلّ مربع من الخيام نصبنا مواقع للمغاسل والحمّامات.

الإيراني يتحدّث وأنا سارح في خيالي؛ فالإمكانيات التي أراها أمامي عجيبة، فصرت أتحدّث مع نفسي قائلاً: إذا كان الإيرانيون سيقدّمون لنا هذا في كلّ العمليات العسكرية فنحن منتصرون إن شاء الله تعالى.

مهند العقابي:

عندما باشرت قواتنا بفتح طريق بغداد ـ كركوك وتحرير ناحية العظيم، كنت أنا برفقة الحاجّين جمال وقاسم، وهذه المرّة الأولى التي أبقى برفقتهم أكثر من سبعة أيام.

وصلنا إلى قضاء طوز خورماتو، وكان باستقبالنا الحاجّ أبو رضا النجّار، اجتمعنا جميعاً على طاولة الغداء، وقبل أن نتناول أيّ شيء سأل الحاجّ قاسم النجّار قائلاً له: هذا الطعام من طعام المجاهدين؟ فقال له النجّار: لا حجّي هذا الطعام تمَّ إعداده أكراماً لقدومك، قام ورفض تناول الطعام وقال لهم نصاًـ وهذه أول جلسة للحاجّ قاسم في ساحة الجهاد وأوّل رسالة تهذيبية لجميع الحاضرين ـ: أنا لا أتناول طعاماً غير طعام المجاهدين، طعامي طعامهم.

حلَّ المساء وتمَّ إعداد أحد المنازل داخل القضاء للحاجين قاسم وجمال ومن يرافقهم، فرفض الحاجّ قاسم البقاء في

تلك الدار، كما طلب من الحاجّ المهندس والأخوة الذين معه مغادرة القضاء.

وفعلاً تحرّكنا إلى مرتفع يقع أمام ناحية سلمان بيك التي كانت بيد العدو على ذلك المرتفع الذي هو أكبر من التل وأصغر من الجبل.

نصب الأخوة ثلاث خيام: خيمة للحاجّين جمال وقاسم، وأخرى للأخوة المرافقين، وخيمة ثالثة للأخوة الضبّاط في جهاز مكافحة الإرهاب.

كنت طيلة هذه الأيام أراقب الحاجّ قاسم في كلّ حركاته، وسكناته، وجميع تصرفاته، كيف ينزعج وكيف يفرح، متى ينام ومتى يستيقظ.

عرفت من خلال مرافقتي له أنَّه قليل النوم جداً، فكان ينام ثلاث ساعات على أحسن الأحوال، وأكثر الأوقات لا يتجاوز

نومه الساعتين فقط، كثيراً ما يكون ساهراً إلى صلاة الفجر، وكان يكثر من قراءة القرآن الكريم، وأحياناً يقرأ الأدعية الشريفة.

في أحد الأيام ونحن على التل، جلست بجانب الحاجّ قاسم وهو يجلس على سجّادة الصلاة وطلبت منه أن ألتقط معه صورة، وقلت له: (حجّينا العزيز هواي أكو شباب يحبّونك ويردون يشوفون صورك من الجبهة، بعضهم ما يحب إيران، بس يحب حجّي قاسم) بقي مبتسماً وفي حالةٍ من الخجل.

في هذا الموقف المفترض أنا مَن يخجل، لكن في الواقع أنا رأيت الحاجّ قاسم أكثر خجلاً مني وأنا أطلب أن ألتقط صورةً معه، بل كان هو من يشكرني ويقول لي: رحم الله والديك، شكراً لكم، جزاكم الله خيراً.

الحاجّ مهدي تقي[1]:

لــم يكــن الحــاجّ قاســم ســليماني فــي آمرلــي فقــط، ولــم تنتــه الحكايــة مــع فــك الحصــار المفــروض عليها.

في الساعة التي جهز فيها السياسيون العراقيون حقائبهم وقطعوا تذاكرهم للهروب من المعركة، وصل الحاجّ قاسم سليماني الإيراني إلى الأراضي العراقية حاملاً معه أملاً كبيراً في الانتصار على داعش.

ثلـث العـراق سـقط و ننتظـر سـقوط الثلـث الثـاني، لا قائـد يســتطيع أن يقــود المعركــة ولا سياســي يتحــدّث عــن الحلـول، وأمّـا الجيـش العراقـي فلـم يبـقَ مـنهم إلاّ الاسـم، والأجهـزة الأمنيـة الأخـرى علـى وشـك أن تلتحـق بـالجيش وينهار كلّ شيء.

(١) قائد في الحشد الشعبي وعضو في البرلمان العراقي الحالي.

حضور الحاجّ قاسم في الساعات الأولى من المعركة أعاد للجيش العراقي روحه وللصنوف الأخرى الأمل، وقف على سور بغداد وقال: لا تسقط بغداد إلاّ وأنا شهيد.

في الساعات الأولى من سقوط الموصل كانت القيادات العسكرية تتحدّث عن حماية بغداد، لكن بعد وصول الحاجّ قاسم سليماني إلى العراق بعد سبع ساعات من سقوط الموصل، أصبح الحديث كيف نحرر حزام بغداد؟ ومتى نذهب إلى سامراء؟ الحاجّ قاسم غيّر كلّ خيارات المعركة منذ الساعة الأولى التي وصل فيها إلى بغداد، وسأتحدّث لك عن تلك القرية الصغيرة التي بقيت على قيد الحياة بفضل الحاجّين قاسم وجمال.

نحن من القومية التركمانية مسلمون ومذهبنا جعفري، طيلة حكم صدام المجرم للعراق، كنا نعاني من التمييز الطائفي؛ لأننا شيعة ونتبع إدارياً مدينة تكريت مركز محافظة صلاح

الدين التي ولد فيها صدام حسين وهي ذات أغلبية سنّية، وبين الحين والآخر يهاجمنا النظام آنذاك بدعاوى وحجج واهية، يعدم فيها رجالنا بلا أيّ ذنب يذكر، خمس وثلاثون عاماً كنا محكومين بالموت البطيء، سقط حكم صدام المجرم وأصبحنا بأمل أننا سنعيش بسلام، لكن حتّى هذا الأمل قتلوه في نفوسنا بإرهابهم الذي لا يميّز بقتله بين الأطفال والنساء، ففي تفجير واحد بواسطة صهريج مفخّخ عام ٢٠٠٧م راح منا أكثر من ١٠٠ شهيداً بينهم نساء وأطفال.

ولأنّنا نتبع إدارياً محافظة صلاح الدين فلم يقدّم لنا أيّ شيء، لا طرق عامّة ولا تعبيداً للطرق، لا درجات وظيفية ولا مدارس ولا أيّ شيء من الخدمات، كأننا نعيش في عزلة عن العالم.

عام ٢٠١٤م حين سقطت الموصل، كنا على يقين بأنَّ الإرهاب لا يُبقي لنا وجوداً في قريتنا وستهاجم بيوتنا

ولـو بعـد حـين، وفعـلاً بعـد سـاعات مـن إعـلان سـقوط الموصـل سـقطت محافظـة صـلاح الـدين، ولمّـا سـقطت محافظــة صــلاح الــدين ورفعــت فيهــا رايــة الكفــر والإرهـاب، هاجمتنــا القــرى التــي تحـيط بقريتنــا، مــن ثلاثـين قريـة خرجـوا لقتالنـا ونحـن قريـة واحـدة، عزمنـا على أن نمـوت جميعـاً في قريتنـا ولا نتركهـا لهـم مهمـا بلغ الأمر.

أخرجنا ما نمتلك من سلاح وذخيرة، وأخذنا سلاح الجيش العراقي الذي انسحب من محافظة كركوك وقُطع عليه الطريق العام.

أنشأنا سـاتراً ترابيـاً حـول قريتنـا وعزمنـا على المـوت دفاعـاً عـن عقيـدتنا وأرضـنا وعرضـنا، لـم يكـن لنـا أيّ أمـل فـي الحكومـة العراقيـة التـي لـم تسـأل عنـا منـذ سـقوط بغـداد عام ٢٠٠٣م حتّى سقوط الموصل عام ٢٠١٤م.

استمرَّ الحصار علينا واستمرينا بالدفاع، طلبوا منا أن نخرج منها أحياء ونتركها لهم، وأبينا أن نخرج أحياء بلا كرامة، هذه أرضنا منذ آلاف السنين، وسنموت عليها ألف مرّة ولن نتركها لهم مهما عملوا.

قطعوا الكهرباء وقطعوا الماء، لكن قسماً بتلك الليالي ومحنتها لم يرتجف لنا قلبٌ وكنا على يقين بأنَّ الله معنا منذ أن أصبح ماء البئر المالح الذي في قريتنا عذباً صالحاً للشرب، كرامةً من الله تعالى للمظلومين المحاصرين.

في الليل يكون ساتر الدفاع للشباب الذين كانوا مصداقاً لكلمة لبسوا القلوب على الدروع؛ لبسالتهم في أرض المعركة وحين تشرق الشمس، يكون ساتر الدفاع بعهدة كبار السن الذين لم تخطأ إطلاقاتهم رؤوس العدو.

طالت أيام الحصار واشتدت المعركة أكثر، قلّت الذخيرة وأصبح الدواء والغذاء ينفد، وعشرات الجرحى بحاجة إلى

دواء، ونساء حوامل بلا رعاية طبّية، وأطفال رضّع يتصارخون بلا حليب.

تعاهدنا مرةً أخرى بأن تكون آمرلي مقبرة لنا، أو نقبر الغزاة على أبوابها، وضعنا عيون ساهرة على خطوط الصد، وأخرى على بغداد، ولسان حالنا يقول: هل من مسؤول عسكري أو سياسي يكون ناصراً لنا؟

أشرقت شمس اليوم الثالث والعشرين من الحصار ونحن ما زلنا نقاتل على أبواب مدينتنا من أجل الحياة.

رنَّ هاتفي ومع رنّة كلّ هاتف أعيش بأمل أن يقول أحدهم: بأنَّنا قادمون لكم، طلب مني المتّصل أن أحدّد لهم موقعاً لملعب كرة قدم يكون في وسط القرية. وفعلاً حدّدت له موقع أحد الملاعب وأرسلت لهم إحداثية الملعب.

في الساعة ١٢:١٠ مساءاً وصلت لنا طائرتان عسكريتان: الطائرة الأولى أخذت مهمّة تمشيط المنطقة لتأمين

هبـوط الطـائرة الثانيـة، ولمّـا هبطـت الطـائرة وسـط الملعـب ذهبـت برفقـة وجهـاء القريـة نسـتقبل الضـيوف الـذين لا نعرف مَن يكونون.

فتح باب الطائرة وكأنَّ الشمس أشرقت من جديد، ترجّل شاب بصورة شايب أبيض الوجه والشعر، كنتُ أنظر في وجهه وأحدّث نفسي هل هو هذا الشايب الذي أعرفه؟ أو سهر الليل أرهقني وصرت لا أركّز جيداً؟ اقتربت أكثر وما إن اقترب أكثر حتى فتح ذراعيه لنا، فتأكّدت تماماً هذا هو الحاجّ المهندس، عانقته بلهفة واستنشقت رائحة النصر من شماغه الذي يرتديه.

من فرحتي ولهفتي برؤية الحاجّ المهندس لم أركّز على الضيوف الذين معه، ولمّا انتهينا من السلام شاهدت الحاجّ قاسم سليماني، لم أصدّق أنَّ هذا هو الحاجّ قاسم! لكن لا أستطيع أن أكذّب عينيّ.

عندما رأيت الحاجّ المهندس، قلت: جاء النصر، لكن عندما رأيت الحاجّ قاسم، قلت: فك الحصار عنا حتّى وإن كنّا تحت الحصار. أخذت الحاجّ قاسم بأحضاني وضمّني هو إلى صدره، ثمّ قبلني على جبيني.

لم يكن عندنا أملٌ إلاّ بالله سبحانه وتعالى، لكن عندما رأيت الحاجّ قاسم والحاجّ جمال، تيقّنت تماماً بأن أملنا بالله سيتحقّق بوجود الشيبتين المباركتين.

طول تلك الليالي وحصارها والموت الذي نلاقيه طرقنا كلّ أبواب المسؤولين، لكن كأنَّهم خلقوا صُمّاً بُكماً عُمياً.

فرق كبير بين الذي يبحث عن طائرة كي تقلّه إلى أرض المعركة، وبين من يفترش أرض مطار بغداد كي يغادر العراق؛ خوفاً من الموت الذي سيلاقيه لا محال.

وصل السلاح مع وصول الحاجّين جمال وقاسم، كما وصل معهما الأمل، ازدادت شجاعتنا عزيمةً بمجيء الحاجّ قاسم.

تجوّل الحاجّ قاسم راجلاً بين الأهالي وصار يحتضن الأطفال ويقبّلهم واحداً تلو الأخر ونحن نسير وسط القرية قال لي الحاجّ قاسم: «بهذه العزيمة التي رأيتها فيكم مع ضعف إمكانياتكم أنتم منتصرون إن شاء الله، عزيمة الأطفال والشباب والنساء عجيبة، الجميع مستبشرون خيراً وكأنَّكم في نزهة لا حرب».

وقبل أن يعود إلى الطائرة قال: «أنا أعمل على فكّ الحصار من خارج آمرلي، وأنتم اصمدوا في داخلها، وكل يوم سأرسل لكم طائرة محمّله بالسلاح والذخيرة، وسننقل

جرحاكم والحالات الحرجة إلى خارج آمرلي بواسطة الطائرات».

الشيخ جلال الدين الصغير:

كنت أنا المنسّق بين الطائرات الهليكوبتر ومهدي تقي في قرية آمرلي، أجزم لك بأنَّ كلّ الطائرات التي وصلت إلى آمرلي كانت بتنسيق منّي بإحداثيات أنا أرسلتها لهم.

وكان اتصالي مع الأخ مهدي تقي شبه يومي، وكل ما يحتاجونه عبر الطائرات كنت أوفّره لهم بما أستطيع، ولم أكن متفضّلاً عليهم بهذا العمل؛ لأنَّ هذا واجبي تجاه عوائلنا.

الحاجّ مهدي تقي:

بعد زيارة الحاجّ قاسم سليماني إلى آمرلي بحوالي أربع وعشرين ساعة اتصل بي سماحة الشيخ جلال الدين الصغير، هذا الرجل صاحب فضل علينا، لم يتركنا طيلة أيام الحصار

الذي بلغت أربعة وثمانين يوماً، هو مَن كان ينسّق لنا مع الطائرات العسكرية ويوفّر لنا الطائرات في أيّ وقت نحتاجها.

قال لي الشيخ جلال الدين الصغير: إنَّ الدكتور إبراهيم الجعفري وزير الخارجية آنذاك، طلب مني أن أطلب منكم تشكيل وفد يمثّل أهالي آمرلي حتّى نلتقي بالسفير الأمريكي، رفضت اللقاء لكنَّ الشيخ الصغير أصرَّ عليَّ وقال: تعال أنت وممثّل المرجعية ومَن معك من الوجهاء واسمع ماذا يريدون منكم.

قلت للشيخ الصغير: نحن في الحصار منذ أربعة وعشرين يوماً والأمريكان لم يقدّموا لنا شيئاً كما لم ينفّذوا أيّ ضربة جوية على العدو أثناء المواجهات.

قال الشيخ الصغير: أنا أعرف جيداً أن الأمريكان لا يقدّمون لكم شيئاً، لكن أنا رأيي كما هو رأي الجعفري، اذهبوا لهم وألقوا عليهم الحجّة؛ لعلّهم يقدّمون لكم شيئاً ما.

شكّلنا وفداً من ثلاثة أشخاص وكنت أنا على رأسهم، وتوجّهنا إلى السفارة الأميركية في بغداد، اجتمعنا على طاولة مستديرة يجلس عليها أكثر من ستة أشخاص أمريكان بينهم السفير الأمريكي.

تحدّث معي القائد العسكري الأمريكي في العراق، قائلاً: ما هي إمكانياتكم التي تجعلكم تصمدون أمام العدو؟ قلت له: نحن لا نمتلك إمكانيات عالية لكن لدينا عزيمة وعازمين على النصر أو الشهادة، ومتوكّلين على الله سبحانه وتعالى، ومستمدّين عزيمتنا من النبيّ وأهل بيته عليهم السلام.

قال: ماذا قدّم لكم قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس؟

قلت له: قدّموا لنا ما نحتاجه من سلاح وذخيرة وطعام، لكن لا يكفي مع حجم المعركة وتعداد الأهالي الذي يبلغ خمساً وخمسين ألف نسمة.

ظلّ يسألني السفير الأمريكي عن الحاجّ قاسم سليماني أكثر من سؤاله عن أهالي آمرلي. فقلت له: آمرلي قرية صغيرة ولا تملك شيء سوى الزراعة والحاجّ قاسم جاء حتّى يخدمنا ويجعلنا على قيد الحياة، آمرلي لا يوجد فيها آبار نفطية ولا أرضها تحتوي على زئبق ومعادن أخرى، فسألني عن علاقتنا بالحاجّ قاسم ولماذا يقدّم لنا الدعم؟

قلت له: الحاجّ قاسم يقف مع المظلومين في العالم ونحن قرية مظلومة لا نمتلك سوى الكرامة والشجاعة، وقفنا مدافعين عن أرضنا وعرضنا والحاجّ قاسم وقف معنا، نحن لا نرد مَن يريد دعم معركتنا وكسر الحصار عنا.

قال القائد العسكري الأمريكي: ماذا تحتاجون الآن؟ قلت له: السلاح والذخيرة، والمواد الغذائية والطبّية، فرد عليَّ وكأنَّه مستهزئ بطلبي:«نحن لدينا اتفاقيات مع العراق وتجهيز السلاح سيكون عام ٢٠٢١م أمّا الدواء والغذاء سنرسلها لكم».

قلت له وأنا مبتسم: عام ٢٠٢١م سيكون العدو في قلب الخليج.

انتهى اللقاء وعدنا من حيث أتينا.

وبعد كم يوم من هذا اللقاء اتصل بي سماحة الشيخ الصغير وقال لي: إنَّ هناك طائرات فرنسية تريد مساعدتكم، أرسلوا لنا إحداثيات إحدى الساحات الخالية حتّى يتمكّنوا من رمي المساعدات بواسطة المظلاّت. وفعلاً وصلت الطائرات وأنزلت حمولتها من الجو، ولمّا حطت المساعدات رحالها على الأرض وجدنا أن الحمولة عبار عن قناني ماء كبيرة الحجم، وحليب أطفال منتهي الصلاحية!

انتهى الحصار، وانتهت الحرب، وحرّر العراق بأكمله، ولم ترسل لنا أمريكا أيّ مساعدات حتّى هذا اليوم.

طلبني الحاجّ قاسم بأن أكون في بغداد، ولمّا وصلت وجدت الحاجّ المهندس معه، تحدّثوا لي عن العمليات خارج آمرلي وأنَّ النصر قادم لا محال، لكن يحتاج لصبرٍ أكثر وأكبر.

نقلت إلى الحاجّ قاسم والحاج المهندس المواقف البطولية التي سطّرت هناك على ساتر الصمود والصبر.

فسألني الحاجّ قاسم عن أعداد مقاتلينا بالضبط فقلت له: الذين يحملون السلاح ويقفون على ساتر واحد بدرجة ٣٦٠ هم ١٧٠٠ مقاتلاً.

تحدّثت للحاجّ قاسم عن خطوط الصد وكيف يتم إسناد بعض النقاط إذا تعرّضوا لهجوم قوي.

قال: جيد جداً ابقوا هكذا حتّى يدرككم الأخوة الذين يقاتلون خارج آمرلي لفكّ الحصار عنكم، ثمّ أوصاني بأن نحافظ على سلاحنا وتكون لدينا سيطرة قوية على صرف الذخيرة.

طيلة الحديث مع الحاجّين قاسم وجمال، أنا أقول لهم في آمرلي هم يقولون لي في كربلاء.

كان الحاجّ قاسم لا يقبل منّي أن أقول آمرلي؛ لأنَّه كان يسمّيها كربلاء، وما يذكرها إلاّ بهذا الاسم (كربلاء).

طالت أيام الحصار وقلّت الإمكانات أكثر، لا طعام عاد يكفي ولا ماء يكفي للناس، وأغلب العوائل باتوا ينامون بلا طعام.

في ساعة متأخرة من الليل وصلت لي رسالة من إحدى الأخوات، كتبت فيها هل من ناصر ينصرنا؟

لم أتمالك عاطفتي أمام نص الرسالة الذي جعلني أبكي بحرقة، أعلم بأنَّ الناس نفدت طاقتهم، والصبر أصبح يحتاج إلى صبر أكبر.

مضى على الحصار ستّون يوماً ونحن ما زلنا نقاتل ونقتل كلّ يوم.

أرسلت رسالة الأخت إلى الحاجّ المهندس، ثمّ الحاجّ قاسم، في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، فاتصل بي الحاجّ المهندس يسألني عن ما يجري، قلت له: حجّي الإمكانات قلّت جداً وأخاف من الناس أن يضعفوا؛ فالمواد الغذائية والصحية شبه انتهت، والأهالي صاروا يسألونني متى ينتهي الحصار؟ وأنا أخشى أن تنكسر معنويات الناس.

بعد أيام من إرسال الرسالة للحاجّين جمال وقاسم، حطّت طائرتهم للمرّة الثانية أثناء أيام الحصار، وما إن وصل الحاجّان معاً إلى آمرلي حتى عادت المعنويات أقوى من الأيام التي مضت.

شكونا لهم قلّة الإمكانيات وشكوا لنا قلة السبل في مساعدتنا؛ فالطائرات بين يومٍ وآخر تأتي، ولكن لا يمكن تحميلها أكثر من طنين فقط.

الشيخ جلال الدين الصغير:

قبل عمليات فك الحصار عن آمرلي بثلاثة أيام اتصل بي الأخ مهدي تقي وطلب مني أخلاء الأطفال فقط، فرفضت طلبه رفضاً قاطعاً! فقال لي: فقط الأطفال، قلت له: إذا أخرجنا الأطفال ستطلب أمهاتُهم الخروج معهم، وإذا خرجت النساء مع الأطفال لن يشعر المقاتلون أنَّهم يقاتلون من أجل شيء، أمّا الآن فهم يستميتون من أجل أطفالهم ونسائهم.

وقلت له: أنا مراقبٌ للأحداث جيداً، وأنَّ العدو بات ينسحب من حول آمرلي، وما هي إلاّ أيام وينتهي الحصار، اصبروا فإنَّ الله مع الصابرين.

الحاجّ مهدي تقي:

في الساعة الرابعة صباحاً اتصل بي الحاجّ المهندس وقال: بعد ساعة من الآن سيبدأ القصف على أهداف حيوية للعدو، فلا

ترتبكوا من الأصوات؛ لأنَّنا سنستخدم صواريخ لم نستخدمها سابقاً.

اليوم هو الرابع والثمانون على بداية الحصار، أشرقت الشمس وأشرق النصر، جاء النداء بصوت الحاجّ قاسم: انتظرونا لا تطلقوا النار اتجاهنا، سنفتح الطريق اتجاهكم من ستة محاور، أبلغوا الأهالي بأنَّ النصر قادم.

لم أصدّق ما أرى هل فعلاً انتهى الحصار؟ هل هذه الحشود التي أراها الآن أمامي هي قادمة لنصرنا؟ امتزجت دموع الحزن على فراق الأحبّة مع دموع الفرح بالنصر.
سبعة وثلاثون شهيداً و أكثر من مئة جريح حصيلة المعارك التي دامت أربعة وثمانين يوماً، ونحن على يقين بأنَّ تلك الدماء هي التي ساقتنا إلى هذا النصر العظيم؛ فـ (آمرلي الصمود) اسم خُطَّ بالدم والجوع والعطش والصبر عند مقارعة الظلم.

وصل الحاجّان جمال وقاسم، لكن هذه المرة وصلوا لنا براً، رأيت فرحة النصر على محيّا الحاجّين جمال وقاسم أكثر من وجوه أهالي آمرلي، وكأنَّهم هم مَن كان محاصراً لا نحن.

قال لي الحاجّ قاسم: طيلة حياتي لم أفرح كهذه الفرحة، ولم أشعر بطعم النصر إلاّ في آمرلي.

أتذكر أني قلت للحاج قاسم -في المرّة الأولى التي وصل فيها إلى آمرلي-: يا حاجّ أخاف عليكم؛ فهناك خطر عليكم عندما تهبط الطائرة تحت مرمى العدو.

ابتسم وهو يأخذني بأحضانه ثمّ همس بأذني: «نحن هنا لنصرة المظلومين وسنكون حيث يكونون».

الحاجّ قاسم قاد معركة فك الحصار عن آمرلي من على مرتفع ذلك الجبل الذي سنبني عليه قبّة ومنارة؛ لتبقى شاهداً

للتاريخ بأنَّ الحاجّ قاسم سليماني كان هنا ومن هذا الجبل قاد المعركة حتّى النصر.

الحاجّ أبو رضا النجّار:

من غرفة العمليات العسكرية التي أسّسها الحاجّ قاسم على أعلى الجبل، حُدِّدَت ساعة الصفر لجميع القطعات العسكرية، فكنت موجوداً تلك الليلة معهما على الجبل وكنا ننتظر صلاة الفجر بشوق، حتّى ندرك ساعة الصفر، كنا متشوقين للتقدّم على آمرلي؛ لفك الحصار عنها بعد أربعة وثمانين يوماً.

رُفع أذان الفجر، وأقيمت الصلاة، وبدأ القصف التمهيدي على أهداف العدو، وباشرت قواتنا بالتقدّم من عدّة محاور.

ولمّا انتهينا من أداء الصلاة بقيَ الحاجّ قاسم ساجداً على التربة، فقلت للحاجّ المهندس: إنَّ الحاجّ قاسم أطال السجود، قال لي: أتركه وشأنه، وبين ما أنا أتحدّث مع الحاجّ المهندس رفع الحاجّ قاسم رأسه وقال: يا الله إلى كربلاء، والله كنت

أظنّ أنَّه يريد الذهاب إلى محافظة كربلاء الآن، قلت له: حجّي نذهب إلى آمرلي؟ فقال لي: لا تقل آمرلي، هذه كربلاء يا الله إلى كربلاء.

نزلنا من الجبل ولمّا وصلنا إلى مفرق سليمان بيك، جاءت النداءات بأنَّ محور الحاجّ أبي منتظر المحمّداوي وصل إلى هدفهم، ثمّ جاء النداء من المحور الثاني ثمّ الثالث والرابع، حتّى وصلت جميع القطعات إلى أهدافها في غضون ساعات.

دخلنا آمرلي برفقة الحاجّ قاسم والحاج المهندس، وأنا لم أصدّق بعد بأننا نسير داخل آمرلي، الأطفال يهتفون أمامنا: لبّيك يا حسين، والحاج قاسم يبكي وهو يقول: قلت لكم سنذهب إلى كربلاء.

توقف الحاجّ قاسم وبقي يقبّل الأطفال واحداً تلو الأخر، وهم ما زلوا يهتفون هيهات من الذلّة، لبّيك يا حسين.

ومن خلال الدموع التي رأيتُها على محيّا الحاجّين جمال وقاسم، كنت أراهم فرحين سعيدين بهذا النصر العظيم فرحةً لا يمكن أن تُتصوّر.

الحاجّ مهدي تقي:

نُفّذت الضربات وكانت الأصوات مرعبة، في الساعة الخامسة فجراً اتصل بي الحاجّ المحمّداوي وقال لي: هذا الصاروخ الأخير سيكون على ناحية سليمان بيك، وما إن حطَّ الصاروخ رحاله على العدو حتى سُمع نداء الحاجّ قاسم يقول: أدخلوا سليمان بيك بلا سلاح؛ لم يبقَ العدو فيها بعد هذا الصاروخ.

وفعلاً دخلت القوات إلى سلمان بيك بلا قتال. للأسف البعض يجامل على قول الحقيقة، لكن أنا أقولها بكلّ صراحة وشفّافيّة: والله لولاء الحاجّ قاسم وسلاح الجمهورية الإسلامية لم تبقَ لنا باقية ولم يتحقّق النصر؛

فالحاجّ قاسم صاحب الفضل على جميع العراقين، ولولاه ـ بعد الله سبحانه وتعالى ـ لم يبقَ العراق بأسره ولم يبَق للخليج باقية.

الحاجّ مهند العقابي:

كان هناك ناظور عسكري كبير يراقب الحاجّ قاسم من خلاله سير العمليات، وحين اتجهت القوات إلى فك الحصار عن آمرلي بعد خمسة أيام من المعارك على محيطها سجد الحاجّ قاسم بعد صلاة الفجر سجدةً طويلةً، ثمّ قام وجهّز نفسه للخروج، وقال الحاجّ المهندس: يا الله حجّي، سنذهب لفك الحصار عن كربلاء، كان الحاجّ قاسم يسمّي قرية آمرلي بـ (كربلاء). أنا لم أصدّق بعد كيف انفكَّ الحصار عن آمرلي، ونحن هنا لم نسمع أيّ شيء، والعمليات باشرت منذ أقل من ساعة واحدة فقط.

تحرّكنـــا اتجـــاه آمرلـــي، وصـــارت العجـــلات تتحـــرّك خلفنـــا، حتّـــى أصـــبحنا رتـــلاً طـــويلاً، ولـــم أشـــعر بشـــيء إلاّ وأنـــا فـــي منتصـــف قريـــة آمرلـــي بـــين الأهـــالي والأطفال.

إطلاق النار من كلّ صوب والأهازيج العراقية من كلّ بيت؛ ابتهاجاً بالنصر، كانت الابتسامة لا تفارق وجه الحاجّ قاسم وكأنَّها مدينته كرمان التي حُرّرت وليست آمرلي تلك القرية العراقية الصغيرة.

كان هناك أطفال عددهم أكثر من عشرين طفلاً استقبلوا الحاجّ قاسم وأبا مهدي، لم يعرف الأطفال مَن يكونا، لكن شعروا بأنَّهم هم القادة؛ لذلك أوقفوهم، هم لا يتحدّثون سواء اللغة التركمانية والحاجّ قاسم لا يتحدّث سوى اللغة العربية والفارسية، لكن كانوا يهتفون بصوت عالي: يا علي يا علي، فترجّل الحاجّان قاسم وجمال، وصاروا يهتفون معهم: يا علي،

كان الحاجّ قاسم يرتدي شماغاً نزعه وأهداه لهم، وكذلك الحاجّ المهندس أهدى لهم شماغه.

قبل أن نغادر قرية آمرلي، استوقفنا شابّان يستقلون الدراجات الهوائية، فسألهم الحاجّ قاسم أنتم من آمرلي؟ قالا: لا، نحن من قرية بشير المحتلّة بيد العدو، وصاروا يبكون على أهلهم الذين قضوا نحبهم على يد هذا التنظيم الإرهابي، وما أن بكوا حتى بكى معهم الحاجّ قاسم وأقسم لهم: والله لا أترك قريةً شيعيةً محتلّة مهما كلّفني الثمن.

خرجنا من قرية آمرلي والتقيناه على الطريق العام مع بعض القادة العسكريين، وهنا بدأت الأهازيج العراقية، حمل الحاجّ المهندس السلاح وصار يدبك الدبكة العراقية وكان الحاجّ قاسم يبتسم وهو يرفع بيده مسدسه الشخصي، الفيديو موجود ومشهور وكان من تصوير الأخوة الإعلاميين الذين كانوا يرافقوني.

كانت هناك نقاط للبيشمرگة مهمّتها تأمين الطريق العام بين بغداد وكركوك لا تبعد عن نقاط العدو سوى سبعمائة وخمسين متراً، ويظهر أنَّه كان هناك تنسيق بين العدو والبيشمرگة؛ لأنَّ طوال تلك المدة لم يهاجم العدو القوات الكردية، ولمّا تعاونوا مع الحشد الشعبي والمستشارين الإيرانيين بدأ العدو بمهاجمة نقاط البيشمرگة وقتل منهم أكثر من تسعة عشر جندياً، كان بينهم ضابط برتبة مقدّم، كما احتلَّ العدو النقطة وقطع الطريق. وفي اليوم الثاني جاء الحاجّ قاسم برفقة الحاجّ المهندس وحرّرا الطريق العام، وهنا بدأ اجتماع آخر يتحدّث عن توزيع المهام في المناطق المحيطة في قرية آمرلي، فأخذ الحشد الشعبي ستّة محاور من أصل سبعة، وبقي محور واحد على عاتق البيشمرگة، لكن البيشمرگة رفضوا حتّى هذا المحور وقالوا: نحن لا نستطيع مواجهة العدو.

سلم الحاجّ قاسم المحور السابع للحشد الشعبي، وطلب من البيشمركة البقاء مع الحشد الشعبي فقط.

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

في عمليات آمرلي كان الحاجّ قاسم سليماني يقف على إحدى التلال المرتفعة التي اتخذها مكاناً لمراقبة سير العمليات، وكان ينظر إلى قرية آمرلي، ويقول: إنني أرى كربلاء محاصرة هنا لا قرية آمرلي.

المؤلّف:

قال لي أحد الأخوة المجاهدين ـ من الذين كانوا برفقة الحاجّين قاسم وجمال في عمليات فك الحصار عن آمرلي ـ: كان هناك ناظور عسكري مثبت على التل نشاهد من خلاله قرية آمرلي والتي كانت تبعد عنا ستّة عشر كيلو متر، في يومٍ من الأيام كنا نتابع بواسطة الناظور بعض الأهداف داخل القرية، فنادينا الحاجّ قاسم من أجل مشاهدة الهدف، وما إن وصل للناظور حتى قال: لا أرى أيّ هدف أمامي، كلّ الذي

أشاهده الآن أمامي هو دخان فقط، حاولنا إزالة التراب من عدسات الناظور ثمّ وجهناه اتجاه آمرلي وقلنا للحاجّ قاسم: يا الله حجّي من هنا آمرلي، فقال لم أشاهد آمرلي، وكلّ الذي أرى أمامي الآن هو خيام محترقة وفي وسط تلك الخيام نساؤنا وأطفالنا.

السيّد خضير المطروحي:

في عمليات فك الحصار عن قرية آمرلي، رأيت الحنكة العسكرية للحاجّ قاسم في إدارة العمليات لم أرَ لها مثيل طيلة حياتي.

من كلمات الحاجّ قاسم سليماني التي بقيت راسخة في ذاكرتي هي: «الموت أهون علينا من أن يدخل داعش إلى آمرلي ويعتدي على نسائنا».

✡ ✡ ✡

من الذي حدد ساعة الصفر في آمرلي؟

الحاجّ مهدي تقي:

كان سماحة السيد القائد علي خامنئي على اتصال شخصي بالحاجّ قاسم من أجل آمرلي وفك الحصار عنها.

قال لي الحاجّ الشهيد أبو منتظر المحمّداوي: إنَّ السيّد القائد اتصل بالحاجّ قاسم عدّة مرات يسأله فيها عن آمرلي، وفي إحدى الاتصالات قال السيّد الخامنئي للحاجّ قاسم: طال

الحصار كثيراً على أهالي آمرلي، ولا بدّ أن تسرعوا بساعة الصفر لفك الحصار عن الأهالي.

بعد عمليات فك الحصار عن آمرلي، أخبرني أحد الأخوة من الذين كانوا مع الحاجّ قاسم والحاج المهندس، أنَّ الحاجّ قاسم كان على اتصال قبل صلاة الفجر، ثمّ صلى الفجر وقال: يا الله إلى كربلاء وهو يشير إلى آمرلي.

اقترح بعض القادة تأجيل العمليات حتّى تقترب القوات من آمرلي أكثر، لكن سرعان ما رفض الحاجّ قاسم اقتراح الأخوة، وأصرَّ على أن يتقدّم اليوم، وافق الجميع على رأي الحاجّ قاسم، لكن شعرنا بأنَّ الحاجّ قاسم شعر بالإحراج من إصراره على موقفه، وقبل أن يستقلَّ العجلة البيك آب التي دخل فيها إلى آمرلي، أخبرنا بأنَّه كان على اتصال مع السيّد القائد وهو مَن أعطانا الأمر بأن نتقدّم اليوم بعد صلاة الفجر، ومَن يريد تأجيل العمليات عليه الاتصال بسماحة السيّد علي

الخامنئي، جميعنا شعرنا بالذهول، حتماً كان هناك أمرٌ ما، وإلاّ ليس من الطبيعي أن يتدخّل سماحة السيّد الخامنئي في تحديد ساعة الصفر وشؤون العمليات.

✡ ✡ ✡

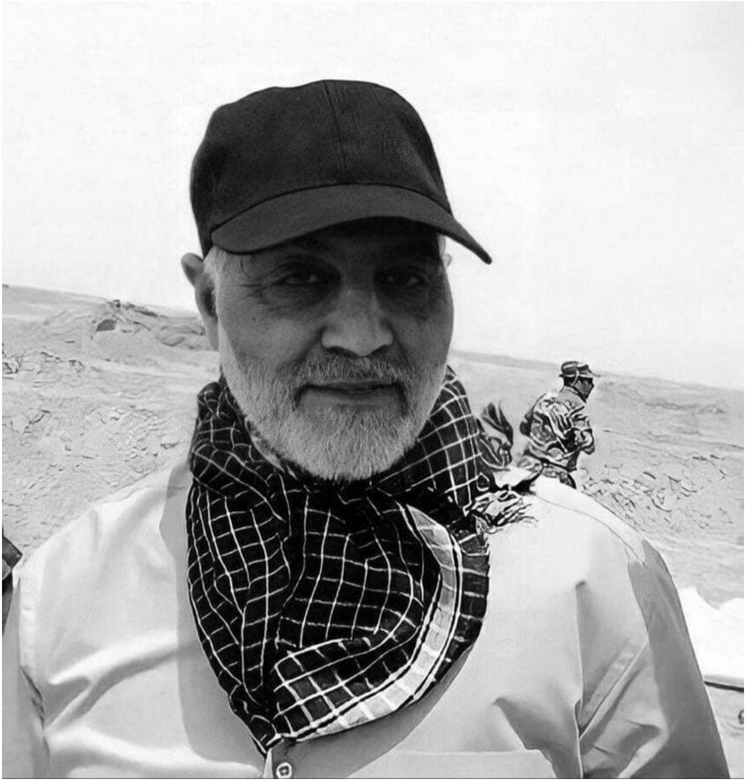

سليمان بيك:

السيد خضير المطروحي:

عندما تمَّ تحرير ناحية سليمان بيك، طلب الحاجّ قاسم أن يدخل إلى مركز الناحية، حينها لم ترفع جميع العبوات من الطرق العامة؛ وخوفاً عليه من أن يُصاب بمكروه، رفضت

دخوله إلى مركز الناحية، لكنَّه أصرَّ عليَّ بأن يدخل ويلتقي بالمجاهدين الذين بسواعدهم السمراء تمَّ تحرير الناحية.

وصل الحاجّ قاسم برفقة رفيق دربه الحاجّ المهندس، وألقى كلمة وسط المجاهدين وقال لهم: أنا أُقبّل أقدامكم واحداً تلو الأخر، أنتم الأبطال الذين بسواعدكم تحرّرت المدينة، ورفعتم الظلم عن هؤلاء الناس الذين ظُلموا بلا أيّ ذنب.

كان الحاجّ قاسم يوصينا بوصايا لم نسمعها من أيّ شخص سواه، كلام لا ينطق به إلاّ العلماء العرفاء، كان يوصينا بالوحدة والحفاظ على ممتلكات الناس وأعراضهم، وقال لنا: «أنتم هنا لرفع الظلم عن الناس، فلا تكونوا ظالمين».

الحاجّ حيدر البهادلي:

في عمليات فك الحصار عن آمرلي، كانت هناك منطقة صغيرة داخل ناحية سليمان بيك عصيّة جداً، اشتبكنا مع العدو فيها اشتباكات عنيفة جداً حتّى شعرنا بالتعب.

جنَّ الليل وما زالت الاشتباكات مستمرة مع العدو، حينها كنت متعباً جداً، وكانت قيادة محور عملياتنا بقيادة الحاجّ مهدي الكناني، فقلت له: حجّي أريد أن أنام قليلاً؛ فمنذ أيام وأنا لم أنم.

نمت لكن لم أشعر أنني نمت كثيراً حين سمعت صوت الحاجّ مهدي الكناني وهو ينادي: البهادلي! البهادلي! استيقظ هرب العدو، استيقظت مسرعاً على صوت الكناني، وفعلاً رأيت كلّ شيء قد انتهى، سألت الحاجّ الكناني كيف هربوا؟ قال: لا أدري كلّ الذي حدث هو أن بعد صلاة الفجر جاءني الحاجّ قاسم سليماني، وقال لي بعد شروق الشمس ادخلوا إلى المنطقة فالعدو قد هرب في منتصف الليل.

من هنا علمت بأنَّ الحاجّ قاسم سليماني لم ينم طوال ليالي العمليات، وكان يتابع كلّ عمليات المحاور المتقدّمة لفك الحصار عن آمرلي، عجيب أيّ صفات يحمل هذا القائد؟!

حين انتهت العمليات وفك الحصار عن آمرلي، نزع الحاجّ قاسم سليماني الشماغ الذي يرتديه، ووضعه على رقبة الحاجّ الكناني ثمّ قبّله على جبينه، والتقطوا هذه الصورة معاً، ثمّ قبلني وأعطاني السبحة التي كان يسبّح بها.

جرف الصخر:

الحاجّ حسن فدعم:

بعد أيام من الفتوى المباركة طلب الحاجّ قاسم سليماني من قيادة البيت الشيعي الحضور إلى مكتب سماحة السيّد عمّار الحكيم.

لم يتخلّف أحدٌ منهم عن موعد الاجتماع، ولم يتأخروا لدقيقة واحدة، وجميع الحاضرين ما زلوا لم يفيقوا من هول الصدمة، وينتظرون الآمل من الحاجّ قاسم.

ترأس الحاجّ سليماني الاجتماع والقاعة يسودها الصمت، جميعنا ننتظر حديثه وماذا سيقول عن بغداد؟

قبل أن يشرع الحاجّ قاسم بالحديث عن الأزمة قال لنا: أنا هنا سأتحدّث عن رأيي الشخصي، والرأي الحقيقي لكم أنتم كعراقيين، وهذا ما أوصاني به سماحة السيّد القائد علي خامنئي، قال: أنت ذاهب العراق مهمّتك أن تكون في خدمتهم، وهم أصحاب القرار لا أنت.

رحّبنا جميعاً بكلمة الحاجّ قاسم وقول سماحة السيّد القائد.

بدأ الحاجّ قاسم بحديثه عن الأزمة، وقبل أن يتحدّث عن التفاصيل، وجّه سؤالاً إلى رئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي وقال له: دولة الرئيس هل اتصلتَ بالتحالف الدولي؟ أجاب المالكي: اتصلت كثيراً ولم يقدّموا لنا أيّ مساعدات حتّى الآن، أنا أشعر بأن التحالف الدولي تخلوا عنّا.

طلب الحاجّ قاسم من المالكي بأن يكرّر طلبه من التحالف الدولي، ولابدّ أن يكون لهم موقف أمام عدوان داعش.

كما قال لرئيس الوزراء: أنت دورك كرئيس وزراء أن تضع المجتمع الدولي أمام مسؤولياته الحقيقية، وإذا لم يستجيبوا، كما هو متوقّع، عليك أن تتحدّث للعراقيين وغير العراقيين، وتبيّن لهم بأنَّ المجتمع الدولي تخلّوا عن مسؤولياتهم أتجاه الشعب العراقي والعراق.

أنهى الحاجّ قاسم حديثه مع رئيس الوزراء، وبدأ الحديث عن أزمة داعش، وطوال مدّة الاجتماع كان الحاجّ قاسم هو المتحدّث وهو القائد وهو صاحب الشأن، نحن كلنا جميعاً مستمعين له فقط.

سأل الحاجّ قاسم نوري المالكي عن إمكانيات الدولة وماذا تستطيع أن تقدّم؟

أجاب المالكي: نحن لا نمتلك ذخيرة، وسلاحنا قليل جداً، كذلك قطعاتنا العسكرية فقدت معنوياتها، ولا تستطيع المواجهة ولا حتّى الصمود.

أكمل الحاجّ قاسم حديثه وقال لنا: المرحلة الأولى: هي إيقاف تمدّد داعش، وإنشاء خطوط دفاع عن بغداد،

والسيطرة على مناطق حزام بغداد بأكملها؛ حتّى نستطيع أن نبعد الخطر عن العاصمة.

المرحلة الثانية: فتح الطرق العامة بين المحافظات الغربية وتأمينها.

المرحلة الثالثة: حماية المناطق المقدَّسة.

المرحلة الرابعة: فك الحصار عن المناطق المحاصرة، والأولوية لقرية آمرلي.

أكمل الحاجّ قاسم حديثه حول أهمّية المناطق المراد تحريرها وحمايتها، فكان دور جرف الصخر بعيد جداً عن أولويات العمليات العسكرية.

وهنا طلبت الأذن من الحاجّ قاسم بالمداخلة، ووقفت على الخارطة التي كان يقف عليها الحاجّ قاسم، وشرحت للحاضرين عن أهمّية تحرير جرف الصخر، تحدّثت بمعلومات أمنية استخباراتية عن نوايا داعش، وماذا يريدون، وكيف سيتم استهداف كربلاء وزيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام القادمة.

ولمّا أكملت حديثي أخذ الحاجّ قاسم القلم ووضع عمليات تحرير جرف الصخر بعد عمليات فك الحصار عن آمرلي.

انتهى اجتماع البيت الشيعي، وخرج السياسيون بأمل كبير.

وجّهني الحاجّ قاسم سليماني لإنشاء ساتر ترابي يتم فيه عزل ناحية جرف الصخر عن محافظة بابل بشكلٍ كاملٍ، كما طلب مني إنزال فوجي الخاص (فجر) لمسك الساتر، والاعتماد على المجاهدين الذين لبّوا نداء الفتوى المباركة.

تحرّكت إلى محافظة بابل وعلى الفور قمت بعزل الجرف عن المحافظة، كما قمت بنشر قوات فجر على الساتر وكان عددهم ٩٥٠ جميعهم من المجاهدين الأبطال، وفيما بعد أصبح عددهم أربعة آلاف مجاهد.

بعد ساعات من اجتماع الحاجّ قاسم مع قيادة البيت الشيعي اجتمع مرةً أخرى بقيادة الجيش العراقي والشرطة الاتحادية، وتحدّثوا للحاجّ قاسم عن قلّة الذخيرة والسلاح، فتعهّد لهم أن يجهّزهم بكلّ ما يحتاجونه خلال ساعات.

وفعلاً بعد أقل من ٢٤ ساعة من الاجتماع الأوّل والثاني، وصلت الطائرات الإيرانية إلى مطار بغداد الدولي، وكانت محمّلة بأنواع الأسلحة مع عشرات الأطنان من الذخيرة المختلفة.

حينها سلّمني الحاجّ قاسم سليماني شخصياً ٥٠٠ بندقية كلاشنكوف عيار ٧،٦٢ ملم مع أطنان من الذخيرة.

كانت معنوياتنا مهزومة ونشعر بالانكسار، وما إن رأينا الحاجّ قاسم يسير بين المقاتلين ميدانياً في أرض المعركة حتى عادت معنوياتنا تقوى وشرعنا بالنصر.

حاول داعش مراراً وتكراراً كسر خط الصد؛ كي يتسنّى لهم العبور إلى محافظة بابل وكربلاء، لكن كان أبطالنا لهم بالمرصاد.

أكثر من ٤٥ يوماً ونحن مرابطون على خط الصد، وطوال تلك المدّة كان الحاجّ قاسم على تواصل معنا شبه يومي.

كلّ يوم يسألني عن معنويات الشباب المرابطين، وكنت أقول له: حجّي الأبطال الذين معنا على خط الصد جاءوا بكامل اختيارهم؛ كي يحموا مدينتهم أولاً ثمّ كربلاء، وكن على يقين جميعهم مستعدّين للشهادة.

في تاريخ ٢٠١٤/٩/٢٣م اتصل بي الأخ أبو أحمد معاون الحاجّ قاسم، وكنت حينها في داري ولم يمضِ على وصولي سوى ساعات، وكان برفقتي أثنان من الأخوة الإيرانيين بينهم الحاجّ القائد الشهيد حميد تقوي، الذي نال وسام الشهادة في معارك تحرير عزيز بلد في محافظة صلاح الدين.

طلب مني أبو أحمد أن نلتقي سريعاً، نظرت إلى ساعتي كان الوقت ١١:٣٠ مساءًا، وكنت حينها أشعر بتعب عجيب.
تحرّكت فوراً إلى المكان الذي تمَّ تحديده للّقاء، ولمّا التقينا طلب مني الحاجّ أبو أحمد كلّ معلومات جرف الصخر، وطلب مني جميع الملاحظات التي سجّلت خلال تواجدنا في جرف الصخر.

قدّمت له ما يحتاجه من معلومات وقلت له: إنَّ مصادرنا قريبة جداً من العدو، ونحن على اطلاعٍ تامٍ بكلّ تحرّكاتهم.
علمت من الأخ أبي أحمد أنَّ الحاجّ قاسم عازم على تحرير جرف الصخر سريعاً.

في الساعة ١:٣٠ بعد منتصف الليل اتصل بي الأخ أبو أحمد مرةً أخرى، وطلب مني الحضور غداً في تمام الساعة ٨:٠٠ صباحاً في مقر العمليات الجديد.
حضرتُ في مقر العمليات على الموعد، وهنا رأيت الحاجّ قاسم سليماني والحاجّ المهندس، والأخ أبا حسين الحميداوي، والأخ ليث الخزعلي، والحاج أبا منتظر المحمّداوي، وثلاثة آخرين من كبار مستشاري حزب الله اللبناني.

عُقد الاجتماع بقيادة الحاجّ قاسم، وتحدّثنا عن جغرافية المنطقة وعن نقاط الضعف والقوة للعدو، علماً أنَّ مقر القيادة عن خط صد العدو ٢٠٠ متر فقط.

وفي غضون ساعات تمَّ تجهيز مقر القيادة بكلّ الإمكانيات، خرائط حديثة لناحية الجرف بأكملها، شاشات كبيرة تنقل لنا صورة مباشرة من الطائرات المسيّرة، كامرات، وأجهزة اتصالات.

الحاجّ قاسم سليماني رجلٌ جادٌّ في عمله بصمت، والشباب الذين معه كانوا من نمطه، والجميع يعملون مشتركين وكأنَّهم خلايا نحل.

لم أرَ الحاجّ قاسم تحدّث مع مستشاريه أوطلب منهم شيئاً؛ فكلّ فرد فيهم يعرف مهام عمله، فالمسؤول عن المدفعية أخذ كلّ الإحداثيات وجهّز المدفعية على الأهداف المنتخبة، ومثله المسؤول عن الجهد الهندسي، أكمل بناء السواتر وبدأ بجرف الطرق العامة، وهكذا الأمر مع صاحب الطبابة، أنشأ المستشفيات الميدانية.

وعلى شاكلتهم مسؤول الدعم اللوجستي، أوقف الشاحنات المحمّلة بالسلاح والذخيرة على الطريق العام، وينتظر ساعة الصفر ليكون قريباً جداً من القوات.

عندما جاء الحاجّ قاسم إلى العراق جاء برفقة قادة الحرس الثوري:

مثل قائد القوة البرية في الحرس الثوري، وقائد القوة الصاروخية في الحرس الثوري، وقائد استخبارات الحرس الثوري؛ لذلك كان الحاجّ قاسم يعتمد كلّياً على معاونيه؛ لأنَّهم كانوا قادة وليس معاونين كما يسمّونهم.

التحضيرات لعمليات جرف الصخر فاقت تحضيرات عمليات الفلّوجة والكرمة وحتى غرب الموصل، داعش راهن على صمود الجرف، والحاجّ قاسم اتكل على الله تعالى بأنَّ الغلبة والنصر معنا.

اجتمع الحاجّ قاسم مرةً أخرى بقيادة الحشد الشعبي وبدأ يستمع لهم، أمّا أنا فلم أتحدّث حتّى الآن، وجميع الذين تحدّثوا لا يمتلكون إلاّ المعلومات البسيطة عن الجرف وأهل الجرف؛ لأنَّ أغلب الأخوة ليسوا من محافظة بابل، أمّا أنا فمن أصل محافظة بابل من قبيلة الجنابات، وأغلب أبناء قبيلتي هم من ناحية الجرف؛ لذلك كنت أمتلك المعلومات عن المنطقة بأكملها عن كلّ عائلة فيها وعن كلّ فرد، أعرف مَن هو الداعشي ومَن هو الموالي لهم.

وبعد انتهاء حديث الأخوة البعيد عن ناحية الجرف، طلب مني الحاجّ قاسم الحديث، طبعاً سألني ما هو لقبك العسكري؟ قلت له: أبو نور الحلّي.

فرد قائلاً تفضّل أبو نور، فتحدّثت عن تفاصيل لا يعرفها إلا مَن يسكن الجرف، كما تحدّثت عن عمق الجرف وخطوط الإمداد، وأين تكمن نقاط قوّة العدو والضعف، ثمّ تحدثت لهم بالأرقام عن أعداد المقاتلين من أهل الجرف ومن خارج الجرف.

رأيت وجوه الأخوة قد ملئها التعجّب، وهم يستمعون لحديثي وتلك التفاصيل، فأكملت حديثي عن كم بيت في الجرف ومَن يسكن هذا الشارع ومَن يسكن الآخر، تحدّثت عن المدارس والأسواق والمستوصفات الطبّية، وأيّ قبيله هنا وأي قبيلة هناك.

تحدّثت لهم عن كثافة البساتين فيها، وعلى كم مشروع من مشاريع الماء سنمرّ عليه، وكم طريق فيها وأين ينتهي هذا الطريق وذاك، تحدّثت لهم عن طريقة تفخيخ الطرق، وأي آليّة يتّبعونها بالتفخيخ، تحدّثت عن ملاجئ العدو وأين تكون وكيف أنشأت.

وبـــين مـــا أنـــا أتحـــدّث ابتســـم الحـــاجّ قاســـم وهـــو يســـألني عـــن تلـــك المعلومـــات وكيـــف أمتلكهـــا؟ فقلـــت لـــه: حجّينـــا قســـماً بـــالله أعـــرف كـــلّ بيـــت كـــم امـــرأة فيـــه، وكـــم وحـــدة متزوّجـــة، واعـــرف حتّـــى أزواجهن. ابتسم الحاجّان جمال وقاسم.

قلت لهم: أنا أعمل سياسيّاً في محافظة بابل منذ عام ٢٠٠٣م وعملي الأمني فيها منذ عام ١٩٩٠م.

أكملت حديثي للحاجّ قاسم عمّن يتبع الحزب الإسلامي، ومَن يتبع داعش، ومَن هو القائد ومَن هو الجندي.

ولمّا انتهيت من تقديم المعلومات بقي الحاجّ قاسم صامتاً لم يعلّق بشيء لأكثر من عشر دقائق، ثمّ تحدّث وقال: سنؤجّل العمليات للدراسة مرةً أخرى.

عِلماً أنا لم أعلم بأنَّ هناك موعداً لدى الحاجّ قاسم لبدأ العمليات في جرف الصخر؛ لأنَّ مهمّتي هي مسك خط الصد، وليست العمليات.

شكّل الحاجّ قاسم غرفة عمليات صغيرة، تكوّنت مني والأخ ليث الخزعلي، وآخرين لبنانيين وإيرانيين، وصار تقييم ودراسة مرةً أخرى للجرف وعمليات تحريرها.

وفي غضون ٤٨ ساعة قدّمنا للحاجّ قاسم سليماني كلّ التفاصيل عن الجرف وطبيعته.

كـان الحـاجّ قاسـم قائـداً فـذّاً، ويمتلـك قـدرات عجيبـة، لكـن فـي نفس الوقـت كـان لا يصـرّ علـى رأيـه ويسـتمع للآخـرين لعـلّ مـا لـديهم أفضـل مـن الـذي طرحـه، لـم أرَ هـذه الصـفة لـدى أيّ قائـد عراقـي سـوى الحـاجّ المهنـدس؛ لـذلك عنـدما وزّعـت محـاور العمليـات السـتة كـان لديـه رأي آخـر بخصـوص أمـاكن بعـض المحـاور، فقبـل الحـاجّ قاسـم رأيـي برحابـة صـدر، وغيّـر بعـض المحـاور علـى أسـاس رأيـي الـذي اطلـع عليـه الحـاجّ قاسـم تفصـيلاً أثنـاء الشرح، وقال: هذا أفضل من الطرح الأول.

ثلاثة محاور تنطلق بشكل أسهم من جنوب الجرف جهة (صني ديج) وتتّجه شمالاً، وأمّا المحاور الثلاثة الأخرى

فتتقدّم من غرب الناحية إلى شرقها، ومحور آخر مهمّته اقتحام مركز الناحية.

انتخب الحاجّ قاسم سليماني ٦٠٠ هدف للقصف المدفعي الذي سيكون قبل الهجوم البري، يبدأ القصف المدفعي عند تحديد ساعة الصفر، ويكون من الساعة ١٢:٠٠ بعد منتصف الليل، وينتهي عند الساعة ٥:٠٠ صباحاً، ثمّ تبدأ المحاور بالتقدّم برياً.

ليس لي مقرٌّ عسكريٌّ مستقلّ، وإنّما كنت أسكن مع الحاجّ قاسم في غرفته التي يسكنها في مقر العمليات.

في صبيحة ذات يوم اتصل بي رقم غريب لم أعرفه، أجبته، وبعد التحية والسلام عرّف لي نفسه بأنَّه من قبيلة الجنابات ويسكن الجرف منطقة الشهبان.

قلت له تفضل حجّي، كان واضحاً من صوته أنَّه كبير في السن، هل تحتاج إلى شيء؟ قال: سمعت أنَّه ستبدأ عملياتكم على ناحية الجرف، ونحن أبناء عمومتك هنا، ولدينا عوائل.

قلت له: بأي شيء أخدمك؟ قال: نحن جلسنا هنا مع المسلّحين (كان يسمّي داعش بالمسلحين) وقالوا لنا: نحن نعطيكم فرصة الانسحاب من ناحية الجرف بدل من هجومكم عليها (طبعاً يتحدّث عن الفرصة لنا لا للعدو) فما هو رأيك أن تنسحبوا بلا أن يتعرّض المسلحون (الدواعش) لكم، ونأخذ منهم تعهداً بأنَّهم لا يتعرّضون لكم!

هنا تذكرت كيف أنَّ عناصر داعش كانوا ينتقلون أمام أنظار ضبّاط الجيش العراقي في الجرف قبل عام ٢٠١٤م من دون اعتراض!

كان الحاجّ قاسم يجلس بجانبي وانا أتحدّث مع الرجل وكان يستمع لحديثنا.

قلت للمتصل: طلبك مرفوض.

بعد مرور عدّة دقائق اتصل مرةً أخرى وقال لي: نحن مسلمون ولا نريد أن يموت أحدٌ منا ومنكم، ننسحب نحن من الجرف وتنسحبون أنتم، ونسمح بدخول الشرطة فقط إلى أماكنهم القديمة.

سألت الحاجّ قاسم عن الرد؟ فقال: مرفوض.

انتهت المكالمة، فقال لي الحاجّ قاسم: انتظر بعد دقائق سيتّصلون أيضاً، فأنا مررت بتلك المواقف عشرات المرات في سوريا؛ لذلك أنا على يقين بأنَّهم سيقدّمون عرضاً آخر.

اتصلوا للمرة الثالثة وهذه المرة بعد منتصف الليل، وقالوا: ننسحب بسلاحنا إلى غرب العراق ونسمح لكم بدخول المدينة بشرط لا يعتقل أحد.

قال الحاجّ قاسم: مرفوض أيضاً.

قال الداعشي: نترك السلاح واسمحوا لنا بالخروج.

قال الحاجّ قاسم: كلا.

فرد الداعشي: إذاً ماذا تريدون؟!

قلت له: أنتم قتلتم عشرات الأبرياء ويجب أن تُحاسبوا على تلك الدماء، فسلّموا أنفسكم لنا، أو اختاروا المواجهة، وسنقتلكم جميعاً.

فسألني الداعشي: هل بالإمكان تقديم خيار ثالث؟ قلت له: نعم يوجد خيار ثالث، لكن يحتاج لشجاعة، ولا أعتقد أنَّكم تستطيعون الموافقة عليه.

قال: ما هو؟

قلت له: تنتحرون قبل وصولنا لكم.

كرّروا الاتصال عشرات المرات، وفي آخر إتصال، قالوا لنا: بأنَّهم لديهم عوائل مدنية، فقال لي الحاجّ قاسم: أسألهم كم عددهم؟

سألته عنهم، كما طلب مني الحاجّ قاسم، أخبروني حينها بأنَّ لديهم سبعين عائلة.

أنا مطّلع تماماً على المنطقة وتفاصيلها وما تحدّث به المتّصل الداعشي بأنَّ هناك عوائل مدنية ما هو إلاّ كذب وتضليل للقيادة من أجل تأخير العمليات؛ ليستفيدوا هم من الوقت بتحصين خطوطهم الدفاعية؛ فالعوائل الموجودة داخل ناحية الجرف هم عوائل داعشية، وبعضهم من الأنبار والفلّوجة والموصل، جاءوا بعد سقوط الموصل.

علماً أنَّ العدد الذي ذكره وأنَّ عدد العوائل سبعون عائلة كذب أيضاً؛ فأنا مطّلعٌ ومتأكّدٌ بأنَّ عدد العوائل الداعشية الموجودة داخل الجرف بلغت مئتي عائلة.

أخبرت الحاجّ قاسم بعدد العوائل الموجودة داخل الجرف، فأخبرني بأن اتصل بالداعشي وأقول له: أن يتحرّكوا نحو منطقة الشهبان وستكون هذه المنطقة آمنة الليلة من القصف خوفاً على النساء والأطفال فقط، حتّى وإن كانوا عوائل داعشية.

أبلغت الداعشي ما أبلغني به الحاجّ قاسم.

كما أوصاني الحاجّ قاسم بإخبارهم أنَّهم سيرون هذه الليلة قصفاً لم يروه طوال حياتهم، وأيّ دم بريء يُهدر فهم المسؤولون عنه أمام الله تعالى؛ لأنَّ المنطقة الوحيدة التي سنتركها هي منطقة الشهبان؛ لذلك عليهم جمع العوائل في هذه المنطقة.

خرج الحاجّ قاسم من أجل استطلاع بعض المناطق ميدانياً، وطلب مني البقاء في غرفة العمليات وانتظار اتصال الداعشي.

وفعلاً بعد خروج الحاجّ قاسم اتصل الداعشي مجدّداً، وقال لي: حتماً لم تقصفوا الشهبان؟ قلت له: نعم ستكون منطقة آمنة، لكن لن نترك شبراً واحداً لا يقصف الليلة في باقي المناطق.

وقلت له: أعرف بأنَّكم ستنقلون العسكريين أيضاً إلى منطقة الشهبان، لكن نحن وعدناكم وسنكون عند وعدنا.

طبعاً سألت نفسي: لماذا الحاجّ قاسم اختار منطقة الشهبان دون المدن الأخرى؟ فعلمت أنَّ الحاجّ قاسم جمع بين اللين والشدّة في قيادة المعركة، جمع بين الإنسانية للعوائل والشدّة للقتلة الدواعش، فاختيار منطقة الشهبان كان إنسانياً.

منطقة الشهبان تقع على جانب النهر، كما كتب عليها في الخرائط الداعشية منطقة أخلاء للجرحى، فعلم الحاجّ قاسم فيها مفارزهم الطبّية؛ لذلك اختارها لهم منطقة آمنة، كما قال لي الحاجّ قاسم إنَّه اختار هذه المنطقة حتّى يتمكنوا من الهروب ليلاً ويخلوا عوائلهم عبر النهر.

عندما عاد الحاجّ قاسم من الاستطلاع سألني عن المكالمة فأخبرته بما دار بيني وبين الداعشي، فسألني كم أعطيتهم مهلة لإخراج عوائلهم؟ قلت له: حتّى الساعة ١٢:٠٠ بعد منتصف الليل من هذا اليوم.

قال لي: إذن سيتم تأجيل العمليات إلى غد؛ كي يتمكّنوا هذه الليلة من إخراج عوائلهم، أخشى بأن نبدأ بساعة الصفر وهم لم يخرجوا عوائلهم بعد، وتكون هناك ضحايا من النساء والأطفال.

وفعلاً تأجّلت العمليات كما أراد الحاجّ قاسم خوفاً على عوائلهم، كما أوصانا بالحذر من دماء الأبرياء، وقال لنا: أجّلوا العمليات مرة مرتين حتّى عشر مرات، ولا يُراق دم بريء.

طلب الحاجّ قاسم من قائد المدفعية توضيح الأهداف التي سيتم قصفها قبل الشروع بالتقدّم برياً، فأخرج قائد المدفعية الخارطة، وقال الحاجّ قاسم: من هذه المنطقة إلى تلك لدينا ٦٠٠ هدف للعدو.

فسأل الحاجّ قاسم قائد المدفعية عن منطقة الشبهان؟ قاله له: هذه هي حجّي، وقف الحاجّ قاسم وأخذ بيده القلم الأحمر وخطَّ دائرة حول منطقة الشبهان، وطلب من قائد المدفعية إلغاء أيّ هدف داخل هذه المنطقة، سأله القائد لماذا؟ قال له الحاجّ قاسم: هذه مناطق آمنة، وأعطينا كلمة لهم بأن يُخرجوا عوائلهم لها، فردَّ قائد المدفعية: حجينا العزيز، العدو سيختار هذه المنطقة مركز لقيادة العمليات.

قال الحاجّ قاسم: حتّى وان اختاروها مركزاً للقيادة لا تقصفها ما زالت فيها عوائل.

فقال: نعم سأوصي الأخوة في غرفة العمليات أن يوصوا أفرادهم المجاهدين الذين سيدخلون المدينة برّاً بعدم إطلاق النار الخفيف والمتوسط أتجاه هذه المنطقة.

أقسم لكم بالله أنّي أتذكر أنَّ الحاجّ قاسم وقف وبيده القلم الأحمر، وخطَّ منطقة الشهبان بثلاث دوائر حمراء؛ تأكيداً على عدم قصفها مهما كان السبب.

قبل أن يخرج قائد المدفعية أوصاه الحاجّ قاسم للمرّة الثالثة، لا تقصف أيّ هدف داخل الشهبان، حتّى وإن وردت لك إحداثيات تشير بأنَّ هذا البيت هو مركز قيادة العدو، لا تنفذ عليهم.

حـــدّد الحـــاجّ قاســـم ســـليماني ســـاعة الصـــفر، وبـــدأ القصـــف التمهيـــدي للمنطقـــة، أُطلقـــت صـــواريخ لـــم أســـمع أصـــواتها مـــن قبـــل، ولـــم أحفـــظ أســـمائها. اســـتمرَّ القصـــف مـــن الســـاعة ١٢:٠٠ بعـــد منتصـــف الليـــل وحتّـــى الســـاعة ٥:٠٠ فجـــراً، وبعـــد توقـــف القصف شرعت قواتنا بالتقدّم برّاً.
أغلب المحاور المتقدّمة برّاً كانت بقيادة الحاجّ أبي منتظر المحمّداوي، كان المحمّداوي يسير راجلاً مع القوات المتقدّمة نحو أهدافها.

بعد ساعات من استمرار الاشتباكات العنيفة، رأيت الحاجّ قاسم قد نزل ميدانياً إلى أرض المعركة؛ ليغيّر بعض المحاور لفك الضغط عن المحاور الأخرى.

كنت أنا على قيادة محور فجر، وكان محورنا أتجاه النهر، جاء الحاجّ قاسم وغيّر اتجاه المحور باتجاه الجسر، وأمرني بقطع الطريق العام بواسطة إطلاق النار؛ كي يخفّ الزخم عن محور العصائب بقيادة ليث الخزعلي شقيق سماحة الشيخ قيس الخزعلي، كان محور العصائب من أقوى المحاور والقتال فيه شرس جداً؛ لذلك اضطرَّ الحاجّ قاسم تغيير بعض المحاور، فمنع تقدّم محور العصائب للهدف المتفق عليه بسبب قوة الاشتباكات مع العدو.

بالمقابل تقدّم محور الحاجّ المحمّداوي كثيراً، وهذا ما جعل هناك فجوة كبيرة بين المحورين استغلّها داعش بالهجوم على محور المحمّداوي وتكبّدهم عشرات الشهداء والجرحى.

نفّذ العدو عملية الالتفاف على محور الحاجّ المحمّداوي بواسطة عجلات حكومية استولى عليها بسقوط الموصل.

كان رتل العدو كأنّه رتلاً عسكرياً للجيش العراقي، ولم يتأكد مجاهدونا أنَّ هذا الرتل داعشي إلاّ بعد إطلاق النار

عليهم والتكبير، وتسبّبت هذه العملية بفقدان أكثر من عشرين شهيداً وعشرات الجرحى.

لكن استطاع أبطالنا صدّهم وقتلهم، كما وسيطروا على مسك الأرض حتّى مطلع الفجر.

طلب مني الحاجّ قاسم بواسطة الحاجّ المهندس إسناد محور المحمّداوي.

وصلت للطريق العام المؤدّي إلى محور المحمّداوي، رأيت الحاجّ قاسم حزيناً على الشهداء والجرحى، وكان يعاتب الجميع بسبب هذا الانهيار، وما إن رآني حتى قال لي: أنت لماذا لم تذهب لإسناد المحمّداوي؟ قلت له: حجّي قبل دقائق ناداني الحاجّ المهندس وقال لي: الحاجّ قاسم طلب إسناد منكم، والآن وصلنا.

قال لي: اذهب مع المحمّداوي، وامنعوا العدو من السيطرة على الطريق العام مهما كان الثمن.

في هذه الأثناء وصل الحاجّ المحمّداوي والحزن قد خيّم عليه، التراب والدم يملأ ثيابه، كان متألماً جداً وحزينا على فراق مقاتليه الذين يعتمد عليهم.

تحدّث الحاجّ قاسم مع الحاجّ المحمّداوي وطلب منه أن يرتاح.

فقلت أنا للحاجّ المحمّداوي: الله يساعدك أبو منتظر، فردَّ عليَّ بصوت عالي أين كنتم؟ لماذا لم تكونوا معنا؟ الشباب قتلوا جميعاً، ثمّ أخذ يؤنّبني! لم أرد عليه وكنت على يقين بأنَّه منهارٌ على أبطاله الذين قضوا نحبهم شهداء.

وقف الحاجّ قاسم بجانبي ووضع يده على كتفي كنوع من التهدئة. علماً أنَّه لم يكن محوري قريباً من محور الحاجّ المحمّداوي، لكن الحاجّ المحمّداوي كان منهاراً.

شرح الحاجّ المحمّداوي للحاجّ قاسم سبب الانهيار، وقال له: إنَّ الأخوة أمّنوا كثيراً، ولم يصغوا لكلامكم أثناء توصيتهم بإنشاء ساتر ترابيّ يحميهم.

كما أنَّ العدو استخدم عجلات عسكرية تابعه للجيش العراقي، ولم ينتبه عليهم شبابنا حتّى وصلوا بالقرب منهم وفتحوا النار عليهم.

قال الحاجّ قاسم للحاجّ المحمّداوي: لا تهتم إن شاء الله النصر حليفنا.

فتعهّد الحاجّ المحمّداوي للحاجّ قاسم أنَّه سيحرّر المنطقة غداً مهما كان الثمن.

انسحب الحاجّ قاسم برفقة الحاجّ المهندس والحاج المحمّداوي إلى غرفة العمليات، ثمّ نادوا عليَّ بواسطة جهاز النداء، وطلبوا مني المجيء إلى غرفة العمليات.

ولمّا وصلت إلى مقر العمليات كلّفني الحاجّ قاسم بأن يكون محوري غداً مع محور الحاجّ المحمّداوي.
كما أمر الحاجّ قاسم قائد المدفعية أن يقصف كلّ الأهداف غداً من الساعة ٨:٠٠ صباحاً لغاية الساعة ١٠:٠٠ صباحاً، ثمّ يبدأ محورنا بالتقدّم نحو الهدف.

في الليلة الأولى من العمليات لم يبادر العدو لأي عملية عسكرية على قواطعنا التي مسكت نصف أراضيهم، وهذا يعني أنَّهم مشغولون بقتلاهم وجرحاهم، كما يحاولون معالجة انهيارهم.

في اليوم الثاني ما إن أكتمل القصف التمهيدي لأهداف العدو حتى باشرت قواتنا بالتقدّم نحو مركز الناحية لتحريرها من داعش، وهذا اليوم لا تقل شراسة المعركة فيه عن البارحة، لكن نحن عازمون على تحرير المدينة.

طلب مني الحاجّ قاسم سليماني أن أتقدّم إلى أحد المحاور والوصول إلى هدف معيّن.

كانت الأرض وعرة جداً؛ لأنَّ أغلبها أراضي زراعية؛ لذلك اضطررنا أن نكون خلف الجرّافة (الشفل) من أجل فتح الطريق أمامنا.

علماً أنَّ الجرافة التي تسير أمامنا مصفّحة ضد الرصاص ولا يمكن إيقافها إلاّ بواسطة العبوات الناسفة أو العجلات المفخّخة.

عادة ما نختار الطرق الزراعية في العمليات العسكرية؛ حتّى لا نقع في كمائن العبوات الناسفة والعجلات المفخّخة.
ولمّا سرنا خلف الجرّافة نحو الهدف شعرنا وكأنَّ الدنيا مطرت علينا رصاص بدلاً من المطر! لدرجة قرب المسافة بيننا وبين العدو، كنت أرى ملامح وجوههم بأم عيني.

وبينما نحن مشتبكين معهم خرج أحدهم أمامنا وأطلق علينا صاروخ من قاذفة محمولة (آر بي جي) تسبّبت بحرق إحدى عجلاتنا العسكرية، لكن استطعنا أخلاء مجاهدينا بلا أيّ أضرارٍ تُذكر.
لكن عجلتنا العسكرية التي تم إحراقها أعاقت تقدّمنا؛ لذلك اضطررنا للتقدّم راجلين، فأصبحت الاشتباكات معهم بالأمتار.

وصلنا للطريق العام الذي كان يقف عليه الحاجّ المحمّداوي حين التفَّ عليه العدو، وكانت هناك جرافة حاولتُ الوصول إليها لأحمي نفسي من الرصاص؛ لأنَّه لم يبق في جعبتي من الذخيرة سوى تسع إطلاقات وفي مسدسي الشخصي خمسة عشر إطلاقة.

كان هناك نهر صغير يشتمل على الماء الآسن للزرع (ماء البزل والتصفية من الأملاح) قرب الطريق العام وجدنا فيه جثّة الشهيد علي المحمّداوي الذي استشهد ليلة البارحة في الكمين، ولم يتمكّن أصحابه من أخلاء جثمانه.

علماً بأنَّ ذخيرة سلاحي من عيار ٥،٥٧ ملم؛ لذلك كنت أنادي على الأخوة: أن يأتوا لي بذخيرتي من داخل عجلتي؛ لأنَّ المقاتلين الذين معي ذخيرتهم من عيار ٧،٦٢ ملم.

فكان الحاجّ حميد تقوي يسمع ندائي عن الذخيرة، فتقدّم لي مع تسع من المجاهدين، وكان يحمل لي معه الذخيرة، وكان قدوم الحاجّ حميد تقوي معنا زاد في معنوياتنا كثيراً.

كان العدو يتمركز فوق النخيل؛ لذلك كانت الاشتباكات عنيفة جداً، وكنا لا نراهم إلاّ بصعوبة بالغة؛ وذلك بسبب كثافة النخيل.

كان هناك سائق جرّافة يفتح لنا الطريق فوق أحد الأنهر الصغيرة، لكن الذي لفت انتباهي أنَّ هذا السائق ـ مع كلّ هذه

الرمي والاشتباكات العنيفة ـ لم يتزحزح من مكانه، وكأنَّه لم يكن يشعر بالرصاص الذي حوله.

فقلت للحاجّ حميد تقوي: سائق الجرافة إمّا أن يكون أصم لا يسمع أو مجنون لا يشعر بالذي حوله.

قال لي الحاجّ حميد: لا هذا ولا ذاك، وإنّما هذا السائق إيراني من أصول أفغانية.

فقلتُ له: لم أرَ رجلاً بهذه الشجاعة طيلة حياتي.

وصلت لسائق الجرافة فسألته: أنت لا تلتفت فقط تسير إلى الأمام؟

قال لي: لو أنَّ كلّ رصاصة أصغي لصوتها والتفت إليها فلا أستطيع الحركة، أنا وسط معركة واشتباكات فمن الطبيعي جدّاً أسمع آلاف الإطلاقات حولي فلماذا التفت؟!

طلبت منه إنشاء ساتر ترابي لقواتنا أمام منطقة الفاضلية؛ خوفاً من تكرار ما حدث مع الحاجّ المحمّداوي ليلة البارحة.

ناداني الحاجّ قاسم وكانت شفرة ندائي: (نور) فسألني عن محل تواجدي، قلت له: قريب الطريق العام، قال لي: بجانب النهر صحيح؟ قلت له: نعم أبعد عن النهر ١٥٠ متراً تقريباً.
طلب مني النزول إلى ضفاف النهر وقطع الطريق، قلت له: حجّي النهر تحت مرماي، قال: لا أذهب الآن واقطع الطريق من ضفاف النهر.

لم أعلم لماذا أصرّ الحاجّ قاسم على نزولي لضفاف النهر؟

ولمّا نزلنا إلى ضفاف النهر ناديت الحاجّ قاسم وحدّدت له مكاني.
فأكّد الحاجّ قاسم مرةً أخرى على محل تواجدي، قائلاً: أنت على النهر أو البزل؟ فقلت له: حجّي البزل بعرض ثمانية أمتار، وهذا الذي أقف على ضفافه نهر الفرات وبعرض ستة وعشرين متراً.
قال لي الحاجّ المهندس: إنَّ الحاجّ قاسم يريد القدوم إلى النهر، قلت له: ما زالت الاشتباكات مستمرة لم تنته المعركة بعد.

عندما وقفت على ضفاف النهر ورأيت بأم عيني الماء وكيف يجري تذكّرت كربلاء ويوم الطف، وكيف حُرم الإمام الحسين عليه السلام من الوصول إلى هذا النهر.

أغسل وعيناي تملئها الدموع، فقلت للشباب الذين معي: نحن اليوم في معركة هي امتداد لمعركة الطف، ونحن على طريق الحسين إن شاء الله، وهذا النهر هو ذاته النهر الذي حُرم منه الحسين عليه السلام، فبكيت وبكى الشباب الذين معي، وما إن وقفت حتى رأيت الحاجّ قاسم يقف خلفي يبكي، كان يسمع لحديثي مع رفاقي ولم أكن أعلم بوجوده خلفي.

أخذني الحاجّ بأحضانه وقبّلني من جبيني، حينها شعرت بالعزّة والفخر وأنا أقف بين يدي الحاجّ قاسم وأسمع منه كلمات الشكر والثناء.

عندما كان الحاجّ قاسم يتقدّم لي بالشكر أحسست وكأنّي مشترك بعمليات تحرير مدينة إيرانية لا محافظتي العراقية.

ثمّ قال لي الحاجّ قاسم ـ وهو يبتسم في وجهي ـ: عندما رأيتك أسميتك شهيد جرف الصخر، لكن شاء الله أن تكتب من قادة تحريرها.

أيام وليالي طوال لم أذق فيها طعم النوم، وكنت مرهقاً جداً؛ بسبب متابعتي للعمليات العسكرية في جرف الصخر، لكن حين أسمعني الحاجّ قاسم سليماني تلك الكلمات الجميلة لم أعد أشعر بالتعب، وكأنّي قدمت للمعركة للتوّ.

طلب مني الحاجّ قاسم أن أبقى هذه الليلة مرابطاً هنا، كما أوصاني بأن أنتبه جيداً للقاطع اليمين وقال لي: ربما يكون عليك ضغط هذه الليلة من يمينكم، إذا صمدتم إلى الفجر كونوا على يقين غداً إعلان تحرير جرف الصخر.

وطلب الحاجّ قاسم من الجهد الهندسي تزويدنا بجرّافة ثانية من أجل إنشاء الساتر الترابي قبل حلول الظلام.

أوصاني كثيراً عن أهمّية هذه الليلة، فقلت له: سأبقى مستيقظاً مع أفراد قواتي، وسأبقى على رأسهم لا أتركهم دقيقة واحدة.

في مساء الليلة الثانية عقد الحاجّ قاسم سليماني اجتماعاً في غرفة العمليات ودعى جميع قادة المحاور للحضور.

كلّ قائد تحدّث عن تفاصيل محوره وكم قدّم من الشهداء والجرحى.

وما إن انتهينا من الحديث كقادة محاور، تحدّث الحاجّ قاسم معنا عن عمليات اليوم الثالث، كما أوصانا بأن لا نُأمِّن كثيراً.

طلب مني الحاجّ قاسم بأن أتحرّك غداً اتجاه جسر الفاضلية، كما وزّع المحاور على النحو التالي:

قوات أبي منتظر المحمّداوي من جسر الفاضلية جنوباً اتجاه منطقة الحجير.

من الحجير تبدأ عمليات العصائب بين منطقة عبد ويس والحجير، وينتهي محورهم إلى الساتر الترابي.

كانت الخطّة أن تتقدّم قوات المحمّداوي إلى هذا المثلّث الذي بيد العصائب، ثمّ تتحرّك قوات العصائب اتجاه الفوج الأوّل لمنطقة الفارسية.

ومن هنا يبدأ دور كتائب حزب الله بالدخول إلى مركز الناحية.

في الساعة ٨:٠٠ صباحاً تحرّكت القوات اتجاه أهدافها، لم تكن هناك اشتباكات قوية كما هو في اليوم الأوّل والثاني من العمليات.

في الساعة ٣:٠٠ مساءًا وصلتُ للهدف المتَّفق عليه وهو جسر الفاضلية، ولم أقدّم أيّ شهيد ولا جريح، وقتلنا خلال اشتباكاتنا مع العدو ثلاثة منهم كانوا غير عراقيين.

عندما وصلنا إلى جسر الفاضلية، لم نجد علماً عراقياً لنرفعه على الجسر كدلالة على وصولنا للهدف، ولم أجد سوى راية بيضاء كُتب عليها عليٌّ وليّ الله فرفعتها.

ما إن رفعت الراية حتى ناداني الحاجّ قاسم: ما هذه الراية الذي رفعت على الجسر؟ قلت له: حجّي هذه راية النصر نحن رفعناها؛ لأنَّه تمَّ تحرير الجسر والحمد لله.

في الساعة ٥:٠٠ مساءًا تعرّضنا لرمي كثيف من جهة الفاضلية الثانية التي تقع بين عامرية الفلّوجة والفاضلية الأولى.

حاول العدو أخذ جسر الفاضلية لكن الحمد لله تمكّنا من صدّهم، فاضطروا إلى تغيير مسارهم لقاطع عمليات بابل، كان برفقة العدو عجلات عسكرية مدرّعة نوع همر سوداء اللون، وهي من عجلات جهاز مكافحة الإرهاب التي استولى عليها داعش.

اقترب العدو كثيراً من قاطع عمليات بابل، والظاهر من ضبّاط العمليات لم يميّزوا بين قوات العدو ومكافحة الإرهاب، حتّى وصل العدو إلى منتصف القوات وقام بتفجير عجلة مفخّخة ما تسبّب بشهادة أكثر من خمس وعشرين جندياً.

ولمّا وصل العدو لقاطع عمليات بابل، أمر الحاجّ قاسم عبر النداء العسكري جميع القطعات العسكرية بالاستعداد للمواجهة.

لم يتوقّف العدو من قصف مركز الناحية، بل أصبح الرصاص اتجاهنا أكثر من قطرات المطر.

نادى الحاجّ قاسم مرةً أخرى قادة محاور العمليات، وقال لنا: إنَّ العدو قادم من قضاء الفلّوجة وعامرية الفلّوجة،

وسيحاولون أخذ الجرف منا، اصمدوا أمامهم سينهزمون إن شاء الله، كونوا على يقين بأنَّهم سيفرّون.

كانت هناك نقطة للجيش العراقي متروكة منذ احتلال الناحية، وتقع على الطريق العام، أخذ الحاجّ قاسم سليماني من هذه النقطة موقعاً ميدانياً لقيادة العمليات، وكانت تبعد عن خط الصد أمتار.

كنت أتحدّث مع الحاجّ قاسم وأنا مهتمٌّ جداً بالعمليات وما حدث مع محور عمليات بابل، وبين ما أنا أشرح له، سألني هل صليت؟ قلت له: لا، بعد لم أصلِّ، فقال لي: تعال لنصلّي وبعد الصلاة الفرج إن شاء الله.

وقفنا للصلاة بإمامة الحاجّ المهندس، فكنت قريباً من الحاجّ قاسم، فكان يقول بعد ـ ذكر الركوع ـ: يا حبيب، يا حبيب، ويبكي في كلّ مرّة!

كان الحاجّ المهندس مرافقاً للحاجّ قاسم في كلّ هذه الأحداث التي أتحدّث لك عنها.

عادت الاشتباكات مرَّةً أخرى والعدو ما زال يهاجمنا بالقوة نفسها، من الساعة ٥:٠٠ بعد الظهر حتّى الساعة ١١:٠٠ مساءًا، أطلقنا خلالها أكثر من ٣٠٠ قنبرة هاون، عجز العدو من التقدّم والسيطرة على أيّ نقطة من نقاطنا.

انتهت الاشتباكات لهذا اليوم وعقد الحاجّ قاسم اجتماعاً في غرفة العمليات، طلب مني التقدّم يوم غدٍ إلى منطقة الباج الشمالي.

قلت له: يا حاج إنَّ قواتنا (فجر) فوج وليست فرقة، واليوم هو الرابع ونحن في اشتباكات مستمرة، فدع قيادة عمليات بابل هي التي تحرّر الباج الشمالي؛ كي تستريح قواتنا ليوم غدٍ فقط.

فقال لي: وهل تعتقد أنت بأنَّ عمليات بابل تستطيع تحرير الباج الشمالي؟

قلت له: لا والله يا حاجّ لا يستطيعون ذلك، لكننا تعبنا جداً.

قال الحاجّ قاسم: المعركة في جرف الصخر انتهت، وأعتبر الجرف الآن من المناطق المحرَّرة، لكن نريد أن نصل إلى

آخر منطقة بين محافظتي بابل والأنبار؛ حتّى يبقى الجرف وبابل بأمنٍ تامٍ.

رجعت من غرفة العمليات إلى جسر الفاضلية، كنت حينها متعباً كثيراً، تركت معاوني مع القوات وقلت له: سأذهب إلى المقر من أجل أن أنام هذه الليلة، لأنّي لم أستطع مقاومة النعاس بعد.

ومن شدّة التعب غلقت هاتفي وجهاز النداء ونمت، استيقظت عند الساعة ١٠:٠٠ صباحاً، ولمّا استيقظت تحرّكت اتجاه قاطعنا عند جسر الفاضلية، وأنا أسير بعجلتي أسمع إطلاق نار على يميني، وصلت لأوّل نقطة من قواتي سألتهم عن سبب الرمي؟ قالوا لي: إنَّ قواتنا دخلوا إلى منطقة الباج الشمالي، قلت لهم: مَن أعطاكم الأمر؟ قالوا: الحاجّ قاسم سليماني جاء إلى هنا وسألنا عنك، وكان جهازك مغلقاً، فأعطانا أمراً بالتقدّم، ووصلت قواتنا إلى الباج الشمالي.

أخذت جهاز النداء وناديت معاوني على قوات فجر الأخ السيّد صفاء، وقلت له: سيّدنا أين محل تواجدك؟ قال لي: يا

حاجّ وصلنا إلى تل عبيد، قلت له: حقّاً ما تقول؟! قال: إيّ والله يا حاجّ أخذناه والحاجّ قاسم معنا الآن.

من عمليات تحرير تل عبيد أنهى الحاجّ قاسم العمليات، وأعلن بأنَّ ناحية جرف الصخر وكل ضواحيها تمَّ تحريرها وتمشيطها بالكامل.

في مساء هذا اليوم وهو اليوم الخامس من انطلاق العمليات جاء رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة آنذاك حيدر العبادي، والتقى بالحاجّ قاسم سليماني.

علماً بأنَّه كان هناك اتصال يومي وتواصل من قبل رئيس الوزراء مع الحاجّ قاسم بواسطة الحاجّ المهندس.

طلب العبادي من الحاجّ قاسم سليماني أن يعلن النصر اليوم، لكن الحاجّ قاسم فضّل أن يُعلن النصر يوم غدٍ؛ حتّى يعرف ماذا سيجري هذه الليلة.

سأل رئيس الوزراء الحاجّ قاسم أيّ ساعة أعلن النصر غداً؟ قال له: بعد العاشرة صباحاً أعلن النصر بدون الاتصال بنا، وإذا حدث شيء مهم هذه الليلة، سنتّصل بكم قبل العاشرة صباحاً.

ولمّا عاد رئيس الوزراء إلى بغداد دعانا الحاجّ قاسم لغرفة العمليات للحديث عن مسك الأرض بعد تحريرها، وهنا أمر الحاجّ قاسم بسحب كلّ المقاتلين الذين اشتركوا في العمليات العسكرية، وتسليم الأرض للمقاتلين الذين كانوا بالاحتياط.

يُقدّر عدد المسلحين الدواعش الذين اشتركوا في عمليات جرف الصخر أكثر من أربعة آلاف مقاتل، أغلبهم من الجنسية العراقية، وعدد قتلى العدو ثمانمائة قتيل خلال خمسة أيام من المعارك الطاحنة.

عدد جرحى العدو ستمائة جريح أغلبهم تمَّ إخلاؤهم عن طريق النهر إلى كرمة الفلّوجة، ومن ثمَّ إلى سوريا، وأغلب الذين قتلوا في عمليات جرف الصخر هم من الجنسيات الأجنبية، وأغلب الهاربين كانوا عراقيين.

أكثر من ثلاثة آلاف مسلّح قد هرب من ساحة المعركة، ولو كان هناك تواجد حقيقي للطيران الحربي كان بالإمكان القضاء عليهم جميعاً.

في صباح يوم إعلان النصر، عقد الحاجّ قاسم سليماني اجتماعاً أمنياً في الساعة ٨:٠٠ صباحاً لتقييم الوضع الأمني والعسكري للجرف قبل إعلان النصر رسمياً.

تحدّث الحاجّ قاسم عن عمليات الجرف وقال: كنت على يقين بأنَّنا سننتصر عليهم لكن ليس بهذه السرعة، كنت أتوقّع أن لا تقل عملياتنا العسكرية في جرف الصخر عن ثلاثين يوماً، لكن شاء الله أن يلقي في قلوبهم الرعب، وفي قلوبكم الشجاعة والصمود والثبات.

ثمّ سأل الحاجّ قاسم جميع الحاضرين ماذا سنفعل بعد جرف الصخر؟ فاقترح أحد الموجودين بأن نكمل عملياتنا العسكرية نحو كرمة الفلّوجة ثمّ قضاء الفلّوجة.

جميعناً تقريباً أيّدنا حديث الأخ الذي اقترح إكمال العمليات العسكرية، حتّى مستشاري الحاجّ قاسم كانوا مؤيّدين لنفس المقترح، لكننّا تفاجئنا برفض الحاجّ قاسم إكمال العمليات نحو قضاء الفلّوجة.

قال الحاجّ قاسم: نحن الآن نشعر بالانتصار الكبير على العدو، كما نشعر بهزيمة العدو، لكن إكمال العمليات العسكرية نحو قضاء الفلّوجة غير مدروس، وأخشى من أن نفقد طعم النصر على العدو في جرف الصخر بخسارة المعركة في الفلّوجة، أنا أقترح بأن نذهب إلى قضاء بلد؛ لأنَّ العدو بدأ يحاصر أهلها ويقطع عنهم الماء والكهرباء، ثمّ العمليات العسكرية هناك ستقطع الطّريق على العدو بين محافظتي ديالى وصلاح الدين، كذلك إذا بقيت بلد محاصرة سيبقى هناك خطر على قضاء سامراء، هذا اقتراحي والرأي لكم أنتم أولاً ثمّ رئيس الوزراء ثانياً.

جميعنا قبل رأي الحاجّ قاسم بقناعة تامة، وتيقّنّا تماماً بأنَّ الحاجّ قاسم سليماني قائد عسكري محنّك، يدرس كلّ خطوة يخطوها بكلّ دقّة.

غادر الحاجّ قاسم سليماني ناحية جرف الصخر بعد تحريرها وإعلان العبادي النصر فيها، وعقدنا نحن أعضاء مجلس محافظة بابل آنذاك اجتماعاً طارئاً، وكنا جميعاً نرتدي الزي

العسكري، وصوّتنا بأغلبية مطلقة على اقتراح الحاجّ قاسم سليماني بتسمية ناحية جرف الصخر بجرف النصر.

الشيخ جلال الدين الصغير:

كان الرهان كبيراً جداً على جرف الصخر، لكن الحاجّ قاسم اهتمَّ كثيراً بهذه العمليات، وكان عازماً على إبعاد الخطر عن كربلاء والمراقد المقدَّسة.

سخّر الحاجّ قاسم كلّ الإمكانات في هذه المعركة حتّى الطائرات التي قصفت المواقع المهمّة للعدو كانت طائرات إيرانية.

وطلب إشراك جميع القوات العسكرية العراقية، وقال حينها: لا أريد أن يسمّى النصر باسم جهة معينة ويصيبها الغرور، الجميع يشترك في هذه العمليات.

✡ ✡ ✡

محور الشمال:

الحاجّ أبو رضا النجّار:

كان الحاجّ قاسم من مدرسة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذه المدرسة لا يتخرّج منها إلاّ مَن كان حقّاً على نهج وفكر وأخلاق وتواضع وشجاعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومثله الحاجّ المهندس كان من تلك المدرسة؛ ولقد كان الحاجّ المهندس صاحبَ بصيرة ثاقبة.

سأتحدّث لك عن شيءٍ لم أتحدّث فيه سابقاً، عام ٢٠٠٤م التقيت بالحاجّ المهندس، وتحدّثنا عن المنطقة وأوضاع العراق بعد الاحتلال الأمريكي، ونحن نتحدّث عن العراق أوصاني بأنَّ أدرب شبابنا على حمل السلاح، بل ندرّب حتّى النساء.

قلت له: حجّي لماذا توصيني هكذا وصايا، وكأنَّ الحرب قائمة غداً؟!

فتحدّث لي عن سيناريو عجيب، لم أدرك حديثه حينها ولم أستوعبه، حتّى احتُلت مناطقنا من قبل داعش عام ٢٠١٤م، ومن الدقيقة الأولى التي التقيت فيها بالحاجّ قاسم والحاجّ المهندس، قال لي الحاجّ المهندس: أبو رضا ماذا قلت لك تتذكر حديثنا قبل عشر سنوات؟

وأنا الآن أسير وأنظّم أمري على طبق وصايا الحاجّ قاسم والحاج المهندس؛ لأنَّهما كانا أصحاب بصيرة.

لم ينتهِ دور ودعم الحاجّ قاسم سليماني مع انتهاء حصار آمرلي، حيث قاد الحاجّ قاسم شخصياً عمليات تحرير الزركة و جلولاء والسعدية، كما قاد عمليات تحرير البشير، وما إن انتهى القتال مع العدو في مناطقنا حتى قاد عملية فرض القانون في محافظة كركوك وأرجعها بأكملها من الهيمنة الكردية للحكومة العراقية.

نحن كشيعة من القومية التركمانية لم يكن لنا وجود لولا الحاجّ قاسم سليماني ودعمه لنا.

كنا نحلم بأن نمتلك بندقية ندافع فيها عن أنفسنا، الآن بفضل الحاجّ قاسم صرنا نمتلك معسكرات وقوات بالآلاف مدرّبين مسلّحين قادرين على مهاجمة أيّ هدف، ولسنا مدافعين فقط.

يقول لنا بعض الأخوة: أنتم تمدحون الحاجّ قاسم كثيراً وهو إيراني الجنسية.

فكنت أقول لهم: نحن لا نمدح الحاجّ قاسم وهو لا يحتاج أن يُمدح، لكن بالحقيقة نحن نشكر الحاجّ قاسم عن مواقفه المشرّفة معنا؛ كان الحاجّ قاسم صاحب فضل كبير علينا، فنحن كشيعة تركمانية أقلّية، كنّا محاصرين في قرية آمرلي، ومثلها قضاء طوز خورماتو كانت محاصرة أيضاً، بل وتحت قصف العدو، وقرية البشير سقطت بيد داعش، وقضاء داقوق محاصرة، وكذا قضاء تازة تحت نيران العدو، وبين ليلة وأخرى يحاولون أخذها، في كلّ هذه المأساة لم نجد شخصاً واحداً يقف معنا سوى الحاجّ قاسم سليماني، منذ الليلة الأولى، بل منذ الساعات الأولى لسقوط الموصل، وصل لنا سلاح الحاجّ قاسم مع عشرات المستشارين، ومن شعورنا بالانكسار والهزيمة أعاد لنا الحاجّ قاسم سليماني الأمل، حتّى جعل منّا قوةً عسكريةً منظّمة قادرة على كلّ شيء.

أتذكّر هذه المواقف للحاجّ قاسم سليماني وأفخر به؛ فنحن كشيعة لدينا هكذا قائد عظيم لا يخشى الأعداء ولا يهاب الموت.

زارنا الحاجّ قاسم برفقة الحاجّ المهندس إلى قضاء طوز خورماتو، حينها كان وضع المدينة خطراً جداً، فبين الحين والآخر يهاجمنا العدو بعشرات الصواريخ التي لا تميّز بين هذا البيت وذاك، ولا نعرف نصيب مَن سيكون هذا الصاروخ.
ولم يقف الأمر عند الصواريخ المجهولة فحسب، فعجلاتهم المفخّخة تبحث عن أيّ فرصة حتّى تحوّل بيوتنا إلى ركام على رؤوس ساكنيها.

كنت أظنّ أنَّ زيارة الحاجّ قاسم للمدينة هي للاطلاع على أوضاعنا الأمنية والمعنوية ثمّ يغادر إلى أيّ مكان آخر يكون أكثر أماناً من مدينتنا، لكن في الحقيقة أنَّ الحاجّ قاسم يريد البقاء معنا في المدينة.

حاولت إقناعه بأن يخرج خارج مدينتنا لكنَّه أصرَّ على البقاء معنا، تناولنا العشاء في أحد الدور وأخذتُهم إلى دار أخرى من أجل المبيت، ثمّ شعرت بأنَّ هذه الدار ربما لم تكن أمنة

أيضاً، فطلبت من الحاجّين قاسم وجمال مرافقتي إلى دار أخرى، فرفض الحاجّ قاسم طلبي وأصرَّ على البقاء في هذه الدار، وقال لي: إذا لم تتركنا وشأننا سنغادر المدينة.

في الساعة ١١:١٥ مساءًا أخبرني الحاجّ قاسم بأنَّه متعب ويريد أن ينام، أخذته إلى الغرفة التي سينام فيها، وبعد عدّة دقائق ذهب الحاجّ المهندس إلى غرفته أيضاً، تلك الليلة كانت من أشدّ الليالي عليَّ؛ حيث أشعر بأنَّ أمنهم صار في عنقي، وكنت أخشى أن يحدث لهم شيءٌ لا سمح الله، علماً أنَّي قمت بتطويق المنطقة بأكملها مع غلق بعض الطرق، ولم أكتفِ بهذا القدر، فبقيت مستيقظاً طوال الليل، استيقظ الحاجّ قاسم فسألني لماذا أنت مستيقظ؟ قلت له: لم أشعر بالنعاس بعد، لكن بالحقيقة أنا لم أشعر بالأمان وهم في حمايتي.

في تمام الساعة ٣:٣٠ بعد منتصف الليل استيقظ الحاجّ قاسم مرّة أخرى من أجل أن يؤدّي صلاة الليل، وعلى صوت الحاجّ قاسم استيقظ الحاجّ المهندس فصلّوا معاً.

كـانوا متعبـين جـداً ولـم ينـاموا سـوى ثلاثـة سـاعات فقـط، لكـن استيقظوا وكـأنَّهم على موعـد مع صـلاة الليـل، فمـن منّـا يكـون بهـذا العمـر وهـو متعـب منهـك مـن التعـب ويسـتيقظ بعـد ثـلاث سـاعات مـن نومـه ويقـوم يتوضـأ ويصلّي صلاة الليل؟!

أكملوا صلاة الليل وتحدّثوا عن العمليات العسكرية في المدن المحيطة بمدينتا، ثمّ صلّوا صلاة الفجر، وفطروا شيئاً بسيطاً ثمّ قالوا: يا الله نذهب، قلت لهم: لم تشرق الشمس بعد والظلام دامس والمنطقة خطرة فإلى أين أنتما ذاهبان؟ فقال الحاجّ قاسم: هناك عمليات في المنطقة ستشرع بعد قليل ويجب أن نكون من أوّل الحاضرين بين المقاتلين. وفعلاً غادرا الدار والشمس لم تشرق بعد.

كلّما أتذكر الحاجّ قاسم والحاجّ المهندس أتذكر هذا الموقف العظيم، وكثيراً ما أتحدّث مع نفسي وأقول: مَن

سوف يقدّم لنا ما قدّمه الحاجّ قاسم لو تعرّضنا في الأيام القادمة لهجمةٍ أخرى ومَن سيقف معنا؟

كان الحاجّ قاسم حريصاً على مدننا أكثر منّا.

عام ٢٠١٧م قاد الحاجّ قاسم ميدانياً برفقة الحاجّ المهندس عمليات تحرير قرية البشير، تأخّرت عمليات تحرير البشير بسبب وعورة المنطقة، كذلك لكثرة الإرهابين فيها، كما أنَّ هناك حاضنة كبيرة للعدو في القرى المحيطة بقرية البشير، لكن بعد عمليات تحرير البشير أصبحت مناطقنا أكثر أماناً.

أوصاني الحاجّ قاسم بأن أُنظّم أمرنا أكثر، وأن نعدَّ أنفسنا إعداداً قوياً، ونعتمد على مقاتلينا من مناطقنا.

وفي هذا الصدد وفَّر لنا الحاجّ قاسم عشرات المدربين لإعادة تدريب قواتنا، لكن كنا نعاني من بعض القرارات الكردية، ولكنَّ الحاجّ قاسم وقف بقوة وغيّر لنا الكثير منها، وبفضل الحاجّين جمال وقاسم أصبحنا الآن نحن أصحاب القرار هنا.

على مدار تلك السنوات التي رافقتُ فيها الحاجّ قاسم سليماني، تعلّمت منه الكثير، ربما أنا أكبر منه عمراً، لكن عندما أقف معه أشعر بأنني أحتاج لعشرات السنوات حتّى أصبح كالحاجّ قاسم سليماني.

وعرفت معنى ما كان يقوله الحاجّ المهندس: أنا جندي عند الحاجّ قاسم، فكان يعني عين ما تعلّمته منه، فعلاً نحن جنود أمام قيادة وحكمة وعقل الحاجّ قاسم.

تعلّمت من الحاجّ قاسم الكثير الكثير، تعلّمتُ التخطيط للأمد البعيد، والتفكير العابر للأحداث الآنية، فعندما كنا نشترك في عملية عسكرية معيّنة، كان كلّ تفكيرنا كيف ننتصر وننهي هذه العملية، لكن الحاجّ قاسم كان يفكر بالعملية التي بعدها وهو يخطّط للعملية الأولى، وكيف يستفيد من هذه العملية للعملية الأخرى القادمة.

تعلّمت منه أن تكون لدينا أولويات حاضرة حين نحتاجها، كان الحاجّ قاسم لا يكتفي بالعمل الذي بين يديه، كان مشغولاً في العراق، لكن يتحدّث عن لبنان ويتابع عمليات سوريا، وفي نفس الوقت يسأل ماذا قدّم الحاجّ المهندس في سامراء، وما هي آخر أخبار الموصل؟

عندما كنا ننتهي من العمليات العسكرية نفكر كيف نرتاح، لكن الحاجّ قاسم كان يفكر كيف نقود العمليات التي بعدها، وماذا سنفعل في هذه المنطقة التي أخذناها، وكيف نستفيد من وجودها في العمليات القادمة.

لديه روحية ومعنويات عجيبة؛ فإذا كنا نشعر بالهزيمة أو الانكسار فمجرد أن نجلس معه يتغيّر كلّ شيء.

كان الحاجّ قاسم محبّاً للجميع يقدّر المجاهدين، لا يفرق بين هذا عراقي وذاك يمني وهذا سوري وذاك لبناني، كان يتعامل

مع الجميع بروحية عجيبة، يجلس يمازحنا واحداً تلو الآخر وكأنَّه جنديٌ معنا لا قائد يحمل هذا الاسم وهذا العنوان الذي يرعب الأعداء.

لم يكن قومياً إطلاقاً، ولا طائفياً أبداً، كان يوصينا بالقرى الكردية والسّنّية على حدّ سواء، ويوصينا بأن لا نتعامل مع كلّ السُنّة كعدو حتّى وإن كان كلّ العدو من السُنّة.

عندما نحرّر قرية أو مدينة صغيرة يوصينا برعاية كل شيء حتّى الحيوانات، كان يقول لنا: الحرب هجّرت الناس وحيواناتهم، وأموالهم بقيت في رعايتنا، ويجب أن نكون على قدر تلك الأمانة والمسؤولية.

كان الحاجّ قاسم كثيراً ما يتحدّث عن الشهادة، ودائماً يذكر رفاقه الشهداء.

كنا نسير معاً وكان برفقتنا الحاجّ المهندس أيضاً، وفي إحدى القرى اكتشفنا أنَّ هناك عبوات ناسفة منصوبة كمائن لنا.

تمَّ تفكيك العبوات أمام أنظار الحاجّ قاسم الذي التفت إلى الحاجّ المهندس وقال له: أبو مهدي أنا أرى أن تكون شهادتنا هنا في هذه المناطق.

كان الحاجّ قاسم متعلّقاً روحياً بالحاج أبي منتظر المحمّداوي، وكثيراً ما يذكره ويتحدّث عنه.

كذلك كان الحاجّ المحمّداوي متعلّقاً بالحاج قاسم، وكان يخجل أن يقف أمامه، وإذا طلب الحاجّ قاسم أيّ شيء مهما كان لا يتردّد المحمّداوي في تلبيته.

ومن خصال الحاجّ قاسم الجميلة أنَّه كان يحب المجاهدين كثيراً ويتودّد لهم.

حضرت معه عدّة اجتماعات أمنية وسياسية، لم أرَه يهتم كثيراً بأصحاب العناوين ولم يتقرّب لهم كثيراً، بل كان على العكس تماماً بالنسبة لتعامله مع المجاهدين، كنت أراه يقبّل أيديهم صغاراً كانوا أو كباراً، ينحني عليهم ويقبّلهم.

عرفت الحاجّ قاسم بيننا بالهدوء، مهما كانت المعركة وشراستها كنا نراه هادئاً وكثيراً ما يسبّح، كان متّكلاً على الله في كلّ شيء، وكثيراً ما نراه متفائلاً.

في بعض العمليات كان القادة الميدانيون يتحدّثون عن خسائر كبيرة، وربما نخسر المعركة، والحاجّ قاسم يردّ بكلّ هدوء: سننتصر، اتكلوا على الله تعالى.

إلى الآن كلّما أكون منهكاً ومتعباً في عملي وأتأخر قليلاً في نومي، أتذكر الحاجّين قاسم وجمال كيف كانوا يواصلون عملهم وهم منهكين ولا يستريحون إلاّ قليلاً من الوقت، وما أن أتذكرهم أشعر بالخجل، فأقوم على الفور لإكمال عملي، كنت أشعر بأنَّهم يعملون بطاقة تختلف عن طاقتنا.

طبعاً كانوا بإيمان يختلف تماماً عن إيماننا، عندما نكون معهم نشعر وكأنَّه لم نكن من المؤمنين، كلّ شيء فيهم يختلف

عنّا، كانوا لا يؤخّرون صلاتهم، ملتزمين بصلاة الليل، صائمين وأجسادهم منهكة من التعب.

كان الحاجّ قاسم والحاج المهندس مدرسة جهادية متنقلة أين ما يكونون يكون النصر والازدهار، كنا نشعر بالحياة عندما يكونوا معنا.

خرجنا في يومٍ من الأيام برفقة الحاجّ قاسم من طوز خورماتو إلى داقوق، وقد استخدم أحد الأخوة صفّارة الإنذار لأبعاد العجلات التي أمامنا، انتبه الحاجّ قاسم إلى صوت الصافرة، فطلب فوراً إيقاف العجلة وإلاّ سيضطر للمغادرة بمفرده، طلبت فوراً إيقاف الصافرة وقلت له: يا حاجّ هذه الصافرة لإبعاد العجلات خوفاً عليك، قال لي: لا تخف عليَّ وأنا لا أطلب هذا الشيء، ولا أحبُّ مضايقة الناس، أنتم هكذا تجعلون الناس يكرهونكم، نحن هنا لنساعد الناس لا لنضايقهم، احترموا الناس واحترموا الطريق.

بالحقيقة أغلبنا لا يحب هذا الحديث، ولا يريد أن يكون كما يريد الحاجّ قاسم، فأصغر آمر فوج لدينا يتحرّك بمرافقة خمس عجلات، والصافرات تدوّي الطريق وكأنَّه القائد العام، لا آمر فوج صغير.

في يومٍ من الأيام طلبتُ من الحاجّ المهندس عجلةً مصفّحةً، فرد عليَّ وهو مبتسم: ماذا تفعل بها، المصفّحة لا تحميك من الموت؟ بالعكس تماماً تساعد على حرق جثمانك وتقطيعه إرباً إرباً.

وطلبتُ من الحاجّ قاسم أن أذهب مع المقاومة في لبنان، فطلب مني البقاء هنا، وقال لي: البقاء في كركوك أهم، اهتموا بأُناسكم، حافظوا عليهم، أنتم أقليات في هذه المحافظة ويجب أن تكونوا قوّة كبيرة فيها.
كلّ المواقف التي عشتها مع الحاجّ قاسم والحاج المهندس كانت عبارة عن دروس، أعتز بكلّ تلك الذكريات.

الحاجّ أبو ثائر البشيري[(١)]:

بعد أيام من سقوط مدينة الموصل مركز محافظة نينوى، أرسل لنا الحاجّ قاسم سليماني أثنين من مستشاريه العسكريين، وكانت مهمّتهم إسناد القوات الأمنية في محافظة كركوك وضواحيها.

نحن هنا في مناطق جنوب كركوك شكّلنا قوة من الشباب المتطوّعين الذين تمَّ تسليحهم بأسلحة إيرانية، حينها كان الملّف الأمني في محافظة كركوك بيد الأخوة الكرد، وبالحقيقة المُرّة، الكرد لا يريدون مواجهة داعش؛ لذلك اتكلنا على الله وهيأنا أنفسنا للمواجهة، وبفضل الحاجّ قاسم تمَّ تدريب قواتنا ثمّ تسليحها بكافة الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، بل وحتى الثقيلة.

---

(١) آمر لواء ١٦ في هيئة الحشد الشعبي محور شمال العراق.

في محافظة كركوك كان لدينا فرقة ١٢ من الجيش العراقي، لكن بعد ثمانية أيام من سقوط الموصل، عمل الأخوة الكرد على إسقاط الفرقة بالقوة، والاستيلاء على سلاحهم.

أتذكر أن أحد الضبّاط من مدينة الفلّوجة رفض تسليم سلاح قواته إلى الكرد، وبقي مصرّاً على عدم تسليمهم السلاح، وبين ما هو يتحدّث معهم تمَّ غدره بإطلاقة من الخلف استقرّت في ظهره، كذلك بعض الضبّاط من جنوب العراق رفضوا تسليم السلاح والعجلات العسكرية، فانسحبوا بسلاحهم إلى بغداد، لكنَّهم تفاجؤوا بأنَّ قضاء العظيم سقطت بيد داعش، و داعش سيطر على الطريق العام وتمَّ تفخيخه.

اضطر ضبّاطنا الأبطال وجنودهم أن يدخلوا إلى قرية آمرلي ويبقوا السلاح والعجلات فيها، وهذا ما ساعد أهالي آمرلي على إدامة المعركة مع العدو لأكثر من ثلاثة أشهر، ولكن بسبب جغرافية وانتماء بعض المدن المحيطية بمحافظة

كركوك، بدأت المدن تسقط واحدة تلو الأخرى، علماً أنَّ أغلب هذه المدن هي تحتوي على حواضن لداعش، وهذا ما جعلها تسقط بسرعة عجيبة.

بعد سقوط قضاء الحويجة حوصرت قرية البشير؛ ولقلّة الإمكانيات التي نمتلكها آنذاك لم نستطع أن نواجه العدو الذي كان يمتلك كلّ الإمكانيات العسكرية التي استحوذ عليها من الجيش العراقي، طبعاً وكما هو متوقّع لم يكن هناك أيّ دور للكرد مع أنَّهم هم المسؤولون عن تأمين المحافظة، بل كانوا متفرّجين، حتّى العدو لم يهاجم نقاط الكرد التي تبعد عن مواقعهم بالأمتار.

استطعنا بإسناد الأخوة الإيرانيين أن نحافظ على ناحية تازة، كما حافظنا على قضاء داقوق، وقضاء طوز خورماتو، وقرية آمرلي.

والغريب في الأمر أنَّه لمّا وصل لنا السلاح الإيراني اعترض الكرد على تسليحنا؛ فهم لا يريدون حمايتنا ولا يقبلون بتسليحنا! لكن اعتراضهم لم ينفع مع الإيرانيين حيث أصرّوا على إيصال السلاح لنا. وفعلاً تمَّ تسليحنا حتّى أصبحنا قوة عسكرية كبيرة، استطعنا حماية مدننا وحماية الأكراد الذين تخلّوا عن حمايتنا.

في بداية الأمر كان عدد قواتنا لا يتجاوز الـ ١٥٠ مجاهداً، لكن أصرَّ الحاجّ قاسم على زيادة العدد من كلّ المدن المذكورة أعلاه، فأصبح عددنا الكلّي ٥٠٠٠ مجاهداً.

كنا نحلم أن يكون لدينا مائة من المقاتلين يحمينا، لكن أصبح لدينا ٥٠٠٠ مقاتل مدرّب مستعد للموت ألف مرة دفاعاً عن العقيدة والوطن.

أجزم لك بأنَّ جميع المقاتلين تمَّ تدريبهم وتسليحهم بأيادي إيرانية وبسلاح إيراني، وصل لنا مجاناً مع آلاف الأطنان من الذخيرة.

ضغوط الأخوة مستشاري الحاجّ قاسم على محافظ كركوك من أجل أخذ موقع كبير يسمّى كشّافة، وهو موقع كان تابعاً لأزلام المقبور صدام، وبعد إصرارهم على محافظ كركوك استطاعوا أخذ الموقع مع البناية وتمَّ تجهيز الموقع ليكون معسكراً كبيراً لتدريب وتأهيل قواتنا.

كان الحاجّ قاسم سليماني يوصينا ويحثّنا باستمرار على التدريب، وإدخال المقاتلين بأكثر من دوره.

عملنا على ما أوصانا به الحاجّ قاسم، واستطعنا في غضون عامٍ كامل تدريب جميع قواتنا على أغلب الصنوف القتالية، كما تدريبهم بشكل كبير على حرب المدن.

✿ ✿ ✿

ديالى:

الحاجّ حيدر البهادلي:

عقد الحاجّ قاسم ـ في عمليات تحرير جلولاء والسعدية ـ اجتماعاً لتحديد المحاور الرئيسية وتحديد ساعة الصفر، طلبت من الحاجّ قاسم أن يطلب من الحكومة العراقية تدخّل الطيران الحربي معنا في العمليات العسكرية، فقال لنا: غداً سيدخل معنا الطيران الحربي الإيراني، وسترون بأعينكم ماذا سيفعل الطيران الإيراني بالعدو، الضربات التي نفّذتها أمريكا على مواقع العدو ضربات وهمية، حتّى طيران الجيش العراقي

جرّدتهم أمريكا من الصواريخ الفعّالة، أمريكا تريد أن يبقى العراق تحت سيطرة داعش، ولو كانوا جادين كما يدّعون أنَّهم ضد داعش، لتمَّ استهدافهم قبل دخولهم إلى محافظة نينوى.

داعش قدمت على احتلال المحافظات الغربية تحت أنظار الدول التخريبية. (الغربية)

فعلاً في يوم العمليات شاهدنا الطيران الإيراني نفّذ طلعات جويه على مواقع استراتيجية، مثل المصانع المخصّصة لتفخيخ العجلات، و مقرات عسكرية، ومواقع أمنيه، وعندما دخلنا المدينة برياً شاهدنا مدى الدمار الذي خلّفته الطائرات الإيرانية التي خلَّفت طلعاتهم الجوية على مواقع العدو عشرات القتلى.

في أغلب عمليات محافظة ديالى كان هناك تدخّل قوي للطيران الحربي الإيراني مسانداً العراق بلا أيّ مقابل.

السيّد خضير المطروحي:

فـــي عمليـــات الضـــلوعية طلبـــت مـــن الحـــاجّ قاســـم عـــدم الـــدخول مـــع القطعـــات العســـكرية؛ لأنّـــه كـــان للعـــــدو قنـــاص مـــتمكن جـــداً، وأتـــذكر جيـــداً أنّ القنـــاص اســـتهدف الحـــاجّ المحمّـــداوي لكـــن عجلـــة المحمّـــداوي كانـــت عســـكرية ضـــد الرصـــاص، لـــم يســـتمع الحـــاجّ قاســـم لتحـــذيري، وأصـــرَّ علـــى الـــدخول مـــع المجاهـــدين، وهـــو مَـــن اختـــار طريـــق يـــا حســـين، وهـــو مَـــن أشـــرف علـــى اســـتحداثه، وكـــان للطريـــق دور كبيـــر ومهـــم فـــي تقســـيم إمكانيـــات العـــدو وتمكيننـــا مـــن تحريـــر المنـــاطق بســـرعة فائقـــة في محافظة ديالى.

طول الطريق ٩٠ كم، باشرنا به بطلب من الحاجّ قاسم، ويبدأ الطريق من معسكر الحاجّ أبي منتظر المحمّداوي (معسكر

أشرف سابقاً) وينتهي بالقرب من قضاء سامراء، كان الحاجّ قاسم يفكر بتعبيد هذا الطريق؛ حتّى يكون الطريق البديل إلى بغداد.

✡ ✡ ✡

صلاح الدين:

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

عندما تحرّر الطريق بين بغداد وسامراء، عُقد أوّل اجتماع أمني برئاسة الحاجّين جمال وقاسم، وكان أهمَّ ما جاء في هذا الاجتماع هو فتح طريق سامراء ــ تكريت، والوصول لقاعدة سبايكر قبل أن تسقط بيد العدو.

الحاجّ أبو علي البصري:

لمّا وصلنا إلى قضاء سامراء وتمَّ تأمين مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام، اتخذ الحاجّ سليماني قراراً سريعاً بتحريك جزء من القوات أتجاه تكريت مركز محافظة صلاح الدين، وأن تؤمّن قاعدة سبايكر بشكل كامل. كانوا هم من يخطّط وهم مَن يتابع أدق التفاصيل للمعركة.

كانت أوّل طائرة هبطت في معسكر سبايكر كان على متنها الحاجّان جمال وقاسم، الذين أخذوا القوات اتجاه جامعة تكريت، وسيطروا على مركز الجامعة، وقطعوا الطريق الواصل بين الجامعة وتكريت بالصبات الكونكريتية، كما استحدثوا طريقاً بين مركز الجامعة وأحد بوابات قاعدة سبايكر.

من القرارات الحكيمة لقيادة الحاجّ قاسم سليماني هو استحداث عدّة محاور لمواجهة العدو، ولمّا وصلنا إلى قضاء سامراء حرّك القوات إلى مدينة تكريت، لم نصل

تكريت بعد، كلَّف الحاجُّ قاسم الحاجَّ المحمّداوي متابعة سير العمليات وفتح الطرق اتجاه محافظة ديالى، وبذات الوقت شرع بفتح محور اتجاه قرية آمرلي، وهذا من أهم المحاور الذي أربك العدو وجعلهم في حيرة، فأي محور سيكون هو الأوّل وعلى أيّ جبهة سيلتقون معنا؟ نحن في مركز القيادة لا نعرف ماذا يريد الحاجّ قاسم، وأين سنواجه العدو؟

وبينما فتح محور آمرلي بدأ الحاجّ قاسم بالإشراف على فتح محاور حزام بغداد - أبو غريب، وإبراهيم بن علي - النباعي.

وفي أقل من عشرين يوماً استحدث الحاجّ قاسم سليماني أكثر من خمسة محاور لمواجهة العدو.

وللأسف الشديد أكثر من ٨٠% من القرى المحيطة بقضاء سامراء قد انضمّوا مع داعش، كنا متفاجئين بتلك الأرقام، لكن بعد التحقيق تبيّن لنا أنَّ أغلبهم كانوا من مناصري البعث المقبور، وكانوا بحلم أن يكونوا مع

داعش حتّى يعود الحكم لحزبهم المجرم! علماً أنَّ أغلب هذه القرى التي نتحدّث عنها الآن لم تكن فيها دولة منذ سقوط نظام البعث المجرم حتّى وصولنا إليها.

كان من أهم المحاور وأشرسها قتالاً محور قضاء بيجي، ولولا حكمة الحاجّ قاسم ودماء أبطالنا لم يتحرر هذا القضاء ولو بعد عشرات السنين!

منذ الأيام الأولى كان الحاجّ قاسم عازماً على أن تنتهي عمليات بيجي بأسرع وقت؛ لأنَّه كان يقول لنا إنَّ قضاء بيجي هو مركز سيطرة داعش، والبوّابة الأولى لتحرير محافظة الموصل، فإذا أخذنا بيجي ستنتهي كلّ المعركة.

كان مستوى التقدّم الميداني مع الدم الذي يبذل نصراً بطيئاً جداً، ففي يومٍ واحدٍ تقدّم علينا العدو ب ٢٨ عجلة مفخّخة.

كنا نحتاج إلى وجود الحاجّ قاسم معنا، شعرنا بالفراغ الحقيقي حين ذهب عنا إلى سوريا. وكنا نشعر بأنَّ

قراراتنا تحتاج إلى دقة أكثر، فوجود الحاجّ قاسم معنا يجعل المعركة مختلفة تماماً.

تأخرنا إلى ما يقارب عاماً بأكمله على أبواب قضاء بيجي، وما إن وصل لنا الحاجّ قاسم حتى تغيّر كلّ مجرى العمليات، حيث قال لنا: اتركوا مركز القضاء، وتعالوا إلى صحراء القضاء والمدن المحيطة بها، قطّعوا أوصالها من كلّ مكان حتّى تستطيعون دخولها.

فعلاً تحرّكنا حسب رأي الحاجّ قاسم، وسيطرنا على أهم الأماكن خارج قضاء بيجي، مثل السيطرة على المصفى النفطي، تحرير مصفى الصينية، السيطرة على ناحية الصينية، أخذ معمل الأسمدة، السيطرة على مرتفعات جبال مكحول، قطع الطريق العام بين قضاء بيجي ومدينة الموصل مركز محافظة نينوى.
ولمّا انتهينا من عمليات تلك المناطق ـ التي لم تأخذ منا أكثر من ٧٢ ساعة فقط ـ قال لنا الحاجّ قاسم: الآن أدخلوا مركز قضاء بيجي؛ فقد انتهى كلّ شيء، وفعلاً

تحررت بيجي العصيّة وزف النصر إلى بغداد بدماء جنوبية وقيادة إيرانية.

علماً كان الحاجّ قاسم سليماني لا يملي على الناس أفكاره، كان يجلس معنا ويعطي رأيه، ونحن جميعاً ندرك أنَّ رأيه هو الصحيح فنتبعه؛ لكثرة ما جرّبناه.

الحاجّ فالح الخزعلي:

قبل الشروع في عمليات ضواحي محافظة صلاح الدين، أوصانا الحاجّ قاسم بقوله: «أوصيكم بأهل السنّة؛ لأنَّهم بين نارين، نار الحرب ونار داعش».

طبابة، اتصالات، ذخيرة، أسلحة، دبابات، أحضر الحاجّ قاسم كلّ شيء معه وقاد المعركة ميدانياً برفقة الحاجّ المهندس الذي كان مهندساً ميدانياً للحاجّ قاسم في أرض المعركة.

في عمليات تحرير قضاء الدور وألبو عجيل وألبو ناصر اتصلت بالسيّد صادق السكرتير الشخصي لرئيس الوزراء حيدر العبادي، وطلبت منهم أن يأتوا إلى قضاء

سامراء، وأنا سأكون في استقبالهم، حتّى يكون هناك إشراف ميداني لهم في العمليات العسكرية.

لكن الحمد لله انتهت المعركة وحقّق النصر بقيادة الحاجّ قاسم ولم أرَ القائد العام للقوات المسلحة موجوداً بيننا، وعندما جاء في عمليات تكريت جاء ليطلب منا إيقاف العمليات، أو إشراك الأمريكان معنا تحت مسمّى التحالف الدولي!

السيّد خضير المطروحي:

في كلّ العمليات العسكرية التي خضناها بقيادة الحاجّ قاسم كنا نشعر بالنصر قبل تحقّقه، وعندما يصل الحاجّ قاسم إلى خطوط الصد مع العدو ويستطلع شخصياً كلّ القطعات العسكرية تزداد معنويات المجاهدين، ويشعرون بأنَّ النصر حليفهم، فكيف لا ننتصر وقائدنا الحاجّ سليماني؟! حين يكون الحاجّ قاسم سليماني موجوداً في العميات العسكرية، تكون كلّ الإمكانيات التي لا يتصوّرها أحد موجودة، الآليات، سلاح، ذخيرة، طبابة، لا يبخل بشيء عنّا مهما كان.

في عمليات تحرير محافظة صلاح الدين، كُلّفت بواجب فتح الطريق الرابط بين سد العظيم وتلال حمرين، حينها كانت المعركة مع العدو شرسة جداً، كان العدو مصرّاً على عدم تقدّمنا إلى محافظة صلاح الدين، كذلك أرادوا عدم تمكيننا من تحرير تلال حمرين، كانت معارك تحرير تلال حمرين من أشرس المعارك التي خضناها مع العدو، لكن عندما يكون الحاجّ قاسم هو قائد المعركة يختلف الحديث هنا، فلا تبقى تلال حمرين عصية، ولا يبقى العدو بتلك الشراسة التي تحدّثنا عنها.

شرعنا بالتقدّم في الساعة ٦:٠٠ صباحاً، حينها وفرّ الحاجّ قاسم للعمليات كلّ الإمكانيات العسكرية، من مدفعية، وراجمات عسكرية، وصواريخ بأحجام مرعبة، استمرت المعركة إلى اليوم الثاني وعند الساعة ١٠:٠٠ صباحاً أعلن الحاجّ قاسم سليماني تحرير تلال حمرين العصيّة، كانت الابتسامة لا تفارق وجه الحاجّ قاسم سليماني حين تحررت حمرين وفُتح طريق سد العظيم.

استمرت العمليات العسكرية حتّى تمكنا من تحرير حقول علاس النفطية، وحقول العجيل النفطية، طيلة العمليات العسكرية لم يفارق الحاجّ سليماني خطوط الصد مع العدو، كان مرافقاً للمجاهدين خطوة بخطوة.

عندما يحل الليل كنا نطلب من الحاجّ قاسم أن ينسحب من قواطع العمليات، لكنّه كان يرفض طلبنا ويصر على البقاء مع المجاهدين، وكنّا بطريقة وأخرى نحاول إقناعه بأن ينسحب، فكان ينسحب من قاطع العمليات في الساعة ٢:٠٠ بعد منتصف الليل ويعود لنا بعد صلاة الفجر، وما إن يصل لخطوط الصد حتى يتفقّد النقاط واحدة تلو الأخرى.

كان الحاجّ قاسم سليماني يقود محاور عدّة في آنٍ واحد، حين كنا في محور عمليات تحرير صلاح الدين، كان معنا ويشرف أيضاً على محاور عمليات محافظة ديالى.

الحاجّ أبو ضياء الصغير[١]:

في عمليات جسر الزركة، طلب الأخوة من الحاجّ أبي منتظر المحمّداوي الاستمرار بالتقدّم حتى مطلع الجسر، لكنَّه رفض إكمال الطريق، أصروا عليه لكنَّه رفض أيضاً، كان خائفاً من المخاطرة بأرواح المجاهدين، وبينما الأخوة مصرين على تقدّمه أكثر، قال لهم الحاجّ المحمّداوي: أنا جنديٌ لدى الحاجّ قاسم، والحاجّ قاسم هو القائد الشرعي للمعركة، فإن قال لي: قف هنا سأقف، وإن قال لي: تقدّم سأبقى أتقدّم حتّى وإن وصلت إلى مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين.

فعلاً وصل الحاجّ قاسم لمحور الحاجّ المحمّداوي، فقال له الأخوة: إنَّ الحاجّ المحمّداوي لا يريد إكمال الطريق إلاّ بأمرٍ منك، ابتسم الحاجّ قاسم وقال لهم: الحاجّ المحمّداوي يعمل بالتكليف الشرعي الحقيقي.

وفعلاً طلب الحاجّ قاسم من المحمّداوي إكمال المسير حتّى مطلع الجسر، فطلب الحاجّ المحمّداوي من الحاجّ

---

(١) قيادي في هيئة الحشد الشعبي ومدير مكتبها في بغداد سابقاً.

قاسم أن يسمح له بأن يكون هو في مطلع القوات حتّى إذا كان هناك خطر على القوات أو حدث خطأ يكون هو الضحية الأولى قبل جنوده.

ولمّا سمع الحاجّ قاسم طلب الحاجّ المحمّداوي أخذه في أحضانه وقبّله على جبينه، والابتسامة تعلو محياه.

الحاجّ أبو عقيل الكاظمي[(١)]:

في عمليات صلاح الدين كنت برفقة الحاجّ المهندس، وكان الحاجّ قاسم يتنقل بين محاور ديالى وتكريت وجبال حمرين.

كانت هناك تحضيرات عسكرية استعداداً لعمليات تحرير حاوي تكريت الذي يقع خلف قضاء العوجة المدينة التي ولده فيها قاتل العراقيين صدام المقبور.

وبينما نحن نتابع الاستعدادات العسكرية وصل الحاجّ قاسم، تحدّث مع أحد المستشارين الإيرانيين، لم أسمع حينها ماذا قاله له: لكن المستشار غاب سريعاً وعاد

---

(١) قيادي في هيئة الحشد الشعبي ومدير مكتب الشهيد الحاج ابو مهدي المهندس سابقاً.

بدراجة نارية، استقلَّ الحاجّ قاسم الدراجة مع المستشار ودخلوا الأرض الحرام لاستطلاع العدو. لم نوافق على دخول الحاجّ قاسم للاستطلاع، لكن لا أحد يستطيع إيقافه ومنعه.

السيّد خضير المطروحي:

حين أكملنا محافظة صلاح الدين أصبح الحاجّ قاسم يخطّط لعمليات تحرير قضائي بيجي العصيّة ــ كما يسمّيها العدو ــ والفلّوجة منارة الإرهاب؛ لكثرة العدو فيها.

عام ٢٠١٥م أصبحت إمكانية الحشد الشعبي أكبر بكثير من السابق وهذا بفضل الحاجّ قاسم سليماني.

ولمّا أكملنا تحرير بيجي أخَذَنا الحاجّ قاسم إلى محافظة نينوى وكان معنا خطوة بخطوة في أغلب محاور العمليات التي انطلقت في محافظة الموصل كان الحاجّ قاسم معنا حتّى وصلنا إلى الحدود العراقية السورية.

الأنبار:

الحاجّ أبو علي البصري:

في عمليات تحرير الرمادي مركز محافظة الأنبار التي كانت تحت الحماية الأمريكية، ثم أخذها داعش من أيديهم، قال الأمريكان للضبّاط العراقيين: لا يمكنكم دخول محافظة الأنبار ما لم تضعوا على طاولة الأنبار خطّة عمليات تحرير بيجي.

المؤلّف:

ينقـل لـي أحـد الأخـوة المجاهـدين موقفاً حـدث فـي أطراف قضاء الفلّوجة قبل تحريرها بالكامل، حيث قال لي: كنا أنا ورفيقي في نقطة الرصد، نرصد تحرّكات العدو، زارنا الحاجّ المهندس في يومٍ من الأيام لنقطة الرصد، سلّم علينا وقبّلنا، ثم سألنا عن المنطقة، فتحدّثنا له بالتفاصيل عنها، فسألني أحد الذين يرافقون الحاجّ المهندس، كانت عربيته ضعيفة، قائلاً لي: هل لديكم سجل تكتبون فيه الملاحظات التي ترصدونها؟ قلت له: لا، نحن بالرصد مهمّتنا رصد حركة العدو والنداء بها إلى مركز القيادة، فقال لي: مع ذلك أطلب منكم أن تكتبوا لي كلَّ التفاصيل اليومية للعدو من خلال رصدكم لحركاته.

ودّعنا الحاج المهندس ورفيقه، فسألني رفيقي هل عرفت الرجل الذي برفقة الحاج المهندس؟ قلت له: لا، لكن أتصور أحد المستشارين الإيرانيين؛ لأنَّ عربيته

ضعيفة، فقال لي رفيقي: هذا الحاجّ قاسم سليماني! أعرف اسمه لكن لم أتصوّر في يومٍ ما يكون معي في نفس النقطة ويتحدّث معي.

طلبنا سجلاً من مركز القيادة وأصبحنا أنا ورفيقي نكتب كلَّ التفاصيل التي طلبها الحاجّ قاسم منا، دوّنا حتى ألوان العجلات والدراجات النارية، وكذلك تحرّك الأفراد والأماكن التي يتردّدون عليها.

بعدخمسة أيام جاء الحاجّ قاسم برفقة الحاج المهندس، وما إن سلَّم علينا حتى طلب سجل الرصد، وتابع كلّ المعلومات التي دوّناها له، ولمّا انتهى من قراءة كل الملاحظات، بدأ يسألنا أكثر، ولمّا انتهى من استماعه لنا أنا ورفيقي، طلب من المدفعية قصف الإحداثية المسجّلة في سجل الاستطلاع، وفعلاً بعد دقائق قصف الموقع الذي أشار له الحاجّ قاسم، ولمّا قُصف الموقع المذكور حدث انفجارٌ مرعب من حيث القوة والشدّة، ابتسم الحاجّ قاسم كثيراً، وقال: هذا هو كما توقّعت،

هـذا الموقـع الـذي قُصـف هـو موقـع الـدعم اللوجسـتي للعدو، هنا سلاحهم والذخيرة وحتى وقودهم.

نحـن منـذ أشـهر جالسـين بالرصـد، لكـن لـم نميّـز شـيئاً، والحـاجّ قاسـم فـي غضـون أيـام عـرف مـن الرصـد مواقـع العدو وأي موقع مهم، ثم أنهاهم في ضربةٍ واحدةٍ.

مهند العقابي:

فـي اجتمـاع عمليـات تحريـر الفلّوجـة الـذي عُقـد بحضـور رئـيس الـوزراء آنـذاك حيـدر العبـادي، ورئـيس الأركـان وكـل قـادة الصـنوف العسـكرية، مـع حضـور كافـة قـادة الحشـد الشـعبي بقيـادة الحـاجّ المهنـدس، وبحضـور الحـاجّ قاسم سـليماني، لـم يصلوا إلـى حل حـول تحريـر الفلّوجـة، وكـل قـادة القطعـات تحـدّثوا علـى الخارطـة بـلا أيّ جـدوى، ولمّـا انتهـى حـديثهم جميعـاً وقـف الحـاجّ قاسـم سـليماني وهـو يحمـل بيـده قلـم الإشـارة علـى الخارطـة، وقـال لهـم: مـن هنـا نبـدأ بتحريـر الفلّوجـة، مـن الأعلـى إلـى الأسفل، وهذه نقاط قوة العدو وهذه نقاط ضعفه.

انتهى الاجتماع بعد حديث الحاجّ قاسم، وباشرت القطعات بعمليات التحرير على خطة الحاجّ قاسم.

الحاجّ حسن فدعم:

من أولويات الحاجّ قاسم وحتى الحاجّ المهندس هو اشراك القوات الأمنية من الجيش العراقي والشرطة بعمليات التحرير.

وكان الحاجّ المهندس ـ وبدعم من الحاجّ قاسم سليماني ـ يدعم القوات الأمنية العراقية بالسلاح والذخيرة والدعم اللوجستي.

قبل الشروع في عمليات تحرير قضاء الفلّوجة، عقد الحاجّ قاسم سليماني اجتماعاً أمنياً مشتركاً بين قيادة الحشد الشعبي والقوات الأمنية، وبدأ الحاجّ قاسم بالحديث عن عمليات الفلّوجة والمدن الأخرى التي تحيط بها، ولأهمّية اشراك القوات الأمنية في عمليات التحرير تمَّ تقسيم منطقة العمليات إلى قسمين:

القسم الأوّل: بقيادة الحاجّ قاسم سليماني مع اشراك جميع قطعات الحشد الشعبي، وهو محور شمال الفلّوجة.

والقسم الثاني: بقيادة ضبّاط قيادة عمليات بغداد بكل صنوفها العسكرية.

في محور شمال الفلّوجة كان لدينا عدّة أهداف، وكلّ هدف يقع على عاتق أحد ألوية الحشد الشعبي، وبين ليلة وضحاها أنجزت قيادة الحشد الشعبي كلّ الأهداف المراد تحريرها، وانتظرنا تقدّم محور جنوب الفلّوجة على الأهداف التي وضعت له، لكن لم يستطيعوا التقدّم كثيراً؛ بل كان الجيش العراقي يتقدّم ١٠٠٠ متر في اليوم الواحد، ويعود ينسحب إلى ٢٠٠٠ متر؛ لأنَّه لا يوجد لديهم القدرة على المواجهة والصمود، والمؤسف في القضيّة أنَّه مع كلّ انسحاب للجيش العراقي تزداد معنويات العدو ويشعرون بالنصر.

اجتمع الحاجّ قاسم سليماني بضبّاط قيادة عمليات بغداد، وتحدّث معهم حول مشكلة عدم تقدّمهم

وصمودهم أمام العدو، وقالوا للحاجّ قاسم: بأنَّهم لا يستطيعون التقدّم بسبب تفخيخ جميع الطرق الرئيسية في محور جنوب الفلّوجة، كما أنَّ العدو ينتقل بين المزارع، والمنطقة معروفة بكثافة البساتين.

فقال الحاجّ قاسم لهم: إنَّ العدو ينتقل بين البساتين لأنَّ هناك كثافة في الأشجار، وهذا ما يجعلهم يتحرّكون بأمان، وكذلك يعلمون جيداً أنَّكم لا تستطيعون التقدّم عليهم عن طريق البساتين بسبب انخفاضها الحاد عن الطرق الرئيسية، وحتى نرغم العدو على إزالة العبوات الناسفة من الطرق العامّة، يجب أن نقطع عليهم الطرق النيسمية بين البساتين، وهذا بواسطة فتح ماء الأنهر على البساتين وإغراقها بالكامل.

طلبت قيادة عمليات بغداد من الموارد المائية إنشاء نهر من ذراع دجلة إلى بساتين كرمة الفلّوجة، فردّت الوزارة بأنَّها تحتاج مدة من ٥٥ يوم إلى ٦٥ يوم حتّى تستطيع إنشاء هذا النهر، كما طلبت توفير الحماية للعاملين.

فطلب الحاجّ قاسم من الحاجّ المهندس أن يتكفّل بهذا الموضوع، فطلب الحاجّ المهندس من الحاجّ أبي علي الكوفي المباشرة بفتح نهر من ذراع دجلة إلى البساتين، و في غضون ستّة أيام فقط استطاع الكوفي ـ معاون الحاجّ المهندس لشؤون الهندسة ـ من فتح النهر وإغراق بساتين المنطقة بالكامل، وهذا ما جعل العدو يزيل العبوات الناسفة من الطرق العامّة، حتّى يستطيعوا الانتقال بين المدن، ولمّا أزال العدو عبواته الناسفة، استطاعت قيادة علميات بغداد تحرير محور جنوب الفلّوجة في غضون ٤٨ ساعة فقط.

انتهت العمليات وغادر الحاجّ قاسم سليماني المدينة بكلّ صمت، ووقف قائد عمليات بغداد آنذاك معلناً تحرير كرمة الفلّوجة والقرى المحيطة بها.

الحاجّ أبو ضياء الصغير:

في عمليات تحرير الفلّوجة، كنت مشتركاً في العملية كأيّ مجاهد، حيث لم يكن لي أيّ عنوان في العمليات

وحضـوري للمشـاركة، وأبنـائي الثلاثـة كـلّ واحـدٍ مـنهم في محور مع المقاتلين.

حينها كان ولدي عليّ جريحاً وقد أُصيب بعينه في عمليات تحرير جبال حمرين، وعلى أثر الإصابة فقد النظر فيها، كما أصيب بعدّة جروح في مناطق مختلفة من جسده، في هذه العمليات لم يكمل علي بعد مرحلة العلاج، لكن أصرَّ على أن يلتحق مع رفاقه بعمليات الفلّوجة، وأثناء التقدّم على المعمل الأزرق، شاهد الحاجّ قاسم ولدي عليّاً ولمّا شاهده في العمليات رفض وجوده وقال له: كيف تأتي إلى هنا وأنت لم تلتئم جراحك بعد؟! عليك مغادرة العمليات فوراً، انزعج عليٌّ لكنَّه تقبّل الأمر؛ لأنَّه أمرٌ شرعيٌّ قبل أن يكون عسكريّاً.

انتهـت العمليـات وفـي مسـاء ذات اليـوم شـاهدني الحـاجّ قاسـم فـي غرفـة العمليـات، ولمّـا شـاهدني غضـب علـيّ وسألني مَن بقي في بيتكم مع الحاجّة؟ قلت: لا أدري.

فقـال لـي: أنـت هنـا، وعلـيّ عينـه مـا زالـت تنـزف وهـو هنـا أيضـاً، وحيـدر شـاهدته فـي أحـد المحـاور مـن بقـي فـي

بغداد مع الحاجّة؟ ليس صحيحاً أن تتركوها وحدها، قلت له: يا حاجّ أنا لا ولاية لي عليهم هنا.

قال لي: كيف لا ولاية لك عليهم؟ أنت والدهم، مُرهم فوراً بمغادرة العمليات.

قلت له: يا حاجّ أنا والدهم وآمرهم في بغداد، أمّا هنا فأنت القائد وأنت الولي الشرعي. قال: إذن ما زلت أنا صاحب القرار عليك فأبلغ عليّاً أمري في مغادرته للجبهة.

مع انشغاله بقيادة العمليات و القيادة الميدانية للمجاهدين، لكنّه لم ينسَ دقائق الأمور، فلم ينسَ أن علياً كان جريحاً، كما وتذكر أنَّ زوجتي بقيت في بغداد بمفردها.

الذي يسمع عن الحاجّ قاسم وشراسته في المعارك يظنّ بأنَّ الله تعالى لم يخلق رحمةً في قلبه! لكنَّ الواقع ليس كذلك؛ فهو يمتلك عاطفة عجيبة.

مـن السـمات الحسـنة للحـاجّ قاسـم أنَّـه كـان كثيـراً مـا يستشير مَن حوله ويستمع لهم قبل أن يتخذ أيّ قرار.

أتـذكر هـذا الموقـف جيـداً، فـي عمليـات الصـقلاوية كـان الأخـوة ينتظـرون أمـراً مهمّـاً مـن الحـاجّ قاسـم، حينهـا بقـي الحـاجّ قاسـم جالسـاً فـي غرفـة العمليـات لـم يتحـدّث بشـيء، ولمّـا شـاهد الحـاجّ المحمّـداوي قادمـاً أخـذ الخارطـة العسـكرية وجلسـا بعيـداً عـن الأخـوة المجتمعـين، وبقيا يتحدّثان معاً حتّى خرجا بنتيجة واحدة.

أنا على يقـين لـو كـان هنـاك شـخص آخـر بمنصـب الحـاجّ قاسـم مـع الإمكانيـات التـي يمتلكهـا، فمـن الممكـن جـداً أنَّـه لا يسـتمع لأي شـخص آخـر، ولا يستشـير أي أحـد مهمـا بلغـت درجتـه، لكـن الحـاجّ قاسـم ومَـن هـو علـى شاكلته ليس كذلك.

السيد خضير المطروحي:

فـي آخـر عمليـات قادهـا الحشـد الشـعبي فـي تحريـر قضـاء القـائم الحـدودي، كـان الحـاجّ قاسـم سـليماني حاضـراً

معنا وكان موجوداً حين زف النصر للعراقيين وأصبح العراق خالياً من الإرهاب.

الحاجّ أبو كرار السهلاني:

في عمليات تحرير النباعي، كانت هناك مقاومة من العدو شرسة جداً، كان الحاجّ المحمّداوي هو قائد العمليات، كانت كثافة إطلاق النار من العدو عجيبة مع قنص على أكثر من محور، كنت حينها أنا المسؤول اللوجستي للقوات، فانسحبت من المعركة إلى الخلفيات لأجل تأمين الذخيرة للمقاتلين، وأنا في طريق الانسحاب للخلفيات، استوقفتني عجلة ترجّل منها الحاجّ قاسم سليماني، فسلّم عليَّ وقال: أريد الوصول لمحور الحاجّ المحمّداوي، قلت له: يا حاج! أبو منتظر لا يقبل بقدومك هناك؛ لأنَّ المعركة شرسة جداً، و العدو موجود في أكثر من محور، كذلك نحن تحت مرمى القنّاص، والاشتباكات مازالت مستمرة.

أصرَّ على طلبه كثيراً، وأنا أخجل أن أرد طلباً للحاجّ قاسم، فناديت على الحاجّ المحمّداوي، وقلت له: يا حاجّ! حبيب ـ وهو الاسم المشفر للحاجّ قاسم ـ بالقرب مني ويريد الوصول لكم، فسرعان ما رفض الحاجّ المحمّداوي قدوم الحاجّ قاسم، فأبلغت الحاجّ قاسم برفض المحمّداوي لقدومه إلى المعركة، فقال لي: أبلغ المحمّداوي أنَّي أحظر معهم حتّى ولو لدقيقتين فقط، لم أراجع الحاجّ المحمّداوي في الأمر وأخذت الحاجّ قاسم معي في عجلتي لأنَّها كانت مصفّحة ضد الرصاص، وعدنا معاً إلى ساحة العمليات، ولمّا شاهدت الحاجّ المحمّداوي اعتذرت له من تصرّفي هذا وقلت له: يا حاجّ أنا أستحي كثيراً من أن أرد طلباً للحاجّ قاسم، وهو أصر على الحضور إلى هنا.

بقي الحاجّ قاسم معنا في خط الصد حتّى انتهاء العمليات، وبين إطلاقة وأخرى يلتفت له الحاجّ المحمّداوي وهو يقول له: احذر يا حاجّ انتبه! كان الحاجّ المحمّداوي حريصاً على سلامة الحاجّ قاسم من أيّ أذى أكثر من روحه.

الحاجّ أبو امتحان الحلفي:

أتذكر في معركة الخالدية كان الحاجّ قاسم يتابع سير العمليات عبر الناظور العسكري، وبجانبه الحاجّ المهندس، فكان الحاجّ قاسم يطيل الوقوف وهو يتابع تقدّم القوات، كان الحاجّ المهندس يخشى عليه، ويقول له: يا حاجّ انزل حتى لا يحدث لك مكروه ما لا سمح الله، فكان الحاجّ قاسم يردّ قائلاً: انصت واسكت ودعني أرى، وكان يصر على متابعة تقدّم القوات، ولا يبالي لأزيز الرصاص حوله.

❁ ❁ ❁

رامي مدفع الرشاش ٢٣ملم:

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

كان الحاجّ قاسم سليماني يتابع محور العمليات في ديالى مع الحاجّ أبي منتظر المحمّداوي، وكنت أنا برفقة الحاجّ المهندس أتابع سير العمليات بين سامراء وتكريت، وفي ذات يوم جاء الحاجّ قاسم سليماني لمحور عملياتنا، ولمّا شاهدني سألني ماذا تفعل هنا؟ قلت له: أنا هنا مع الحاجّ المهندس، فقال لي: اذهب مع الحاجّ المحمّداوي في ديالى، اترك

سامراء الآن، قلت له مَن سيبقى هنا؟ فردّ عليَّ قائلاً: لا علاقة لك، اذهب أنت واترك هذا الموضوع.

في نفس الليلة التي كلّفني فيها جاء في الساعة ٢:٠٠ بعد منتصف الليل وطلب منا مرافقته أنا والحاج أبو حبيب السكيني، خرجنا في منتصف الليل ولا نعرف إلى أين يتوجّه بنا الحاجّ قاسم في هذا الوقت؟ لكن ما إن اتجهت العجلة نحو طريق واحد حتى عرفنا أننا نتوجّه لناحية العظيم في محافظة ديالى، وهناك وجدنا الحاجّ المحمّداوي بانتظارنا، ولمّا أشرقت الشمس شرعت العمليات العسكرية من عدّة محاور لم يكن لنا علم بها إطلاقاً.

رافقنا الحاجّ قاسم سليماني ميدانياً في كلّ محاور العمليات التي انطلقت من ناحية العظيم إلى سد العظيم ثمّ إلى قضاء العلم، طيلة أيام العمليات لم أرَ الحاجّ قاسم قد شعر بالتعب، وكان يحظر ميدانياً في كلّ المحاور ويخرج من المعسكر منذ بزوغ الفجر ولا يعود حتى يطمئن بأنَّ جميع القوات مؤمَّنة بساتر وخط صد قوي.

استمرت العمليات العسكرية بقيادة الحاجّ قاسم حتّى وصلنا إلى مفترق طرق، فقسَّم الحاجّ قاسم القوات إلى محورين، أحدهما اتجاه منطقة الفتحة، والآخر اتجاه جبال حمرين وعلاس.

وقف الحاجّ قاسم على أحد المرتفعات وصار يتابع تقدّم المحورين معاً، كانت الاشتباكات عنيفة جداً، كانت هناك دراجة نارية متوقفة بالقرب من الحاجّ قاسم، فطلب مني أن أتوجّه فيها إلى محور حمرين ودفع القوات إلى الأمام أكثر، ولمّا توجهت اتجاه قواتي، جاءت عجلة عسكرية مفخّخة نوع همر، يقودها أحد الانتحاريين، توجّهت نحو القوات التي يقف معهم الحاجّ قاسم، حينها كان لا يوجد لدينا أيّ سلاح يستطيع إيقاف هذه العجلة المفخّخة، ولا خيار أمام القوات إلاّ الرماية بكافة الأسلحة نحوها، استمرت الرماية بكثافة، لكن بلا جدوى.

كانت هناك عجلة عسكرية تابعة لسرايا أنصار العقيدة، تحمل مدفعاً رشاشاً عيار ٢٣ ملم، كان الرامي الذي

يجلس فيها من الأبطال الذين يستحقّون أن تُقبَّل أياديهم، حيث استمرَّ هذا البطل بالرماية على العجلة بتسديدٍ قويٍّ جداً، حتّى وصلت بالقرب منه بمسافة خمسين متر، وهو ما زال يرمي اتجاهها حتّى انفجرت، ولشدّة الانفجار كنت أعتقد بأنَّي لا أجد أثراً للرامي، لكن لطف الله سبحانه وتعالى كان فوق جميع التصورات؛ إذ لم يستشهد أحد، وكانت الجروح جميعها جروحاً طفيفة، وطول هذا الوقت لم يتزعزع الحاجّ قاسم سليماني من مكانه، وكان ينادي على المقاتلين واحداً تلو الأخر ويوجّههم إلى الأماكن الأصح بالرماية.

الشيخ جلال الدين الصغير:

تشرفت في يومٍ ما بزيارة الحاجّ قاسم لداري وكان يحمل معه بندقية صيد نوع برتا إيطالية الصنع، سألته عن سر هذه البندقية؟ فأخبرني أنَّها هديه لأحد المقاتلين في الحشد الشعبي، فقلت: لماذا تحملها أنت

معـــك؟ قـــال لـــي: إنَّ هـــذا المقاتـــل مـــن مقـــاتلي أنصـــار العقيـدة، سـألت عـن اسـمه فعرفتـه مـن مقاتلينـا الأبطـال مـن أهـالي العمـارة، وهـو رامـي سـلاح مـدفع رشـاش عيـار ٢٣ ملم.

سألت الحاجّ قاسم عن سرّ الهدية فقال لي: هذا المقاتل صمد صمود الأبطال أمام العجلة؛ إحدى العجلات المفخّخة التي هاجمتنا في تلال حمرين قد استتر الجميع منها إلاّ هو بقي جالساً على سلاحه ويرمي اتجاه العجلة المفخّخة، وكان يعرف أنَّها مفخّخة وأنَّ سلاحه لا يوقفها، لكنَّه أصرَّ على عدم الانسحاب حتّى انفجرت عنه بمسافة خمسين متر، كنت أنا بالقرب منه، وكنت أظنّ أنَّ هذا الشاب قد نال وسام الشهادة، لكن سبحان الله مع قوة الانفجار وقرب المسافة بينه وبين عجلة العدو المفخّخة، لكنَّه لم يُصب بأذى وخرج سالماً بعد ظن الجميع بأنَّه قد استشهد.

فقلـــت للحـــاجّ قاســـم: يـــا حـــاجّ وأنـــت مـــا لـــذي تفعلـــه بحمـرين؟ ولمـاذا أنـت قريـب هكـذا مـن خـط الصـد؟ لـو

لم يقف ذلك المجاهد وتصدّى للعجلة المفخّخة ربما نلت أنت وسام الشهادة بين المقاتلين، طبعاً لم يجب وبقي صامتاً ويبتسم.

سألت المقاتل حميّد وهو من الناس البسطاء لا يجيد القراءة والكتابة، كيف وقفت بالعجلة التي عليها سلاحك وترمي على العجلة المفخّخة وأنت تعرف بأنَّ هذا السلاح لا يوقفها؟! لماذا لم تترك سلاحك وتخفي نفسك خلف الساتر أو الجبل؟!

بقى حميد يبتسم وهو يقول: شيخنا! كلّ المقاتلين عندها سلاح يحملونه معهم عندما يركضون، أمّا أنا فسلاحي مدفع رشاش عيار ٢٣ ملم مثبت على العجلة التي أنا جالس أرمي منها، فكيف اتركها وأنهزم وفيها سلاحي؟ هذا هو سلاحي الشخصي، فإذا تركته يقولون: حميّد ترك سلاحه وهرب.

قبَّلت حميّد على جبينه وقدّمت له هدية الحاجّ قاسم سليماني؛ تثميناً لموقفة البطولي.

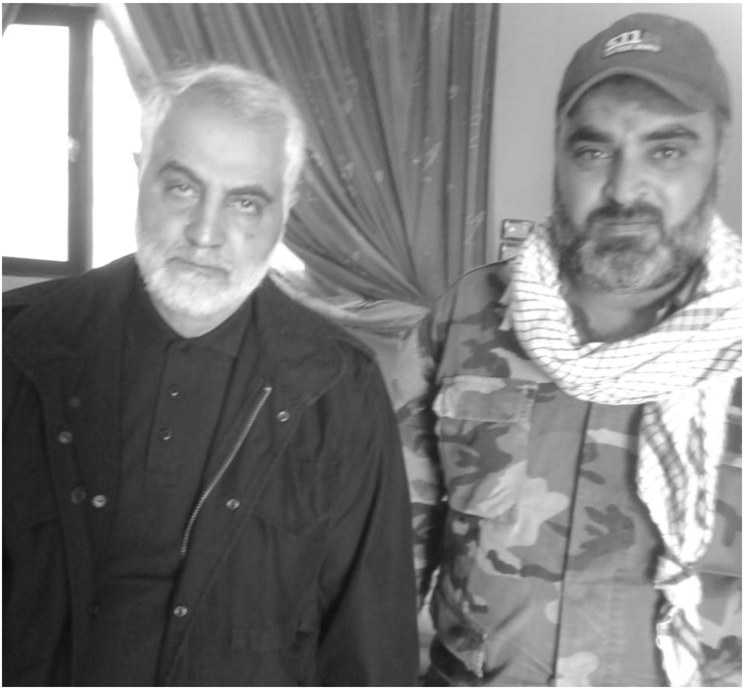

كنت برفقة سليماني:

أبو آمنة الخاقاني:

كان الحاجّ قاسم سليماني مصداقاً لقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أخفى وليَّه في عباده**»[1]، فكان بحقّ وليّاً من أولياء الله تعالى في الأرض.

---

(١)ـ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ١١٣، ح١.

بحكم عملي كضابط عمليات في هيئة الحشد الشعبي، عملت لفترة ليست بقصيرة مع الحاجّ قاسم سليماني، هذا القائد العظيم الذي رأيت فيه ما لم أره طيلة حياتي، كان قائداً عسكريّاً محنّكاً، ومجاهداً فقيراً متواضعاً، وعقلاً إداريّاً فذّاً، وقلباً كبيراً يستوعب الجميع مهما كانت دياناتهم وقومياتهم، كان الحاجّ قاسم سليماني إنساناً بمعنى الكلمة.

أنا على يقين بأنَّ في كلّ شبر من أرضنا الحبيبة التي حُرّرت، فيها ذكرى وموقف للحاجّ قاسم سليماني.

في عمليات شمال الرطبة بمحافظة الأنبار، كان الموقف صعباً جداً، الحرب على محورين: محور مع الاحتلال الأمريكي، وأخرى مع داعش، وكل واحد منهما مكمّلٌ للآخر، أمريكا كانت وما زالت لا تريد السيطرة على الشريط الحدودي بين العراق وسوريا؛ وذلك لتسهيل مهمّة انتقال العدو بين البلدين، فهي لا تريد أيّ وجود لنا على الحدود، وأهم مرتكز لدينا في إنجاح

العمليات في الشريط الحدودي هو تقدّمنا في محور واحد مع الجيش السوري وفصائل المقاومة الإسلامية؛ كي لا يلتفّ العدو على أحدنا.

أمريكا سعت بشتى الطرق على قطع الاتصالات بيننا وبين الجانب السوري، لكن حكمة وقيادة الحاجّ قاسم أكبر من أن تسيطر أمريكا وتفرض هيمنتها على قوة أو محور بقيادة الحاجّ قاسم سليماني، هذا القائد الميداني.

في أحد الأيام جاءني نداء عبر جهاز المناداة العسكري، بأنَّ هناك ضيفاً سيقدم عليكم يوم غد من الجانب السوري، حينها كنت أنا في مقر عمليات الحشد الشعبي بمطار H3، تحدّثت مع المنادي وحدّدنا نقطة دلالة وهي ٦٨ كم شمال الوليد، في صباح اليوم الثاني توجّهت أنا وآخران كانا برفقتي إلى المكان المتفق عليه، وفعلاً حسب الإشارات والدلائل وصلت لنا عجلة نوع تويوتا بيك آب بيضاء اللون، ولمّا توقّفت العجلة بجانبنا شاهدنا الحاجّ قاسم سليماني داخل العجلة مع

اثنين من مرافقيه بمفردهم، كانوا قادمين من تلك الصحراء التي لا يعرف فيها العدو من الصديق، بالواقع تفاجأنا بأن يكون الضيف هو الحاجّ قاسم.

توجّهنا لأحد محاور الحشد الشعبي برفقة الحاجّ قاسم واستقرينا هناك حينها كنا ننتظر وجبة الغداء من الدعم المركزي وبعد مرور ما يقارب الساعة وصل لنا الغداء، كان مطبخ المجاهدين يبعد عن النقطة التي نتواجد فيها أكثر من ١٦٠ كم، تخيّلوا طعاماً في علبٍ سفري، يمرّ في طريق أكثر من ٨٠ كم منه ترابي فكيف سيكون حاله؟!

أتذكر حينا أنَّ الخبز صاراً يابساً من الهواء، والطعام مُزج مع الرمل، فكنت أشعر بالخجل من أن نقدّم هذا الطعام للحاجّ قاسم سليماني، قائدنا وضيفنا، تناول الحاجّ قاسم الطعام وسط المجاهدين العراقيين بكلّ سرور.

ولمّا انتهى من تناول الطعام وقف في منتصف المجاهدين من أجل أن يلتقطوا معاً الصور للذكرى،

فكـان يقـبّلهم واحـداً تلـو الأخـر، حتّـى أتـذكر أنَّـه كـان يتحـدّث مـع أحـد مرافقيـه قـائلاً: لا تتـأخروا كثيـراً هنـا؛ لا أريد المجاهدين يقفون تحت أشعة الشمس من أجلي.

فـي عمليـات تحريـر قضـاء القـائم، تحرّكنـا اتجـاه (البـو كمـال)، كنـا نريـد أن نلتقـي مـع قيـادة الجـيش السـوري والأخـوة فـي حـزب الله مـن أجـل عمليـات تحريـر ألبـو كمـال، لكـن سـبحان الله ثـلاث أيـام علـى التـوالي لـم نسـتطع العبـور واللقـاء بـالأخوة؛ إذ فـي كـلّ مـرة كـان داعش يقطع علينا الطريق ونعود من جديد.

في تلك الأيام كان الحاجّ قاسم في طهران يستقبل المعزّين له بوفاة والده، وكنا نشاهد لقطات من مجلس العزاء عبر قناة الميادين، قلت للأخ قائد المحور: لماذا لم تذهب إلى طهران تعزي الحاجّ قاسم بوفاة والده؟ قال لي: أنا أتمنّى أن أذهب لمجلس العزاء لكن شؤون العمليات والوضع هنا أهم، وفي ذات يوم أخبرنا الحاجّ قاسم بأنَّ سماحة السيّد السيستاني يقول: على المجاهدين أن لا ينزلوا لزيارة أربعين الإمام

الحسين عليه السلام؛ فهناك أناس تزور الإمام الحسين عليه السلام عنهم بالنيابة.

ومن المعلوم أنَّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام أهم من مجلس عزاء والد الحاجّ قاسم، والحاج لم يوافق لترك الجبهة والذهاب للزيارة، فكيف إذا تركنا الجبهة من أجل مجلس عزاء والده؟!

في اليوم الثاني كُلّفت بواجب اتجاه الصحراء من أجل أن ألتقي مع الأخوة في حزب الله، ولمّا وصلنا للصحراء في الأراضي السورية ضللنا الطريق؛ لأنَّ أغلب الطرق كانت ترابية وتتشابه علينا.

بقيت على نداء مع الأخوة في حزب الله من أجل أن أصل إليهم، لكن غابت الشمس ونحن لم نصل للأخوة بعد، وأثناء بحثنا عن الأخوة شاهدنا ثلاث عجلات تتجه نحونا، لا نعلم حينها إن كانوا من الأصدقاء أو الأعداء، أو ربما الأمريكان في رتل وهمي، عادةً الأمريكان يتحرّكون بعجلات مدنية لغاية لا نعرفها.

ولمّـا أصـبحوا علـى مقربـةٍ منّـا ويشـاهدوننا ونشـاهدهم، أخرجنـا الرايـة للعلامـة، فـاخرجوا هـم الرايـة أيضـاً، حينهـا تيقّنـا أنَّهـم مـن الأصـدقاء، كانـت العجـلات الـثلاث، أثنـان مـنهن نـوع تويتـا بيـك آب وأخـرى نـوع جيـب، توقّفـت العجـلات ونـزل الأخـوة مـن الحـزب، عرّفـوا أنفسـهم وعرّفـت لهـم نفسـي، وبينمـا نحـن نتحـدّث ترجّـل الحـاجّ قاسـم سـليماني مـن إحـدى العجـلات، حينهـا لـم أصـدّق مـا أرى، فإنَّـه لـم يمـضِ علـى وفـاة والـده سـبعة أيـام، سـلّمت عليـه كمـا عزيتـه بوفـاة والـده، وقلـت فـي نفسـي: عجبـاً للحـاجّ قاسـم حتّـى وهـو فـي حالـة حـزن علـى فـراق والـده لم يترك ساحات الجهاد!

لـم يمـضِ كثيـراً علـى وصـول الحـاجّ قاسـم، حتّـى وصـل رتـل الأخـوة الـذين نريـد أن نلتقـي بهـم مـن أجـل توحيـد القطعات والعمليات.

حملـت جهـاز النـداء وناديـت مقـر القيـادة وقلـت لهـم: إنَّ الحـاجّ حبيـب بـالقرب منـي، كـان لقـب الحـاجّ قاسـم

سليماني في النداء العسكري الحاجّ حبيب، فلم يصدّق الأخوة في مقر القيادة، فكرّروا النداء عليَّ مرةً أخرى، هل تقصد الحاجّ حبيب، حبيب نفسه، فقلت لهم: نعم. ولمّا سمعوا بأنَّ الحبيب سيصل أرضنا الحبيبة، عمَّت الفرحة ما بينهم شوقاً للقائه.

أتذكر أنَّ أحد الأخوة من قادة حزب الله قرأ في الجلسة التي يترأسها الحاجّ قاسم، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي**

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ...﴾ سورة التوبة: ١١١، فردَّ عليه الحاجّ قاسم بلسانه العربي الجميل، عزيزي سيّدنا اقرأ قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ سورة النصر: ١؛ لأنّنا تجاوزنا آية:﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى**﴾، وأصبحنا في آية:﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ**﴾.

تناولنا وجبة العشاء، وتم توزيع المهام وتحديد ساعة الصفر للعمليات العسكرية ولمّا انتهى الحاجّ قاسم من حديثه حول العمليات العسكرية، طلب الأخوة في قيادة الحشد الشعبي من الحاجّ قاسم سليماني مغادرة الأراضي العراقية خوفاً عليه، لكنَّه رفض طلبهم وقال سأتابع معكم عمليات التحرير خطوة بخطوة، أصرّوا على انسحابه وأصرَّ هو على البقاء، وقال لهم: أنتم الآن لا تعرفون حجم هذه العمليات وما يراد منها، سأخبركم لاحقاً.

انطلقت العمليات وتمَّ تحرير القائم والوليد وألبو كمال، ولمّا انتهت العمليات سألنا الحاجّ قاسم عن سرّ بقاءه معنا ومتابعته للعمليات ميدانياً؟ فقال: أصررت على البقاء لأنّي أعرف أنَّ

هناك جهات سياسية وعسكرية لا تريد ولا تسمح بتحرير القائم، ولا ألبو كمال، ولا يريدون أصلاً التقاء القطعات العسكرية السورية والعراقية معاً؛ لذلك كان لا بدّ أن أكون معكم ميدانياً؛ حتّى أتفادى أيّ مشكلة وخطر كان ممكن أن يحدث لو لم أكن موجوداً.

كنا في يومٍ من الأيام مرابطين في الحدود العراقية السورية في موقع قريب جداً من الشريط الحدودي، وكان برفقتنا الحاجّ قاسم سليماني والأخوة من مرافقيه الذين لا يتعدّى عددهم ثلاث فقط، وبين ما كان الحاجّ قاسم مشغولاً في متابعة سير العمليات جاء أحد الأخوة من قادة حزب الله وأخبر الحاجّ قاسم أنَّ أحد المقرات الخاصة تعرَّضت للقصف الأمريكي، وعليك الانسحاب فوراً من هنا، ولمّا سمع الأخوة المرافقون حديث الأخ في الحزب، هبّوا سريعاً وكل شخص منهم أخذ دوره وطلبوا من الحاجّ قاسم مغادرة المقر فوراً، لكن الحاجّ قاسم واجههم بهدوء ملفت للانتباه،

لم يتزحزح من مكانه وقال لهم: لا تخافوا لن يحصل شيء معي، ولا أتعرض إلى أيّ مكروه.

تعامل مع الموقف بهدوء قلّ نظيره، وكأنَّ حديث الأخوة وخوفهم كان عن شخصٍ آخر، وليس هو المقصود بذلك!

كان الحاجّ قاسم سليماني كثير الكرم عرف بين جميع من يعرفوه بكرمه، أنا شخصياً كنت أقول عنه: الحاجّ قاسم عربي من جنوب العراق الذين عرفوا بجودهم وكرمهم.

كنتُ صائماً في يومٍ من أيام شهر صفر، وأتذكّر أنَّه يوم جمعة وأنَّ صومي كان مستحبّاً، وكنت حينها في مقر عملي في العمليات المشتركة الكائن في الحدود العراقية السورية، كان الحاجّ قاسم سليماني معنا في مقر العمليات، ولمّا استيقظ الأخوة المجاهدون قاموا بتجهيز وجبة الإفطار (الريوك) للحاجّ قاسم، فدعاني معه للإفطار وخجلت أن أقول له: أنا

صائم، بقيت أتحدّث معه في حديث آخر، ثمّ خرجت أتابع عملي، وأثناء خروجي من المقر، قال أحد الأخوة للحاجّ قاسم: يا حاجّ! الأخ أبو آمنة صائم. فأخذ الحاجّ قاسم قطعة من الخبز ووضع فيها قطعه من الجبن واتَّبعني إلى باب المقر منادياً: توقف! قلت له: نعم يا حاجّ بخدمتكم تفضّلوا، قال لي: ألا تريد أن تحصل على ثواب الصيام بأنَّك تستجيب دعوتي لتفطر، وأنا أحصل على ثواب ذلك أيضاً؟! أخذتها وأنا خجلان منه، وأتحدّث مع نفسي أيّ صفات يحمل هذا القائد؟!

فطرنا معاً ثمّ طلبت منه أن يهدي لي الشماغ الذي يرتديه، نزع الشماغ ووضعه على رقبتي وأخذ يدي قبّلها بغير علمي، فأخذت يده لأُقبّلها لكنّه رفض، أصررت على أن أقبّل يده لكنّه لم يقبل، حينها كنت أحمل في جعبتي حجراً من حرم الإمام الحسين عليه السلام، أخرجت ذلك الحجر وقدّمته للحاجّ قاسم وقلت له: يا حاجّ هل تقبل مني هذا الحجر من حرم الإمام الحسين عليه السلام، أخذها وشمّها ثمّ قبّلها حتى دمعت عيناه.

إصابة الحاجّ المحمّداوي:

المؤلّف:

قال لي أحد الأخوة من المجاهدين: «كان الحاجّ المحمّداوي قائد عمليات ديالى، وكان المشرف على كافة المحاور. وفي يوم ما جاء أحد القادة الميدانيين وطلب من الحاجّ المحمّداوي المسير على الخطة

العسكرية التي وضعها ذلك الشخص، فرفض الحاجّ المحمّداوي وقال له: لا يمكن أن أتقدّم بالمجاهدين على هذه الخطة التي وضعتها أنت؛ لأنها بكل بساطة ستتسبب بذهاب عشرات الشهداء.

أراد ذلك الشخص فرض نفسه، لكن الحاجّ المحمّداوي رفض الانصياع له، وبينما اشتدَّ الحديث بينهم، جاء الحاجّ قاسم وسأل الشخص الذي يريد من المحمّداوي أن يكون تحت قيادته، من قائد العمليات هنا؟

قال له: أنت يا حاجّ.

فقال الحاجّ قاسم: وأنا مَن قائدي؟

قال ذلك الشخص: السيّد علي الخامنئي.

قال الحاجّ قاسم: أنا الحاجّ قاسم قال لي السيّد علي خامنئي: حينما تكون في العراق ويكون الحاجّ أبو منتظر المحمّداوي معك، اجعل القيادة له وكن أنت تحت قيادته».

رسول الازيرجاوي[(١)]:

بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢م وتحديداً في محافظة صلاح الدين، تعرّض الحاجّ المحمّداوي للإصابة بحادث سيرٍ أثناء متابعته سير العمليات العسكرية فيها، ونُقل على إثرها إلى مستشفى الشهيد محمّد الماجد العسكري الواقع في قضاء سامراء المقدّسة.

أخبرني الأخ العزيز الحاجّ ناظم[(٢)] إنَّ الحاجّ المحمّداوي طلبك، وقال: اتصلوا برسول ليكون معي فقط، وفعلاً خلال ساعات وصلتُ إلى محافظة بغداد، ثمّ إلى قضاء سامراء، وحين رآني أمامه قال لي:

ـ حبيبي رسول! أنا طلبتُ منهم الاتصال بك؛ لأنّي لا أشعرُ بالحرج منك، بل أنا معك أكثر انبساطاً حتّى من ولدي منتظر؛ لذلك أريدك أن تبقى معي.

---

(١) المرافق الشخصي للشهيد القائد ابو منتظر المحمداوي.

(٢) شقيق الشهيد القائد أبو منتظر المحمداوي.

فأجبتُه وأنا خجلٌ: أنا هنا بخدمتك يا حاجّ.

بتاريخ ٢٠١٥/٤/٣ م نقلنا الحاجّ المحمّداوي بإسعاف مديرية الطبابة إلى مدينة الطب في بغداد، ومن هناك أخبرني الكادر الطبّي أنَّ الحاجّ المحمّداوي بعد ساعات سيكون في غرفة العمليات؛ لإعادة الأقدام إلى وضعها السابق.

لم يبقَ على موعد العمليّة في بغداد سوى ساعات، اتصل الحاجّ قاسم سليماني بالفريق الطبّي المرافق لنا وأخبرهم برفضه القاطع إجراء أيّ عملية للحاجّ المحمّداوي في العراق، وأخبرهم بوصول الطائرة الخاصة لنقل الحاجّ المحمّداوي إلى طهران قبل موعد عملية بغداد. وفعلاً لم يمرّ على الاتصال سوى ساعة واحدة فقط حتّى وصلت الإسعاف لنقلنا إلى مطار بغداد الدولي، وكان برفقتي الأخ المجاهد عبّاس الطليباوي.

لم يكن يشعر الحاجّ المحمّداوي بشيءٍ من شدّة الألم وقوّة العلاج الذي تلقّاه، لكن حين نُقلنا بعجلة الإسعاف مرَّةً أخرى

سألني إلى أيّ مستشفى سأُنقل؟ فأخبرته حينها أنَّ الحاجّ قاسم سليماني بلّغنا بوجوب نقلك على الفور إلى طهران.

في مساء ذلك اليوم نُقلنا بإسعاف خاصة تابعة لهيئة الحشد الشعبي إلى مطار بغداد الدولي، وهناك وجدنا طائرة خاصة لم تكن كبيرة الحجم أعتقد أنَّها ذات خمسين راكباً، نُقل الحاجّ المحمّداوي إلى داخل الطائرة التي وجدنا فيها الحاجّ قاسم سليماني والحاج أبا مهدي المهندس، كما وجدنا عائلة الحاجّ المهندس الذين جاءوا وسلّموا على الحاجّ المحمّداوي وحمدوا الله تعالى على سلامته، وكان الحاجّ المحمّداوي متألّماً؛ لشدّة الإصابة.

طلب منّي الحاجّ المحمّداوي أن أبقى بالقرب من قدميه، وبين فترةٍ وأخرى أقوم بتدليكها، كان بين دقيقة وأخرى يغفو قليلاً ثمّ يستيقظ، وفجأة رآني عند رأسه، فقلت له: يا حاجّ أتعلم أنَّ الحاجّ قاسم سليماني هو الذي يقوم بتدليك قدميك!

أخبـرت الحـاجّ المحمّـداوي لأنّـي كنـت أشـعر بالخجـل حين أستمعُ لـه وهـو يشكرني، مع أنَّي لـم أعمـل لـه شـيئاً؛ لـذلك وقفـتُ عنـد رأسـه وقلـتُ لـه: حجّينـا العزيـز! الـذي عند قدميك هو الحاجّ قاسم سليماني ولستُ أنا.

حين سـمع ذلـك شعرت وكأنَّـه يريـد الجلوس مـن مكانـه، أو يحـاول سـحب قدميـه مـن بيـن يـدي هـذا القائـد العظـيم، لكنَّـه لا يسـتطيع تحريكهمـا، فلـم يبـقَ أمامـه إلاّ أن يطلـب منه الكفَّ عن تدليك قدميه. فكان ردّ الحاجّ قاسم:
ـ عزيـزي أبـا منتظـر! لا فـرق بينـي وبـين رفيقـك، فـنحن جميعاً مجاهدون، كما أنَّك قائدنا.
هنـا نظـرت إلـى وجـه الحـاجّ المحمّـداوي فوجدتُـه قـد احمـرَّ لونـه خجـلاً مـن الحـاجّ قاسـم سـليماني الـذي بقـي جالساً عنـد قدميـه حتّـى وصـولنا إلـى مطـار الإمـام الخُمينـي الدولي في طهران.

قبـل وصـول الكـادر الطبّـي أبلغنـي الحـاجّ المحمّـداوي أن أبلِّغهم رفضه نقله في سرير آخر.

فـأبلغتُهم رفضـنا نقـل الحـاجّ بسـريرٍ آخـر، لكـنَّهم تحـدَّثوا معنـا باللغـة الفارسـية، وأنـا لا أعـرف مـاذا يقولـون، لكـنَّ الحاجّ المحمّداوي أمسك بيدي وقال لي:

ـ عزيزي رسول أبقَ على رفضك، لا تجعلهم ينقلوني.

زاد إصـراري حتّـى وصـلنا إلـى الضـرب فيمـا بيننـا والحـاج المحمّداوي يقول:

ـ رسول حتّى لو تشاجرتم لا تسمحوا لهم بنقلي.

فأنـا حـين أسـتمع لحـديث الحـاجّ المحمّـداوي لـن أسـمح لهم بنقله حتّى لو قُتلنا دونه.

بقينـــا أنـــا وعبّـــاس نمســـك بيـــدي الحـــاجّ المحمّـــداوي رافضـــين نقلـــه، حتّـــى أصـــبح صـــوتنا عـــالٍ جـــداً فانتبـــه لنـــا الحـــاجّ قاســـم ســـليماني الـــذي ترجّـــل مـــن الطـــائرة قبلنـــا وابتعـــد قلـــيلاً للحـــديث بهاتفـــه الشخصـــي، فجـــاء وتحـــدّث مـــع الكـــادر الطبـــي ليعـــرف المشـــكلة، لا أعلـــم مـــا الـــذي دار بيـــنهم، لكنّـــي رأيتُـــه يُمســـك بيـــد الحـــاجّ المحمّـــداوي ويقـــول لـــه: أبـــا منتظـــر عزيـــزي!

دع الشباب يسمحوا لهم بنقلك إلى السرير الآخر. وسرعان ما ردَّ الحاجّ المحمّداوي: عزيزي جناب الحاجّ قاسم! لا مشكلة، ليتوكّلوا على الله تعالى ويقوموا بنقلي.
نقلوا الحاجّ المحمّداوي وأنا وعبّاس أحدُنا ينظر في وجه الآخر، وشعرنا أنَّنا وضعناه في موقف محرج أمام الكادر الطبي.

وصلنا إلى مستشفى بقيّة الله، وتحديداً للطابق السابع، والذي علمتُ أنَّه خاصٌّ بالشخصيات المهمّة، كما شعرنا باهتمام الكادر الطبّي الذي أخجلنا بلطفه وكرم أخلاقه.

أدخلوا الحاجّ المحمّداوي إلى الغرفة الخاصة به ونحن معه، فسألني عن موعد الصلاة هل حان أو بعد؟ حينها كانت صلاة المغرب، فقلت له: نعم يا حاجّ مضى كثيرٌ من الوقت على الصلاة، فصلّى وهو مطروح على الفراش.

في اليوم الثاني من الإصابة لم أره أخَّر فرضاً واجباً واحداً وهو بهذه الإصابة البليغة، وفي صبيحة يوم ٢٠١٥/٤/٤م زارنا الحاجّان القائدان: قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس، وكانا يحملان معهما باقات من الورد.

قبل دخول الحاجّ المحمّداوي إلى غرفة العمليات، وصل إلينا الحاجّ قاسم سليماني الذي سحب أحد المقاعد وجلس عند رأس الحاجّ المحمّداوي، ثمّ أخرج هاتفه وصارا يشاهدان شيئاً معاً، أعتقدُ أنَّهما كانا يشاهدان إحدى الخرائط العسكرية، فأخرجتُ هاتفي والتقطتُ لهم هذه الصورة.

وصل الكادر الطبّي قبل الموعد بعشر دقائق؛ لتجهيز الحاجّ المحمّداوي وأخذه إلى صالة العمليات التي أرتدى الحاجّ قاسم سليماني عند بابها الزي الطبّي للدخول مع الحاجّ المحمّداوي إلى صالة العمليات؛ فبقينا أنا وعبّاس والأخ المجاهد القائد ناصري ننتظر عند باب صالة العمليات، هنا أخبرني الأخ ناصري أنَّ الحاجّ قاسم أحضر ستّة من كبار الأطباء في الجمهورية الإسلامية، وطلب منهم أن يعملوا المستحيل من أجل إعادة الحاجّ المحمّداوي إلى العراق يسير على قدميه، طبعاً طلب الحاجّ قاسم مع واقع الصور الإشعاعية والمفراس كأنّه شبه مستحيلٍ؛ لأنَّ المفاصل قد تهشمت بالكامل.

استغرقت العملية حدود ساعتين من الوقت، وهنا خرج لنا الحاجّ قاسم سليماني ليخبرنا أنَّ العملية تكلّلت بالنجاح، وأنَّ الحاجّ المحمّداوي موجود في صالة الإفاقة. دخل الحاجّ ناصري إليه، أمّا نحن فبقينا ننتظر حتّى أخرجوه لنا وهو مازال

تحت تأثير المخدّر، فأمسك بيدي وسألني: أنت في العصائب؟ فقلت له: نعم حجّي أنا في العصائب. فقال: «لا تدع صاحب دبّابة (البرامز) يخرج الآن، أخشى أن تستهدف وتبقى القوات بلا إسناد، أخوي أسرع لا تدعه يضرب!».

كان تحت تأثير المخدّر لكنَّه مازال يشعر بألمٍ عجيبٍ، حينها أتذكّر جيّداً أنَّه بقي يصرخ بصوت عال من شدّة الألم حتّى انتبه لصوته الحاجّ قاسم سليماني الذي كان يتّصل هاتفياً ويبعد عنّا قليلاً، فوقف عند رأس الحاجّ المحمّداوي وأمسك بيده وقال له:

ـ عزيزي أبو منتظر ماذا بك؟ من أيّ شيءٍ تتألّم؟

صمت الحاجّ المحمّداوي من ذلك الألم وأجابه وكأنَّه مستيقظ وليس تحت تأثير المخدّر: «نعم حجّي ما بيّ أيّ شيء بالخدمة تريد شيء منّي؟».

ابتسم الحاجّ قاسم قائلاً: لا عزيزي! أريد فقط أن ترتاح ولا تتعب نفسك، نحن هنا جميعاً لخدمتك.

أفاق الحاجّ المحمّداوي، وصرتُ أتحدّث له كلّ يومٍ عن رحلتنا من قضاء سامراء المقدّسة حتّى بغداد الحبيبة، ثمّ طهران العزيزة، فبقي يبتسم ثمّ يعتذر منّا بأنّه قد تسبّب لنا بتعبٍ، وهذا بغير قصد طبعاً.

المؤلّف:

حين كنت أستمع للأخ العزيز رسول الازيرجاوي، وهو يقص لي هذا القصة عن القائد العظيم الحاجّ قاسم سليماني وعن التواضع والأخلاق التي يتمتّع بهما، كنت أشعر بالحزن على فراق هذا القائد العظيم، كما أتأسف على الذين يشتمون الحاجّ قاسم بلا معرفة ولا سبب.

الحاجّ أبو زينب اللامي:

في عمليات الصقلاوية، كنت مع الحاجّ قاسم في محور الحاجّ المحمّداوي، وكان برفقتنا الحاجّ فالح الفيّاض ولمّا شاهدني الحاجّ المحمّداوي، قال لي: أبو زينب لماذا تأتي بالحاج قاسم إلى

هنــا؟ هنــا خطــر، ســوف أنــزعج منــك، قلــت لــه: يــا حــاجّ أنــت لا تعلــم أنَّ الحــاجّ قاســم هــو مــن يطلــب مني، وأنا مهمّتي أنفّذ له ما يريد وليس منعه؟!

طلــب الحــاجّ المحمّــداوي مــن الحــاجّ فــالح الفيّــاض والحـاج قاسـم مغـادرة المكـان، لكـن الحـاجّ قاسـم رفـض وأصــرَّ أن يتقــدّم مــع القــوات، فشــرط عليــه الحــاجّ المحمّـداوي أن يبقـى داخـل العجـلات العسـكرية، قـال لـه: نعم.

طلب الحاجّ قاسم مني أن أرجع الفيّاض إلى المنطقة الأكثر أماناً وهو سيتقدّم مع الحاجّ المحمّداوي، ولمّا سمع الحاجّ فالح الفيّاض طلب الحاجّ قاسم مني وقف وانتفض أمامه، وقال له: يا حاجّ هذا الطلب إهانة لي، فأنت ضيفنا كيف تطلب أنت الضيف تدخل إلى أرض المعركة وأنا ابن البلد أغادرها؟ والله لا أغادرها إلاّ وأنت معي أو نبقى فيها معاً. فعلاً انسحب الحاجّ قاسم مع الحاجّ الفيّاض وأكمل الحاجّ المحمّداوي التقدّم.

وبعد أقل من ساعة جاء النداء باستشهاد الحاجّ أبي منتظر المحمّداوي، خرج الحاجّ قاسم مرعوباً من غرفة العمليات وهو يصيح: أبو زينب راح أبو منتظر! تحرّكنا على الفور إلى الحاجّ المحمّداوي وكنت أسير بسرعة ١٨٠ كم بالساعة بطرق كلّها ترابيه غير آمنه، وكان الحاجّ قاسم يضرب على زجاج العجلة ويقول لي: هل أنت تقود بشاحنة؟ أسرع أكثر! قلت له: يا حاجّ أكثر من هذا نموت! فكان يقول: لا مشكلة فلنمت!

في منتصف الطريق وجدنا أحد الأخوة متوقّفاً، ترجّل الحاجّ قاسم وسأله عن الحاجّ المحمّداوي فقال له: خلاص الحاجّ المحمّداوي استشهد وهو مقطّع محمول في تلك العجلات التي أمامك!

قسماً بالله لم أرَ الحاجّ قاسم بهذا الحال طيلة السنوات التي قضيتها معه، كان يصرخ بأعلى صوته، ويسير بلا وعي، الأخوة قالوا لي: إنَّ المكان الذي يسير عليه الحاجّ قاسم مملوء بالعبوات الناسفة ونحن لا نستطيع

إيقافه، توقّفت أمامه وقلت له: يا حاجّ! أبو منتظر استشهد، وأنت إذا التحقت به فنحن سنضيع بدونكم، قال لي وهو ما زال يبكي: يا أبا زينب! بعد الحاجّ أبي منتظر المحمّداوي لا يمكنني أن أفرح أبداً؛ فأبو منتظر عنده سرٌّ إلهيٌّ خفيّ.

بعد شهادة الحاجّ قاسم شعرت بما شعر به الحاجّ قاسم على فراق المحمّداوي، فأنا لم أفرح بعد، الحاجّ قاسم ترك فراغاً في المنطقة بأكملها، ولا يسدّ هذا الفراغ إلاّ بإذنٍ من الله سبحانه وتعالى.

الحاجّ حسن فدعم:

بعد قيادته لعمليات جرف الصخر وتحريرها، قاد الحاجّ قاسم عمليات بلد وسامراء، وقاد ميدانياً عمليات النباعي والثرثار.

كما قاد عمليات تحرير ذراع دجلة، ومحيط سبع البور، وكذلك كان عازماً على أخذ ناحية الصقلاوية، لكن شهادة الحاجّ المحمّداوي كسرت ظهر الحاجّ قاسم.

لم أكن أتوقّع في يومٍ ما أن أرى الحاجّ قاسم سليماني متأثراً هكذا، وحزناً على فراق المحمّداوي أجَّل الحاجّ قاسم عمليات تحرير الصقلاوية إلى عامٍ بأكمله.

كان يقولها دائماً: «إنَّ الحاجّ المحمّداوي لم يُخلق فعلاً شبيهٌ له، وبعد ألف عام لا يلد العراق رجلاً كالمحمّداوي».

الحاجّ فاضل المحمّداوي[(١)]:

بعد استشهاد أخي بثلاث أشهر التقيتُ بالحاج قاسم سليماني في عمليات قضاء بيجي، فقام باحتضاني وهو يبكي لفراق الحاجّ المحمّداوي، ثمّ قال لي نصاً: « بعد ألف سنة لا يمكن للعراق أن يلدَ رجلاً كأبي منتظر المحمّداوي؛ لقد وفّقني الله في الدنيا برفيقين: الحاجّ يوسف إلهي أحد قادة الحرس الثوري، والآخر الحاجّ أبو منتظر المحمّداوي، وكلاهما تركوني وحيداً في هذا العالم المليء بالمتاعب والحزن».

(١) شقيق الشهيد القائد أبو منتظر المحمداوي.

حين ترى الحاجّ قاسم سليماني ـ هذا القائد العظيم ـ وهو يقف في باب حسينيّة الرسول الأعظم في طهران، وكيف كان يستقبل المعزّين بشهادة الحاجّ المحمّداوي ستدرك جيداً أنَّ تلك الدموع التي تتساقط من عينيه كلّما ذكر اسم أخي هي لألم الفراق وشوق اللقاء.

يحدّثني أحد الأخوة المجاهدين من الذين كانوا برفقة الحاجّ قاسم سليماني أنَّه حين وصل خبر رحيل الحاجّ المحمّداوي شهيداً كنتُ شاهداً على ما حلَّ بالحاج قاسم وأبي مهدي المهندس أيضاً، حيث إنَّهما تعانقا وصارا يصرخان صراخاً شديداً، حتّى شعرا بالحرج ممّن حولهما، فذهبا لإحدى العجلات الخاصة وجلسا فيها حتّى احمرّت أعينهم لشدّة البكاء.

❁ ❁ ❁

شهادة الحاجّ مهدي الكناني:

الحاجّ حيدر البهادلي:

من المواقف الطريفة بين الحاجّ قاسم سليماني والحاج مهدي الكناني، عندما اتّخذ الحاجّ قاسم سليماني من أحد التلال المرتفعة موقعاً لمراقبة تقدّم المحاور في عمليات فكّ الحصار عن آمرلي، فقد نصب فوق التل

خيمـةً لعقـد الاجتماعـات العسـكرية، حينهـا كـان الحـاجّ مهـدي متعبـاً جـداً بسـبب أمـراض ضـغط الـدم والسـكري، فكـان فـي كـلّ مـرّة يقـدم فيهـا الحـاجّ الكنـاني للاجتمـاع فـي الخيمـة يجلـس فـي أوّل الخيمـة مـن شـدّة التعـب، ويقـول للحـاجّ قاسـم: يـا حـاجّ والله سـأبقى أدعـو عليـك؛ ألا يوجـد غيـر هـذا الموقـع تنصـب عليـه خيمـةً للاجتماعات؟!

جميـع الأخـوة يبتسـمون لحـديث الكنـاني، ثـمّ يقـوم الحـاجّ قاسـم سـليماني مـن مكانـه ويعـانق الحـاجّ مهـدي الكناني.

فـي عمليـات تكريـت حـين استشـهد الحـاجّ مهـدي الكنـاني، حـزن الحـاجّ سـليماني علـى فراقـه، وكأنّـه رفيقٌ له منذ عشرات السنين.

الحـاجّ مهـدي الكنـاني كـان محبوبـاً لـدى الجميـع، وكـان الحـاجّ المهنـدس يعشـق الكنـاني، وقـد ارتدى السواد حزناً على فراقه.

بعد شهادة الحاجّ مهدي الكناني قال الحاجّ قاسم: لو كنت أعلم بأن عمليات تحرير محافظة صلاح الدين تأخذ الكناني منا لأجلت العمليات؛ كي يبقى معنا ويبقى وجهه المبتسم دائماً بيننا.

السيّد خضير المطروحي:

حين سمع الحاجّ قاسم نبأ شهادة الحاجّ مهدي الكناني ورفاقه وضع على طاولة التحرير خارطة ناحية العلم باسم مهدي الكناني، وثأراً له زفَّ الحاجّ قاسم النصر من مركز ناحية العلم، حينها كان النصر بطعم الحزن على فراق رفيق السلاح الحاجّ مهدي الكناني.

المؤلّف:

في يومٍ من أيام عام ٢٠١٧م كنت جالساً مع سماحة الشيخ قيس الخزعلي، وكان معنا الحاجّ أبو عقيل الكاظمي، وتحدّثنا حول الحاجّ مهدي الكناني، حينها كان الكناني شهيداً، قال لي الخزعلي: عندما كنا في

عمليات الدفاع عن حرم السيّدة زينب عليها السلام، أرسل لي الحاجّ قاسم سليماني كتاب شكر، وقد كتب في مطلع كتاب الشكر هذا: شكراً لعصائب أهل الحقّ على الحاجّ القائد مهدي الكناني.

✡ ✡ ✡

إصابتي:

السيّد خضير المطروحي:

بتاريخ ٢ / ٤/ ٢٠١٥م تحديداً في الساعة ١١:٠٠ صباحاً تعرّض الحاجّ أبو منتظر المحمّداوي للإصابة، وبعد ساعة من إصابته، أُصبت أنا بجروح بليغة واستشهد بجانبي ابن أخي الشهيد مصطفى المطروحي، كانت إصابتي حرجة جداً؛ حيث إن الشظايا استقرّت في جميع أنحاء جسدي.

تمَّ نقلي على الفور إلى مستشفى الشهيد الدكتور محمّد

الماجد العسكري في قضاء سامراء، أبقوني في مستشفى الماجد يومين فقط، ثمّ طلب منهم الحاجّ قاسم نقلي إلى مدينة الطب ثمّ إلى طهران. ما زلت لم أتعدَّ مرحلة الخطر لكن أصرَّ الحاجّ قاسم على نقلي، وفعلاً تمَّ نقلي بالطائرة الخاصة للحاجّ قاسم وبالطائرة نفسها نقلوا معي الحاجّ المحمّداوي.

طيلة الرحلة من مطار بغداد إلى طهران لم يفارقنا الحاجّ قاسم، وبقي جالساً على أرضية الطائرة بيني وبين المحمّداوي، تارة يمسك برأسي ويقبّلني، وأخرى يمسك بيد المحمّداوي ويقبّلها.

قسماً بالله كنت أتحدّث مع نفسي وأقول: متى تتعلّم القادة من الحاجّ قاسم وتواضعه الذي لا نظير له على الإطلاق.

نحن على يقين بأنَّنا لم نكن مثل الحاجّ قاسم؛ لأنَّ الحاجّ قاسم لا مثيل له، عندما يكون مع سائر المجاهدين يقبّل أياديهم واحداً تلو الأخر، وحين

تنتهـي المعركـة يتفقّـد عوائـل الشـهداء ويتـابع عمليـات الجرحى، حتّى إنَّه عندما يذهب إلى عائلته في طهران، كان يذهب من هناك إلى زيارة الجرحى الذين يرقدون في مستشفيات طهران.

كنت أقول له: يا حاجّ اجلس على مقاعد الطائرة ونحن هنا بجانبك، لكنّه كان يرفض ويبقي جالساً معنا على الأرض مشغولاً بتلاوة القرآن والدعاء إلى أن هبطت الطائرة في مطار الإمام الخميني قدس سره، حتّى عندما وصلنا إلى مستشفى بقيّة الله عجل الله تعالى فرجه الشريف، لم يتركنا الحاجّ قاسم بأيادي الكوادر الطبّية وأصرَّ على البقاء معنا حتّى أتمَّ كلّ شيء، بقيَ معنا أكثر من ثلاث ساعات، ثمّ غادر المستشفى، وفي صباح اليوم الثاني وصل لنا مع أكبر الأطباء الاختصاص الذين أشرفوا على علاجنا.

كان الحاجّ قاسم يزورنا في كلّ يومٍ تقريباً في مستشفى بقيّة الله عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبعد ١٢ يوماً من دخولي للمستشفى زارني واعتذر مني وقال لي: إنَّه سيكون على سفر، ثمّ طلب مني أن أبرأه الذمّة، فكان يتحدّث معي وهو خجلان مني، وأنا أشعر بالخجل منه؛ لأنَّه يعتذر مني بلا أيّ سبب.

بقيت ٢٤يوماً في مستشفى طهران وفي داري ٥٤ يوماً، وما إن انطلقت العمليات العسكرية حتى التحقت

مجـدّداً بالجبهـة، وفـي نفـس الموقـع الـذي تعرّضـت فيـه للإصـابة رأيـت الحـاجّ قاسـم موجـوداً، ولمّـا رآنـي طلـب منـي أن أنسـحب فـوراً وقـال لـي: إنَّ جراحـك لـم تشـفَ بعد، فكيف تأتي إلى قاطع العمليات؟!

قلـت لـه: حجينـا العزيـز حتّـى وإن كنـت أشـعر بالتعـب، لكـن عنـدما أراك أمـامي لـم أعـد أشـعر بـأي شـيء؛ فأنـت مصدر قوتنا وعزيمتنا.

٭ ٭ ٭

عائلة شهيد عراقي:

الحاجّ فالح الخزعلي:

في عمليات تحرير المعتصم استشهد الأخ العزيز القائد أبو سيف الغرّاوي، تألَّم الحاجّ قاسم كثيراً حين سمع خبر استشهاد الغرّاوي أحد قادة المقاومة الإسلامية، والذي كان له عشرات الصولات على قوات الاحتلال الأمريكي بعد احتلالهم للعراق.

حين استشهد الغرّاوي لم يكن الحاجّ قاسم موجوداً في العراق، ولمّا وصل إلى بغداد طلب من الحاجّ المهندس مرافقته إلى دار الشهيد أبي سيف الغرّاوي.

حين وصل الحاجّ قاسم برفقة الحاجّ المهندس إلى دار الغرّاوي، تفاجأ الجميع بحضور الحاجّ قاسم إلى قطّاعات مدينة الصدر من أجل زيارة عائلة شهيد.

جلس مع أبناء الشهيد وتحدّث معهم وأخذ الطفل الأصغر للشهيد في أحضانه وأبقاه جالساً في أحضانه حتّى انتهت الزيارة.

وقبل أن يغادر منزل عائلة الشهيد تكفّل أمامهم بأن يشتري لهم بيتاً إكراماً لدماء والدهم.

الحاجّ أبو زينب اللامي:

كنت برفقة الحاجّين جمال وقاسم أثناء زيارتهم لعائلة الشهيد أبي سيف الغرّاوي، وحين عدنا إلى دار الحاجّ المهندس، كلّفني الحاجّ قاسم بمتابعة عائلة الشهيد، كما كلّفني بشراء دار كبيرة لهم، وطلب من الحاجّ المهندس أن يصرف لي مبلغ من المال وقدره ٥٠٠ مليون ما يعادل حينها ٤٢٠ ألف دولار أمريكي، أخذت

المبلـغ واشـتريت داراً كبيـرةً سُـجّلت باسـم أبنـاء الشـهيد، كمـا أراد الحـاجّ قاسـم، وقـد تبقّـى مـن المبلـغ الكلّـي مبلـغ صـغير، أخبـرت الحـاجّ قاسـم عنـه، فطلـب منـي أن أشـتري به أثاثاً لبيت الشهيد.

٭ ٭ ٭

ابن الشهيد العراقي:

الحاجّ أبو ضياء الصغير:

في تلك الزيارة الأخيرة زارني الحاجّ قاسم إلى بيتي وكنت قد دعوته إلى تناول وجبة الغداء معاً.

منذ الليل أخبرت عائلتي بأنَّ الحاجّ قاسم غداً يتناول الغداء معنا، وشعرت بأنَّ أولادي صاروا في نفير عام، وكلّ واحد منهم قام بإحضار شيء للحاجّ قاسم، وجميعهم ألغوا مواعيدهم مهما كان نوعها.

في أغلب المرات تكون جلستنا عائلية مع الحاجّ قاسم، وإذا كان برفقته الشهيد بور جعفري أو الأخ اللامي، نجلس في غرفة الضيوف.

لدينا صديق عزيز على قلوبنا من أهالي محافظة البصرة اسمه حطّاب وقد نال وسام الشهادة في معارك تحرير العراق، للشهيد حطّاب ولدٌ شابٌ مجاهدٌ كأبيه، استمرَّ في طريق الجهاد حتّى أصبح رفيقاً لأولادي، فحين أخبرت عائلتي بأنَّ الحاجّ قاسم سيكون غداً معنا، رأيت ولدي حيدر قلقاً نوعاً ما، فسألته ما بك؟ قال: غداً حسين بن الشهيد حطّاب يأتي من محافظة البصرة، وأنا دعوته على الغداء، ولم أعلم بأنَّ الحاجّ قاسم سيكون ضيفنا، وأنا أعرف أنت لا تقبل بدعوة أيّ ضيف حين يكون الحاجّ قاسم لدينا.

طلبت من ولدي حيدر أن يدعو حسين حطّاب خارج البيت، ويذهبوا معاً إلى أيّ مطعم في العاصمة بغداد، ابتسم ولدي واستغرب من طلبي، ثمَّ قال لي: كيف أخرج من البيت والحاجّ قاسم يكون فيه؟!

بيني ما بين الله أنا أحب حسين كثيراً وهو نجل رفيقنا الشهيد حطّاب، لكن أنا شخصياً أشعر بالخجل حين أدعو الحاجّ قاسم، ويكون معنا شخصٌ آخر.

أخبرت ولدي حيدر بأن يدعو حسين معنا غداً، وقلت لأولادي: إنَّ الحاجّ قاسم أكرم منا جميعاً، وحتماً سيرحّب غداً بضيفنا حين يعرف أنَّه نجل أحد الشهداء.

من العادات الاجتماعية لدينا في العراق عندما يقدم علينا الضيف ندعوه بأن يجلس في مقدّمة غرفة الضيوف ترحيباً به، كذلك نميّز المكان الذي يجلس فيه عن الأماكن الأخرى، لكن الحاجّ قاسم لا نستطيع أن ندعوه أن يجلس في مكانٍ خاص كما نريد، لأنَّه لا يقبل بذلك مهما طلبنا منه ذلك، وكانت عادته أنَّه لمّا يصل سريعاً ما يختار مكاناً بسيطاً في غرفة الضيوف ويجلس على الأرض.

وصل لنا الحاجّ قاسم برفقة الحاجّ أبي زينب اللامي، لكن تأخّر حسين حطّاب، فاضطررنا إلى تقديم الطعام للضيوف، وبينما نحن جالسون على مائدة الطعام وإذا

بالباب تُطرق، ذهب ولدي حيدر لاستقبال رفيقه، فقلت أنا للحاجّ قاسم: إنَّ طارق الباب هو حسين حطّاب نجل الشهيد حطّاب من محافظة البصرة، وكان اليوم على موعد مع الأولاد.

من العادات والتقاليد أن لا يُترك الطعام إكراماً للقادمين، ومَن يقوم من الطعام هو صاحب الدار فقط، ويبقى الضيف جالساً في مكانه حتّى ينتهي من تناول الطعام، ثمّ يبدأ بالسلام على الضيف الذي وصل.

لكن ما إن سمع الحاجّ قاسم أنَّ الضيف القادم هو نجل أحد الشهداء، قام من مكانه سريعاً ليرحّب هو بالضيف، وهذا يعني إنَّ كرامة أبناء الشهداء لدى الحاجّ قاسم أبلغ وأكرم من هذه العادات والتقاليد التي نعتقد بها عُرفاً.

وقف الحاجّ قاسم خلف باب الصالون، ولمّا وصل حسين وفتح الحاجّ قاسم الباب أمامه شعر حسين بالصدمة وهو يرى الحاجّ قاسم سليماني واقفاً خلف الباب مرحّباً بقدومه.

الشيء الذي جعل حسين يشعر بالصدمة حين رأى الحاجّ قاسم هو عدم توقّعه أنَّ مَن يفتح له الباب هو الحاجّ قاسم شخصياً، فمنذُ زمن طويل كان حسين يتمنّى كثيراً بأن يشاهد الحاجّ قاسم عن قرب، فكان يقول للأولاد: أنا غير محضوض بمشاهدة الحاجّ قاسم، فكلّما أكون مجازاً يزور الحاجّ قاسم قاطع العمليات، وفي العمليات العسكرية حين أكون أنا في محور يكون الحاجّ قاسم في محور آخر؛ لذلك شعر حسين بالصدمة وهو يشاهد الحاجّ قاسم أمامه مرحّباً به.

أخــذ الحــاجّ قاســم حســيناً بأحضــانه وهــو يقبّلــه، ثــمّ مســك بيــده وأخــذه معــه إلــى المكــان الــذي يجلــس فيــه، وطلــب مــن حســين أن يجلــس بــالقرب منــه، بقــي الحــاجّ قاســم يتنــاول الطعــام مــع حســين فــي طبــقٍ واحدٍ.

أنظـر إلـى وجـه حسـين فـأرى الابتسـامة تعلـوه وهـو يشـعر بالخجـل، والـدموع علـى أبـواب الجفـون أوقفهـا خجـل حسين من الحاضرين.

انتهينا من تناول الطعام وما زال الحاجّ قاسم يجلس بالقرب من حسين ويسأله عن حياته الشخصية، وبينما حسين يتحدّث له طلب الحاجّ قاسم من بور جعفري أن يأتي بالحقيبة الخاصة به، فتح الحاجّ قاسم الحقيبة وأخرج خاتماً يمانياً جميلاً ووضعه بيد حسين اليمنى، فسأله هل أنت متزوّج؟ قال حسين: نعم يا حاجّ تزوجت منذ أيام، فأخرج خاتماً آخر وكان عقيقاً أيضاً، وقاله له: أبلغ زوجتك سلامي وقدّم لها هذا الخاتم.

شعرت بالفخر بأنَّ الحاجّ قاسم حلَّ ضيفاً في داري، كما شعرت بالخجل وأنا أرى الحاجّ قاسم كيف يتعامل مع أبناء الشهداء وكيف نتعامل نحن! ومن هنا نعرف سرّ الفتوحات التي يبلغها الحاجّ قاسم؛ فذاك من بركات خدمة عوائل الشهداء وقربه من أيتامهم.

في ذات يوم كنت أتحدّث مع الحاجّ قاسم عن عوائل الشهداء وكيف يستطيع متابعة أوضاعهم مع انشغاله بالمنطقة وأحداثها، تحدّث لي عن برنامج بسيط جداً، لكن مَن منا يستطيع أن يعمل به؟

قال لي الحاجّ قاسم: إنَّه قد أبلغ جميع الأخوة المجاهدين الذين يعملون معه في فليق القدس، أن يتكفّل كلّ فردٍ منهم بمتابعة ١٠ من عوائل الشهداء، وأن تكون متابعته ميدانية معهم، لا فقط بالسؤال عبر الهاتف، كما يتكفّل الفرد بإيصال كلّ طلبات عوائل الشهداء الذين يشرف على خدمتهم إليَّ.
علماً حتّى الحاجّ قاسم شخصياً كان مكلَّفاً بمتابعة عدد من عوائل الشهداء مع إشرافه على برنامج خدمة الشهداء بكامله.

نحـن الآن فـي قيـادة الحشـد الشـعبي والمكاتـب الخاصـة ومكاتـب الحشـد فـي المحافظـات، لـو عملنـا علـى مـا عمـل بـه الحـاجّ قاسـم، وهـو كـلّ فـرد منـا يتكفّـل كحـد أدنـى خمـس عوائـل مـن ذوي الشـهداء، لأصـبح حـال عوائـل الشهداء بأفضل الأحوال.

حبـاً بالشـهداء وتواضـعاً منـه أوصـى الحـاجّ قاسـم رفاقـه وعائلتـه أن يُـدفن فـي مقبـرة كرمـان بـين رفاقـه الشـهداء، فـي مقبـرة متواضـعة، وأن يكتـب علـى قبـره: الجنـدي قاسـم سـليماني، وهـذه العبـارة هـو مـن أوصـى بـأن تُكتـب علـى قبـره، بـدلاً عـن كلمـات التعظـيم الأخـرى التـي يسـتحقّها، مثل كلمة: قائد فيلق القدس.

قبَّل سليماني يدي:

المؤلّف:

من الخصال المعروفة والمواقف المتعدّدة للحاجّ قاسم سليماني، هو تقبيل أيادي المجاهدين، وفي مرات كثيرة كان ينحني ليقبّل أقدامهم.

حين كنت مرافقاً إعلامياً للحاجّ المهندس، كنت أرى الحاجّ المهندس يقبّل أيادي المجاهدين وآباء الشهداء، كذلك يقبّل أيادي وأقدام الجرحى.

الآن عنـدما أسـتمع للأخـوة الـذين يتحـدّثون عـن الحـاجّ قاسـم سـليماني، أشـعر كـأني أرى الحـاجّ المهنـدس أمـامي، فهـم يتشـابهون فـي كـلّ المواقـف، وكـأنَّهم كـانوا روحاً واحدة في جسدين.

يحـدّثني الصـديق العزيـز أميـر معلَّـه عـن موقـف الحـاجّ قاسـم سـليماني مـع أخيـه الشـهيد علـي معلَّـة بطـل مـدفع ال ١٠٦.

يقول أمير: في معارك منطقة الزركة التي تقع بين مدينة تكريت وقضاء طوز خورماتو، اشتدَّ أزيز الرصاص كثيراً حتّى احمرّت أفواه البنادق وبانت معادن الرجال. كانت معركة وجود، إمَّا تقاتل حتّى تبقى، أو تهرب حتّى تموت.

لُقِّـب أخـي ببطـل ال ١٠٦؛ لدقـة إصـابة الأهـداف أثنـاء الرمايـة، كـان أخـي لا يخطـئ هـدفاً مهمـا كـان، فكنـت أسـأله كيـف تسـتطيع أن تركّـز علـى الهـدف وأنـت فـي نصـف المعركـة، وعجلـة المـدفع غيـر مصـفّحة، وأنـت على مقعد الرماية المكشوف أمام مرمى العدو؟!

فقال لي: أخي العزيز حين أسدّد بسلاحي أتجاه أهداف العدو، لا أستمع للرصاص الذي حولي، وحين أستعد لرماية الهدف أنادي بصوت عالٍ: يا زهراء وأنا على يقين تام أنَّ رمايتي للهدف تتحقّق ببركة نداء يا زهراء.

في عمليات الزركة لا تختلف شراسة المعركة عن سائر المعارك الأخرى، فمهما يشتد الرصاص أبقى جالساً في مكاني وأسدّد على أهداف العدو، ودائماً ما أكون على وضوء؛ استعداداً للشهادة.

في هذه المعركة كانت أهداف العدو كثيرة، ولكثرة الرماية شعرت بأنّي لم أعد أسمع صوت الذين حولي، لكن أتذكر أني ما زلت أصرخ يا زهراء في كلّ رمية.
انتهت المعركة، وأخذنا جسر الزركة، فُتح الطريق وتحرّرت القرى المحيطة بالزركة، وبينما نحن فرحين بالذي حقّقناه، ونلتقط الصور مع الأصدقاء للذكرى، ناداني قائد الكتيبة وطلب مني الحضور للمقر فوراً، توجّهت للقائد، ولمّا وصلت شاهدت الحاجّ قاسم سليماني موجوداً في مقرنا ينتظرني مع

قائد المدفعية، سلّمت عليهما ثمّ مددتُ يدي لمصافحة الحاجّ قاسم سليماني وما إن أمسك يدي حتى أخذها وقبّلها، شعرت بالخجل ثمّ صرت أعتذر منه، فمَن أنا ومَن أكون حتّى ينحني الحاجّ قاسم سليماني ليقبّل يدي؟! حاولت أن أُقبّل يده لكنَّه رفض، وقال لي: إنَّ هذه الأيادي يجب علينا تقبيلها، أنتم فخرٌ لنا، وما بذلتموه اليوم نصرٌ عظيم يفتخر به الجميع.

عندما انتهى الواجب وعاد علي لنا، أيام وليالي وهو يتحدّث عن هذا الموقف، وعن تواضع الحاجّ قاسم سليماني وعن طيبة قلبه، فأحببناه قبل أن نراه حبّاً لحب أخي له.

بتاريخ ٢٠١٥/١/١٢م كتب أخي علي وصيّةً صغيرةً قبل أن يلتحق إلى عمليات المقدادية في محافظة ديالى، وكان نص الوصية التي كتبها: «السلام عليكم أحبّتي أوصيكم إذا نلت وسام الشهادة في هذا الواجب المقدّس، ادفنوا جثماني في روضة الشهداء».

في تاريخ ٢٠١٥/١/٢٠م اتصل أخي عليّ بزوجته وأخبرها بأنَّه شاهد في عالم الرؤيا رجلاً كأنّه الإمام علي عليه السلام، سحبه

بيده من بين الناس وأخذه معه إلى بستان جميل وفي وسط البستان بيت وقال لي: هذه البيت سيكون بيتك.

قصَّ أخي هذه الرؤيا على رفاقه الذين معه في الواجب، وفي صباح يوم العمليات المصادف ٢٠١٥/١/٢٤م سلَّم أخي علي حقيبتَه لصديقه وأعطاه رقم هاتفي وقال له: إذا أنا نلتُ وسام الشهادة اتصل بأخي أمير وأخبره بأني نلت هذا الوسام الرفيع، وسلّم له هذه الحقيبة.

جاءت ساعة الصفر وشرع المجاهدون في عمليات التحرير، وباشر أخي بتمشيط الأهداف بسلاحه المدفع ١٠٦ ومع نداء: يا حيدر الكرّار، نال أخي الكبير علي وسام الشهادة وتقطَّع جثمانه إرباً إرباً.

عندما نال الحاجّ قاسم سليماني وسام الشهادة عام ٢٠٢٠م وتقطّع جثمانه الطاهر تذكرت أخي وكيف تقطّع جثمانه.

أنا على يقين بأنَّ أخي علي والحاجّين جمال وقاسم، وسائر الشهداء، يجلسون معاً في جنّة الفردوس، وكلٌّ منهم يقصّ للآخر كيف نال وسام الشهادة.

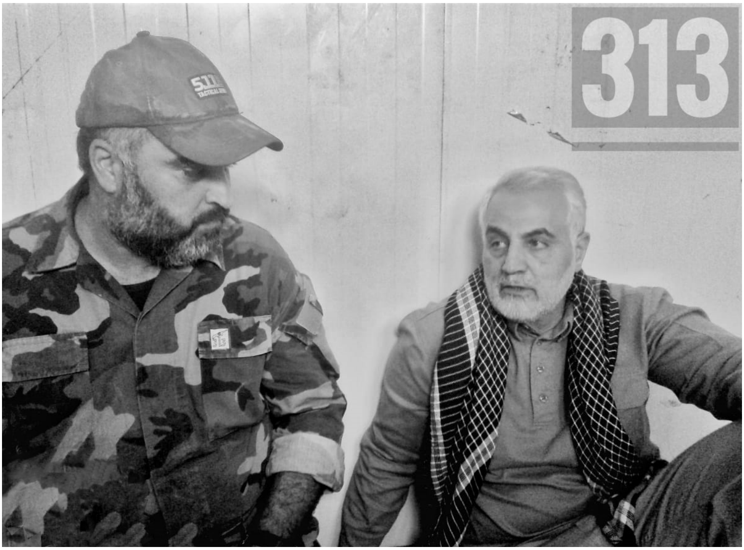

إنسانية سليماني:

أبو آمنة الخاقاني:

في أحد قواطع العمليات غرب محافظة الأنبار، شاهدت بأُمّ عيني الحاجّ قاسم سليماني وهو يتجوّل ليلاً بين المجاهدين ويجمع الطعام غير المستخدم الذي هو فائض لدى المجاهدين، من أجل توزيعه للعوائل النازحة على الشريط الحدودي، وكان حينها مريضاً يعاني من الإنفلونزا.

مهند العقابي:

في معارك عزيز بلد أخّر الحاجّ قاسم ساعة الصفر ثلاثة أيام لمغادرة عوائل المناطق العسكرية، قال له الأخوة العسكريّون: يا حاجّ كلّ تلك العوائل هي عوائل داعش الذين يقاتلوننا الآن، وإذا تأجّلت العمليات لمدّة ثلاث أيام ستنهار القوات، فكان ردّه لا عمليات مع وجود العوائل حتّى وان كانوا عوائل داعش.

كذلك في عمليات تحرير ناحية الصقلاوية: كانت هناك قرية يحتلّها العدو وهي تحت إمرة مدفعية الحشد الشعبي، فطلبوا الإذن من الحاجّ قاسم حتّى يتم قصف القرية، فسألهم الحاجّ قاسم قبل أن يأذن لهم: هل هناك عوائل داخل القرية؟ قالوا: نعم، فقال لهم: غير مبرئي الذمّة إذا رميتم قنبرة واحدة اتجاه القرية، مهما كان السبب، فقالوا للحاجّ قاسم: يا حاجّ، إذا ما قصفنا أهداف العدو اليوم داخل القرية، ربما غداً يلتفون على قواتنا، فقال لهم: لا مشكلة عندما يلتفون على قواتنا

نشتبك معهم، وهذا الخيار أفضل بكثير من أن يموت مدنيٌّ واحدٌ بلا أيّ ذنب.

وفعلاً في صباح اليوم الثاني، التفَّ العدو على قطعاتنا العسكرية واشتبكنا معهم وقدَّمنا عدداً من الشهداء، ولم يوافق الحاجّ قاسم مرة أخرى على قصف القرية.

وفي موقفٍ آخر -والحديث للحاجّ مهنّد العقابي أيضاً-: اجتمع الحاجّ قاسم في محافظة صلاح الدين مع محافظ المدينة وقائد العمليات وطلب منهم السماح للعوائل النازحة من جزيرة سامراء بالعودة إلى قراهم، لكن المحافظ والقائد رفضوا ذلك وقالوا للحاجّ قاسم: هذه العوائل آوت العدو ونريد أن نحاسبهم.

فقال لهم الحاجّ قاسم: تلك العوائل لا ذنب لها، وحرام أن يموتوا من الجوع، وتضيع أموالهم، وتخرب أراضيهم لأمرٍ لا ذنب لهم فيه.

ماذا طلب مني سليماني؟!

المؤلّف:

من النعم التي أنعم الله بها عليَّ نعمة مسيري في طريق الجهاد، ونسأل الله تعالى فيه حسن الخاتمة بما يحب ويرضى، ومن تلك النعم الكثيرة في هذا الطريق الجميل، هي نعمة التحاقي للدفاع عن حرم السيّدة زينب عليها السلام عام ٢٠١٣م حينها كنا في الغوطة الشرقية،

وكان محور عملياتنا في مدينة دير سلمان، وكانت مقراتنا العسكرية في منطقة الأحمدية.

ذات يوم ـ وتحديداً في منطقة الأحمدية ـ شاهدت الحاجّ قاسم سليماني، وهذه هي المرّة الأولى التي أراه فيها عن قرب، سلَّم علينا ثمّ غادر المنطقة، أيام وليالي وأنا أشعر بالحزن والندم؛ لعدم استغلال هذه الفرصة والتقاط صورة معه للذكرى.

عام ٢٠١٤م عندما احتلَّ داعش محافظة نينوى وصل الحاجّ سليماني إلى العراق منذ الساعات الأولى، آنذاك كلّ الشعب العراقي كان مرحباً بالحاجّ قاسم سليماني المخلص، لم نسمع كلمة تدخّل إيراني في الشؤون العراقية؛ لأنَّه حتّى الذين لا يحبون إيران ولا يتّفقون مع الحاجّ سليماني كانوا لا يستطيعون الحديث عنه؛ لحاجتهم إليه.

استيقظ الشعب العراقي على نكبة حقيقية باحتلال ثلث أرضه بيد عدو لا يعرف الرحمة، ومنذ الأيام الأولى

لفتح طريق بغداد سامراء، وتأمين المناطق المحيطة بمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام رأيت الحاجّ قاسم سليماني مجتمعاً بأغلب قادة المقاومة الإسلامية، وكان الاجتماع في سرداب غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سلّمت عليه وتوقّفت جانباً، وكنت أحمل على كتفي كاميرا نوع (نيكون) حينها كنت أعيش بصراع عجيب، أريد أن التقط معه صورة للذكرى، لكن أخشى أن يرفض ذلك، وحينها أقع في الحرج الشديد؛ فالوضع الأمني للحاجّ قاسم سليماني في العراق غير معلوم بعد، وأخاف أن أبقى صامتاً ويذهب ولن أعد أراه بعد وأشعر بالندم.

وقبل أن أطلب من الحاجّ قاسم ما أريد جاءني هو وطلب مني كامرتي التي أحملها على كتفي، ثمّ أعطاها للأخ الذي يرافقه وقال له: التقط لي صورة معه! لا أستطيع الآن أن أعبّر لكم عن مدى تلك الفرحة التي غمرتني.

كنت أشعر وكأنَّني حررتُ العراق بمفردي، وأنَّها لم تكن صورة مع الحاجّ قاسم سليماني فقط!

أيام وأنا لم أصدّق نفسي، وعندما كان يقول لي الأصدقاء: كيف طلبت من الحاجّ قاسم سليماني أن تلتقط صورة معه؟ كنت أقول لهم: أنا لم أطلب من الحاجّ قاسم أن ألتقط معه، بل هو من طلب مني ذلك! ولا أعرف السبب، ولا أعرف كيف أنَّه عرف أني أعيش صراعاً داخلياً على التقاط الصورة معه للذكرى.

وطوبى لمن أحبَّ الحاجَّ قاسم سليماني.

✡ ✡ ✡

الرفق بالحيوان:

أبو آمنة الخاقاني:

كانت مهمّة تواجدي على الشريط الحدودي بين العراق وسوريا، هو التنسيق بين قواتنا بالحشد الشعبي وقوات الأصدقاء بالجانب السوري، وفي أحد الأيام زارنا الحاجّ قاسم سليماني في مقرنا العسكري، وكلّفني بمهمّة بعيدةٍ جداً عن اختصاصي، فأنا ضابط عمليات ولا شأن لي بما كلّفني به الحاجّ قاسم، حيث قال لي: «عزيزي أبو آمنة، أريد منك أنت شخصياً ومعك أحد

الأخـوة تتعهّـدون بجمـع كـلّ الحيوانـات الموجـودة فـي هـذه القـرى مـن بقـر وأغنـام وخيـول وحتـى الطيـور فـي قريـة واحـدة، ثـمّ تكـون هـذه القريـة تحـت رعـايتكم، بعـدها اجمعـوا كـلّ الطعـام المخصّـص للحيوانـات مـن بـاقي القـرى، وأطعمـوا فيهـا حيوانـاتهم المشـرّدة، واسـقوها الماء من العجلة المخصّصة لنقل الماء (الدنكر)!

العمليـات العسـكرية مـا زالـت مسـتمرة ولا نريـد عـودة الأهـالي الآن خوفـاً علـيهم؛ لـذلك علينـا رعايـة مواشـيهم حتّـى يعـودوا بسـلام، أنـا أعتـذر جـداً بـأني طلبـت هكـذا طلبـاً منـك، وربمـا قسيت عليـك فـي هـذا الطلـب، لكـن يـا عزيـزي عليـك بـأن تعـرف أنَّ مهمّـة المجاهـد الحقيقـي، هـو رعايـة كـلّ شـيء: البشـر، الحيوانـات، حتّـى النخيـل والأشـجار مـن مهمّـة المجاهـد أن يحـافظ عليهـا، المجاهـد الحقيقـي يجـب أن يكـون حـاملاً بـين أضـلاعه قلـب إنسـان، أنـت تسـتطيع أن تـأتي بـألف مقاتـل يحملـون السـلاح ويقـاتلون، لكـن مـن الصـعب جـداً أن تجـد فـي

هـذا العـدد قلوبـاً تـرأف حتّـى بالحيوانـات، هـل تعلـم أنَّ هـذه المهـام هـي مـن مهـام الإمـام أميـر المـؤمنين الإمـام علـي عليه السلام؟! كـان الإمـام علـي عليه السلام، لا يقطـع شـجرة، ولا يؤذي حيواناً، ولا يقدم على قتل الأسرى».

قلت لـه: يـا حـاجّ سـأتكفّل بهـذا الشـيء، لكنّنـي أخشـى مـن أن يظنَّ بي البعض أني أسرق هذه المواشي من القرى.

قال لي: «أنتم مع الله تعالى، والله يعلم بكلّ شيء».

✿ ✿ ✿

تأسيس الطبابة:

الدكتور علي الخفّاف:

من قضاء سامراء وتحديداً من داخل حرم الإمامين العسكريين عليهما السلام، جاءني الأمر من الحاجّين قاسم وجمال، بأن أتبنّى موضوع الطبابة العسكرية، كما طلبوا مني إنشاء مستشفى ميداني في سامراء؛ استعداداً لاستقبال الجرحى.

أخذت أمر الحاجّين وعملت على جمع عدد من الأخوة الأطبّاء، الذين يرغبون بالمشاركة مع المجاهدين، وعملنا جميعاً على تأسيس مستشفى ميداني بأقل الإمكانيات في قضاء سامراء.

وجَّه الحاجّ قاسم الأخوة المستشارين أن يوفّروا لنا كلّ الإمكانيات الطبّية، من أجهزة ودواء، كما طلب الحاجّ قاسم من المستشارين إرسال الجرحى الذين حالاتهم حرجة إلى مستشفيات الجمهورية الإسلامية، وأمرهم بأن يتم نقل الجرحى خارج الضوابط المعمول بها من جوازات سفر وإحالات طبّيه وما شابه ذلك.

توسَّعت رقعة العمليات، وتعدّدت المحاور، وتباعدت المسافات، ومستشفى الشهيد محمّد الماجد وهو أوّل مستشفى ميداني للحشد الشعبي في قضاء سامراء أصبح لا يستوعب كلّ جرحى العمليات.

في عمليات النباعي ومنشأة المثنى طلب مني الحاجّ قاسم تأسيس مستشفى ميداني يكون مركزياً لعدّة

محــاور، لكــن بالحقيقــة نحــن لا نمتلــك الإمكانيــات لإنشــاء مستشــفيات ميدانيــة متعــدّدة. نعــم، لــدينا كــوادر طبّيــة مــن أطبّــاء وممرضــين مجاهــدين حقّــاً، لكــن لا نســتطيع تأســيس مستشــفيات ميدانيــة، ووزارة الصــحة لا تمتلك حتّى الأسرَّة.

كنــا نخــوض أقــوى المعــارك ولا نمتلــك الإمكانــات اللازمــة، فمــثلاً لا توجــد لــدينا عجــلات إســعاف مصــفّحة ضــد الرصــاص؛ حتّــى نســتطيع بهــا إخــلاء الجرحــى مــن العمليــات، فكنّــا نعتمــد علــى شــجاعة المجاهــدين الــذين لبســوا القلــوب علــى الــدروع بــإخلاء الجرحــى تحــت أزيــز الرصاص.

طبعــاً لا أقصــد بالإمكانــات مــا يخــص الطبابــة فقــط، بــل حتّــى علــى مســتوى ســلاح المجاهــدين، وعلــى ســبيل المثــال كنــا نواجــه العجــلات المفخّخــة بالــدروع البشــرية لإيقافهــا، ولــم نكــن نمتلــك ســلاح (الكورنيــت) المضــاد للعجلات المفخّخة التي تم تصفيحها من قبل العدو.

فـي عمليـات تحريـر ناحيـة (مكيشـيفة) التابعـة لقضـاء سـامراء، هاجمنـا العـدو بعجلـة (بلـدوزر) كبيـرة الحجـم مفخّخـة، لـم نسـتطع صـدَّها بجميـع الأسـلحة التـي كنـا نمتلكهـا وبينمـا هـو يتقـدّم بالعجلـة المفخّخـة والقطعـات العسـكرية تطلـق عليـه النـار بـلا أيّ جـدوى، خرجـت مجموعـة مـن المجاهـدين الأبطـال ليشـكّلوا درعـاً بشـرياً أمـام البلـدوزر المفخّـخ؛ لكـي يوقفـوا تقدُّمَـه، وفعـلاً توقّفـت المفخّخـة عنـد أجسـادهم وكانـت النتيجـة ٣٤ شـهيداً تقطَّعـت أجسـادهم إربـاً إربـاً، وكـان بيـنهم الشـيخ الإيراني الشاب هادي ذو الفقاري.

أصَـرَّ الحـاجّ قاسـم علـى طلبـه بتأسـيس مستشـفى ميـداني قـرب منشـأة المثنـى، لكـن بـالواقع المكـان صـحراء قاحلـة خـالي مـن كـلّ شـيء، لكـن إصـرار الحـاجّ قاسـم أصـبح أمراً لا طلباً.

عنـدما أنشـأنا مستشـفى الشـهيد محمّـد الماجـد فـي سـامراء، أغلـب الأجهـزة الطبّيـة أخـذناها مـن مستشـفى العوجـة،

قسماً بالله كلّ جهاز تمَّ نقله كان نقله يعادل روحاً من أرواح المجاهدين؛ بسبب قنّاص العدو الذي قطع الطريق العام. كنا نتسلّل بين البيوت حتّى نستطيع أخذ جهاز وتشغيله في مستشفى محمّد الماجد لخدمة الجرحى.

ربما أنا أكثر الناس أعرف سبب إصرار الحاجّين جمال وقاسم على إنشاء المستشفيات الميدانية مع قلّة الإمكانات، وسأذكر لكم السبب.

في عمليات تحرير محيط سامراء وفتح الطريق العام الرابط بين بغداد وسامراء، كنّا نخلي جرحانا إلى مستشفى سامراء العام، وهو مستشفى حكومي، لكن من خلال أكثر من حالة وأخرى عرفنا أنَّ المستشفى مخترق بأطباء يعملون للعدو، استشهد أكثر من جريح داخل المستشفى، مع العلم لم تكن جراحهم خطيرة، حاولنا إدخال كادر طبي من طبابة الحشد الشعبي للإشراف على بعض الجرحى، لكننا واجهنا مشكلة كبيرة.

هـذا هـو السـرّ وراء إصـرار الحـاجّين جمـال وقاسـم علـى إنشـاء مستشـفيات ميدانيـة تكـون تحـت إشـراف طبابـة الحشد الشعبي حصراً.

بعـد عمليـات تحريـر محافظـة الموصـل، اطَّلَعنـا علـى معلومـاتٍ دقيقـة جـداً حـول مستشـفى سـامراء مـن أحـد قـادة العـدو الـذي وقـع أسـيراً بيـد الحشـد الشـعبي، حيـث اعتـرف القائـد الداعشـي بـأنَّ رئـيس الأطبـاء الـذي كـان فـي مستشـفى سـامراء يعمـل معهـم فـي صـفوف تنظـيم داعـش الإرهـابي، كمـا اعتـرف بأنَّـه تـمَّ تصـفية عـدد مـن جرحـى اللـواء ٤٥ فـي الحشـد الشـعبي داخـل المستشـفى، واعتـرف بـأنَّ المستشـفى كانـت تحـت أيـديهم، يقتلـون فيهـا مـن يشاؤون بواسطة بعض الأطباء الذين يعملون معهم.

فـي عمليـات ناحيـة العلـم بمحافظـة صـلاح الـدين جهَّـز الحـاجّ قاسـم طبابـة الحشـد الشـعبي، مستشـفى ميـداني متكامـل مـن الجمهوريـة الإسـلامية، فأصـبح لـدينا موقعـان: أحدهما في سامراء، والآخر في ناحية العلم.

طلب الحاجّ قاسم عدم نقل الجرحى إلى بغداد ووجَّهَنا بالاعتماد على مستشفى محمّد الماجد، فعملنا على إكمالها بأحسن وجه.

أصبح نقل الجرحى إلى بغداد في غاية الصعوبة؛ وذلك بسبب الطريق العام الرابط بين سامراء وبغداد الذي كان يسقط بيد العدو بين الحين والأخر.

كان هناك رأي بعدم وجود إمكانيات كافية لتأسيس طبابة عامّة في الحشد الشعبي، لكن نحن أصررنا على تأسيس طبابة عامة، ووضعنا خطةً لذلك، وشرحت للحاجّ المهندس آلية تأسيس الطبابة. رحَّب بالموضوع كثيراً ونقل الخطّة للحاجّ قاسم.

في عمليات تحرير منشأة المثنى أنشأنا مستشفى ميدانيّاً قبل يومين من البدء بالعمليات العسكرية، وربما هذه أقرب مستشفى ميداني إلى محاور العمليات.

طلب الحاجّ قاسم من الحاجّ المهندس زيارة المستشفى؛ ليتأكّد من إكمالها قبل الشروع بالعمليات العسكرية.

قبل بدء ساعة الصفر، سألني الحاجّ قاسم ثلاث مرات عن المستشفى الميداني، وهل إنَّها جاهزة لاستقبال الجرحى؟ كان لا يريد أن يبدأ بالعمليات العسكرية قبل أن يتأكّد من وجود الطبابة العسكرية.
كان الحاجّ قاسم حريصاً على الدم العراقي أكثر من حرصه على نفسه، كان يقول لي: «هذه المنطقة مقطوعة والجريح سينال وسام الشهادة إذا لم يتوفر مستشفى ميداني يستقر فيها وضع الجريح قبل نقله إلى أقرب مستشفى عامة».

ومن هذه المستشفى الميدانية في منشأة المثنى قرَّر الحاجّ قاسم تأسيس طبابة الحشد الشعبي، وسخَّر لنا كلّ الإمكانات المتوفّرة في الجمهورية الإسلامية.

ذهبنا إلى الجمهورية الإسلامية وعملنا معاً على صناعة مستشفى ميداني يكون بجناحين، وهو المستشفى الأكبر في العراق، وطبابة الحشد الشعبي هي أوّل طبابة تستلم هكذا مستشفى، وحتّى في وزارة الصحة لا يوجد لديها هكذا مستشفيات ميدانية.

خلال عامٍ واحد من اجتماعنا مع الكوادر الإيرانية وصل لنا المستشفى الميداني بالمواصفات التي طلبناها منهم، علماً أنَّ هذا النموذج الذي طلبناه لا يتوفّر له مثيل حتّى في الجمهورية الإسلامية، حيث إنَّه صمّم بمواصفات تتناسب مع عملياتنا العسكرية.

تتكوّن المستشفى من ٤٤ وحدةٍ نستطيع منها إنشاء أكثر من مستشفى صغيرة، كما نستطيع أن نعمل فيها بأكملها.

نمتلك من هذا المستشفى في الحشد الشعبي ٧ مستشفيات، أحدها: تمَّ نصبها في كربلاء المقدّسة لمعالجة مصابي كورونا والذي أسميناه فيما بعد: مستشفى الشهيد الحاجّ أبي مهدي المهندس.

المؤلّف:

دكتور علي أنت تحدّثتَ لنا عن دور الحاجّ قاسم سليماني بمساعدتكم على إنشاء طبابة عامة في الحشد الشعبي، كما تحدّثتَ عن دور الجمهورية الإسلامية والوقت القياسي في

صناعة مستشفى ميداني بهذا الحجم وعلى المواصفات التي طلبتموها، لكن عندما أنقل حديثكم إلى عامّة الناس فالبعض منهم سيقول: أين الجميل في الموضوع؟ لا يوجد فضل للحاجّ قاسم ولا للجمهورية الإسلامية في هكذا موضوع؛ لأنَّ هذه شركات إيرانية وأنتم أبرمتم معهم عقوداً وهم صنعوا لكم بأموالنا فأين الجميل؟!

الدكتور علي الخفّاف:

صحيح نحن طلبنا وهم صنعوا لنا بأموالنا، لكن هذا هو الأمر فقط؟! في اليوم الذي احتجنا لهذه المستشفيات لم تقبل أيّ دولة بالعالم التعاقد معنا، ولم يقبلوا حتّى أن يتحدّثوا أو يردُّوا علينا، بل حتّى الشركات المختصة باستيراد الأجهزة والمواد الطبّية رفضت التعاقد معنا، ولا توجد لدينا أموال حاضرة، وما أتفقنا عليه مع الإيرانيين كان مجرّد عقد وحبر على ورق.

نفس هذا النموذج الإيراني وبأقل الإمكانيات موجود في ألمانيا، لكن رفضوا التعاقد معنا، علماً بأنَّ المستشفى

الألمانيــة يشــتمل علــى وحــدات ســبع، بينمــا المستشــفى الإيراني كان يضمّ ٤٤ وحدةً.

وهـذه المستشـفيات التـي أتحـدّث لكـم عنهـا الآن لـم نـدفع أموالهـا للإيـرانيين إلاّ بعـد خمـس سـنوات مـن العقـد، فلـم نسـلّمهم دولاراً واحـداً حتّـى انتهـت الحـرب مـع داعـش، ولا أتصـوّر أنَّ شـركة مـا تصـبر علينـا كمـا صـبرت الشـركة الإيرانيّة.

مضــافاً إلــى أنَّ قيمــة المستشــفى الإيرانــي ذات ٤٤ وحــدة أقــل بنســبة ٥٠% مــن قيمــة المستشــفى الألمــاني ذي الوحدات السبع، فهل كلّ هذا لم يكن دعماً لنا؟!

في عمليات تحرير محافظة الموصل كان القاطع الأكبر من العمليات العسكرية على عاتق الحشد الشعبي، إذ كان عدد محاور الحشد في العمليات سبعة محاور وكل محور يمتد من شرق الموصل إلى غربها، وبمساعدة الحاجّ قاسم ودعم الحاجّ المهندس، تمَّ إنشاء ١١ مستشفى ميداني من قضاء سامراء حتّى محافظة الموصل.

في محافظة الموصل فقط أنشأنا ٦ مستشفيات ميدانية متكاملة، كما جهَّزنا مستشفى للقوات الأمنية في أيمن الموصل.

الحاجّ قاسم سخّر لنا كلّ إمكانات الجمهورية الإسلامية، بحيث لم يطلبوا منا أيّ عقود رسمية أو توقيع على تعهدات مالية، فكان الأمر يجري باتصال واحد من الحاجّ قاسم وتأتينا الطائرات محمّلة من إيران حسب طلبنا.

الحاجّان قاسم وجمال كانا أصحاب فضل بتأسيس هذا المديرية الحيوية داخل الحشد الشعبي، كما أوصيانا أن نبذل أقصى درجات الجهد والعطاء بتأسيس الطبابة التي كان لها الدور الكبير في إنقاذ الآلاف من الأروح، كما أوصيانا بأن تكون خدمات هذه الطبابة للجميع لا حصراً على الحشد الشعبي.

ونحن والحمد لله عملنا بوصاياهم، حيث أجرينا أكثر من ألف عملية جراحية للأخوة في القوات الأمنية من مختلف الصنوف العسكرية، وكذلك أجرينا عشرات العمليات

الجراحية لسكان المدن المحرَّرة الذين تعرّضوا للإصابات جراء العمليات العسكرية، وكان أغلب جرحاهم نتيجة عبوات العدو التي وضعها لاستهداف القوات الأمنية.

أتذكَّر في ذات يوم جاء أحد الأخوة وهو دكتور لا أحبّ أن أذكر اسمه وقال للحاجّ المهندس: «لماذا تبذل كلّ هذا المال والجهد في مديرية لا يوجد فيها منافع وجدوى اقتصادية؟!».

امتعض الحاجّ المهندس كثيراً من حديث الدكتور، وقال له: وهو غضبان: « لو أنَّ جريحاً واحداً من الحشد الشعبي أومن القوات الأمنية يُسعف وتُنقذ حياته في مستشفى ميداني كلَّف إنشاؤها مليار دولار سأعتبر هذه هي الجدوى الاقتصادية، وهذه أكبر وأهم وأشرف جدوى اقتصادية».

في عمليات تحرير الموصل أصبحت المستلزمات الطبّية والأدوية لا تكفي مع تعدّد المحاور وحجم العمليات وشراسة المعركة، فقلت للحاجّ المهندس: لا نستطيع إدامة العمل بشكل يومي مع زخم هذه المعركة؛ لأنّنا نحتاج إلى إمكانيات أكبر وأكثر وبشكل

يومي، ولمّا سمع الحاجّ المهندس أنَّ هناك نقصاً في المستلزمات الطبّية وجّهَنا فوراً بالتعاقد مع أحد أصحاب الشركات الطبّية، وهو من أربيل، ولمّا تعاقدنا معه وجهَّز لنا طبابة الحشد الشعبي بالمستلزمات الطبّية قد تضرر كثيراً بسبب التعاقد معنا، لكن كان شجاعاً جداً ولم يخشَ شيئاً ووقف معنا حتّى انتهاء العمليات.

لم يختصر دعم الحاجّ قاسم للحشد الشعبي والقوات الأمنية فقط، بل كلّفني شخصياً بمتابعة إكمال مستشفى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، وكان الحاجّ قاسم يتابع شخصياً تجهيزها. اكتملت المستشفى وبقيت مغلقة؛ لأنَّه لم توافق الجهة المعنيّة على فتحها حتّى الآن[1].

(١) سجّلتُ حديثَ الدكتور علي الخفّاف حول الحاجّ قاسم بتاريخ ٢٠٢١/٣/٢١م والآن أنا أكتب لكم هذه الأسطر بتاريخ ٢٠٢٢/٢/١م؛ لذلك أحببتُ أن أبيّن لكم بأنَّه تمَّ افتتاح مستشفى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف بتاريخ ٢٠٢٢/١/١م، ولكن قبل افتتاح المستشفى وضعت الشركة الإيرانية ـ الراعية والمنفّذة للمستشفى ـ صورةً جداريةً للحاجّين قاسم وجمال في

علي الخفّاف:

اهتمَّ الحاجّ قاسم كثيراً بالجرحى العراقيين منذ سقوط صدام إلى آخر حياته، وكان يتعاهد دائماً جرحى العمليات الإرهابية التي تصيب المواطنين العزَّل في الأسواق الشعبية والمساجد.

وفي عام ٢٠١٤م اهتم الحاجّ قاسم كثيراً بجرحى الحشد الشعبي والقوات الأمنية، وكان يقول: للحاجّ المهندس إنَّ أبواب الجمهورية الإسلامية مفتوحة أمامكم.

وعلى غرار إرسال الجرحى إلى الجمهورية الإسلامية أسس الحاجّ المهندس قسماً للطبابة في طهران مهمّته الاهتمام بالجرحى ومتابعة وضعهم الصحي، وحتّى في طهران كان

مدخل المستشفى؛ استذكاراً لدورهم الكبير في إنشائها، لكن وللأسف الشديد لم توافق الجهة العراقية المسؤولة عن افتتاح المستشفى إلاّ بعد إزالة صورة القادة الشهداء أصحاب الفضل، وقادة النصر، كما وصفهم سماحة المرجع الكبير السيّد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف). المؤلّف.

الحاجّ قاسم سليماني يزور الجرحى العراقيين ويطَّلع على أوضاعهم الصحية، ويوصي دائماً الكوادر الطبّية بالاهتمام بهم، وأن نهتمَّ بهم على كلّ المستويات، ولا يقتصر الاهتمام على الأمور الطبّية فقط، وكان يقول لنا: اهتموا بالوضع التعليمي للجرحى، واهتموا بثقافتهم، وكان يوصينا دائماً بأن نُشعِرَ الجرحى أنَّهم هم الجيش الأساسي لنا، وأنَّهم خلاصة القوة التي نتمتّع بها، وهم ذو أهمّية لدينا على كافة الأصعدة.

ومن اهتمامات الحاجّ قاسم في العاصمة بغداد وتحديداً في مدينة الأعظمية طلبه بأن يُفتح قصر المجرم صدام مركزاً لإعادة تأهيل الجرحى، وكان من الداعمين لنا ولأن القصر يقع في منطقة سنّية طلب منّا الحاجّ قاسم خدمة الناس في المنطقة، وأن نعمل على تقديم ما يحتاجونه لهم، وكان يوصينا بخدمة الناس، وقال لنا: إنَّ رضى الناس بخدمتهم تعني رضى الله تعالى، ومَن يريد الخدمة لله فليخدم الناس أوّلاً.

كـان يوصـينا بـأن نراعـي الوضـع الطـائفي للمنطقـة، وقـال لنـا: إنَّ أغلـب سـكان المنطقـة مـن أهـل السـنّة، ونحـن شـيعة فـلا نريـد أن نعمـل أيّ شـيء يتسـبّب بنزعـةٍ طائفيـة فـي المنطقة.

كان القصر مهجوراً وكأنَّه خرِبة، ولا توجد فيه أدنى مقوّمات الحياة، وقد تمَّ قصفه من قبل قوات الاحتلال عام ٢٠٠٣م، لكنَّ العجيب في الأمر ما إن أخذه الحشد الشعبي حتى أصبح مهمّاً جداً للعراق بأكمله، وأنَّ العراق بحاجة ملحّة لهذا القصر!!

شكَّل العبادي رئيس الوزراء آنذاك لجنة برئاسة العلاّق، وكان الاتفاق معنا بأن لا نغيّر شيئاً من القصر ويبقى على ما هو عليه، وقد أخبرت الحاجّ قاسم بذلك.

وحين زارنا الحاجّ قاسم امتعض جداً من أسماء صدام وألقابه التي تملأ جدران القصر، وقال لي: كيف يشفى الجريح ويشعر بالروحية وهو نائم تحت اسم هدّام؟! فالمفترض أن

تُخطّ في كلّ زاوية من القصر آيات من القرآن الكريم، وأحاديث قدسية، ومقاطع أدعية؛ فالجريح يجب أن يشعر بالروحية في هذا المكان، لا أن يقرأ على كلّ حَجَرة (طابوقة) بالقصر: ص ح (صدام حسين)!

✡ ✡ ✡

الهندسة الميدانية:

الحاجّ أبو علي الكوفي:

في عمليات تحرير طريق بلد سامراء تعرّفت على الحاجّ قاسم سليماني عندما كان برفقة الحاجّ المهندس، وأمّا الحاجّ المهندس فهو صديقي منذ أكثر من ٣٠ عاماً.

ومنذ اللقاء الأوَّل بالحاجّ قاسم تعلّمت منه أنَّ المعركة هي معركة جغرافية وزمن، فكان يوصينا أن نسيطر على الطرق قبل العدو، كما تعلّمت منه أنَّ المنتصر هو مَن يصل الهدف

أوّلاً، وكان يقول أيضاً: إذا أردنا أن ننتصر في أي معركة علينا أولاً أن نسيطر على بحرها وبرها وجوّها، وكان يقول: إنَّ الزمان هو الوحدة المصيريّة في المعركة بين المنتصر و المندحر، فمَن يصل إلى الهدف أسرع كان هو المنتصر.

هـذا المُتبنَّـى أصبح ثابتـاً فـي حيـاتي، فكلّمـا أريـد أن أقـدم على عمـل أجعـل الوقـت هـو الهـدف، بـل وصـمَّمنا الحشـد الشـعبي علـى هـذا المتبنَّـى وهـو سـرعة الحركـة للوصـول إلى الهدف.

الحـــاجّ قاســـم مدرســـة عســـكرية متراميـــة الأطـــراف ومتكاملـة متحرّكـة فـي كـلّ زمـان ومكـان، ومـن قواعـده العسـكريّة الحازمـة: إنَّ أيّـة معركـة إذا أسـتمرت أكثـر مـن ٤٨ سـاعة فهـذه المعركـة فاشـلة، فـالمفترض أن تنتصـر علـى العـدو فـي أقـل مـن ٢٤ سـاعة فقـط، طبعـاً المعركـة تختلــف تمامــاً عــن تحضــيرات المعركــة، فــي جــرف الصـخر ٤٠ يومـاً فقـط تحضـيرات المعركـة، أمَّـا المعركـة الحقيقيــة انتهــت ضــراوتها خــلال ٢٤ ســاعة، و٤٨ ســاعة

كانت لتمشيط المنطقة قبل إعلان النصر، فكان الحاجّ قاسم يراهن على عنصر السرعة في هكذا معارك مع هكذا عدو.

أنا شخصياً درست واستفدت كثيراً من توجيهات الحاجّ قاسم، بل حوَّلتها إلى واقع، ففي أغلب العمليات العسكرية كنت أستيقظ قبل شروع ساعة الصفر وأتقدَّم مع كوادري الهندسية؛ لإنشاء ساتر ترابي قبل تقدّم القوات، كنت أعمل بما سمعته من الحاجّ قاسم بأنَّ الذي يصل أوّلاً إلى الهدف يكون هو الفائز المنتصر.

معركة الجغرافية التي كان الحاجّ قاسم يحدّثنا عنها، تعني أخذ الطرق العامّة قبل وصول العدو وقطعها علينا بواسطة التفخيخ، لكن في هذه العمليات لا تنفع معركة الجغرافية مع العدو؛ فأغلب المناطق المراد تحريرها هي تحت سيطرة العدو، وقد تمَّ تفخيخ كافّة طرقها العامّة؛ لذلك اعتمد الحاجّ قاسم هنا على الجهد الهندسي، وعمل بكلّ الإمكانيات على إنشاء الجهد الهندسي

وتطويره بسرعة فائقة من أجل استحداث وإنشاء طرق ترابية موازية للطرق العامّة، وهنا انتصرنا في نصف المعركة على العدو؛ حيث إنَّ العدو كان يرتكز على سلاح العبوات الناسفة في تفخيخ الطرق وقطعها، ونحن بتوجيهات الحاجّ قاسم تركنا طرقهم المفخّخة وأصبحنا نحن مَن ينشئ الطرق، بواسطة هذه الطرق الجديدة حقّق الحاجّ قاسم الأهداف بأسرع وقت.

ومن هنا صرت أفهم أفكار الحاجّ قاسم سليماني حين أجتمع معه، أعرف ماذا يريد، وعلى أيّ أساس يخطّط، قبل أن يخوض في التفاصيل.

في معركة الفلّوجة قال لي الحاجّ قاسم: «إذا فتحنا هذا الطريق من المعمل الأزرق إلى النهر انتهت المعركة في الفلّوجة». لم أسأل كيف ولماذا؟ فأنا أعرف ماذا يريد الحاجّ قاسم؛ لذلك أخذتُ آلياتي، وباشرت بإنشاء الطريق الذي كان طوله ٥٠كم، وفعلاً ما إن انتهى الطريق حتى انتهت المعركة وتمَّ تحقيق النصر.

فـي عمليـات الموصـول عنـدما قررنـا فـي الحشـد الشـعبي تحريـر الموصـول، قـال الحـاجّ قاسـم سـليماني:« اشـرعوا بفـتح طريـق قريـة دلّايـة، فـإذا انفـتح الطريـق سـتنتهي المعركـة فـي قضـاء تلّعفـر، وقريـة تـل عبطـة ستسـقط بـلا مقاومـة، و إذا وصـلنا تلّعفـر سنحاصـر العـدو مـن قريـة عـين الجحـش، ومـن قضـاء تلّعفـر، وهنـا سـتنتهي المعركـة فـي مطار تلّعفر وقرية أشوا».

عملنا بما أوصانا به الحاجّ قاسم، وفعلاً تحقّق النصر وانتهت المعركة، ولمّا قطعنا الطريق الذي أشار إليها الحاجّ قاسم وفتحنا طرقاً أخرى بدأ العدو بتفجير أبراج الاتصالات، وهنا علمنا بأنَّ العدو باشر بالانسحاب الكامل من أرض المعركة؛ لأنَّ من أساليب العدو التي يفعلها قبل الهروب من ساحة المعركة هو تفجير أبراج الاتصالات؛ خوفاً من أن نستفيد منها لرفع الكامرات الحرارية وأجهزة الاتصالات المخصّصة لتأمين النداءات العسكرية.

والخلاصة: كان الحاجّ قاسم قليل الكلام كثير العمل.

على الحدود العراقية السوريا كلَّفني الحاجّ قاسم بتأمين القوات العراقية وتحصين الطرق العامة بالسواتر الترابية، استمرَّ عملي هناك بشكل يومي أكثر من ١٥ يوماً وحين جاء الحاجّ قاسم انبهر بالعمل كثيراً، فأبلغ الحاجّ المهندس أن يشكرني، وقال الحاجّ قاسم للحاجّ المهندس:« الأخوة في حزب الله اللبناني، والأخوة السوريّون، أمَّنوا جنودهم بفضل السواتر العراقية والتحصين على الحدود، أبو علي الكوفي استطاع أن يقطع كلّ الطرق أمام الانتحارين».

تعلّمنا من الحاجّ قاسم السرعة في الأداء لإنهاء المعركة.

كان الحاجّ قاسم يناديني عبر الجهاز ـ وهو يجلس أمام الخارطة وأنا أمامي خارطة أيضاً ـ: «أبو علي! ابدأ بفتح الطريق من المربّع المرقّم بكذا وانتهِ بهذا المربّع» لم أسأله بعد ذلك عن أيّ شيء؛ لأنّي عرفت أفكاره وماذا يريد، وبالفعل بعد أيام من النداء مشى الحاجّ قاسم برفقة المجاهدين على الطريق الذي أوصاني بإنشائه.

كان يحتاط في الشبهات:

الحاجّ أبو عقيل الكاظمي:

في عمليات ناحية مكيشيفة كان هناك بستان نجلس تحت ظلّه، وكان معنا الحاجّ قاسم والحاج المهندس، شاهدت في أرض البستان ثماراً متساقطة من الأشجار، وبعض الفقهاء لا يشكلون في تناول هذه الثمار؛ لأنَّها ساقطة على الأرض.

أخذت حبةً لي وأخرى للحاجّ قاسم، فقدّمتها له فشكرني وردَّها في يدي وقال: لا آخذها، فقلت له: حجّي لا إشكال في تناولها؛ فهي ساقطة على الأرض، قال: أعرف لكن لا أحبّ أن أتناولها.

كنت على يقين بأنَّ الحاجّ قاسم كان يحتاط حتى في هذا المقدار الذي هو متيقّن من أنَّه لا إشكال فيه، لكن يبقى محتاطاً؛ خوفاً من شبهة الحرام.

المؤلّف:

في عمليات تحرير الشريط الحدودي بين العراق وسوريا اتخذ الحاجّ قاسم من أحد البيوت في الجانب السوري مقرّاً له، وتعامل مع البيت برعاية تامةٍ، واستخدم ما يحتاجه فقط، اطَّلَع على مكتبتهم الشخصية فعرف بأنَّهم من محبّي أهل البيت عليهم السلام، بقي الحاجّ قاسم في بيتهم حتّى انتهاء العمليات، وفي اليوم الأخير كتب لهم رسالة باللغة العربية.

طلب الحاجّ قاسم في الرسالة من أهل الدار أن يبرأوا ذمّته على استخدام البيت، وكتب لهم بأنَّه كان مضطراً على استخدام دارهم، كما أدّى الصلاة في دارهم وقرأ القرآن.

وفي آخر الرسالة كتب لهم الحاجّ قاسم رقم هاتفه الشخصي وهاتف المكتب وقال لهم: إذا لم تحبّوا أن تبرأوا ذمّتي بإمكانكم أخذ حقّ استخدام داركم، وسأكون بخدمتكم.

✿ ✿ ✿

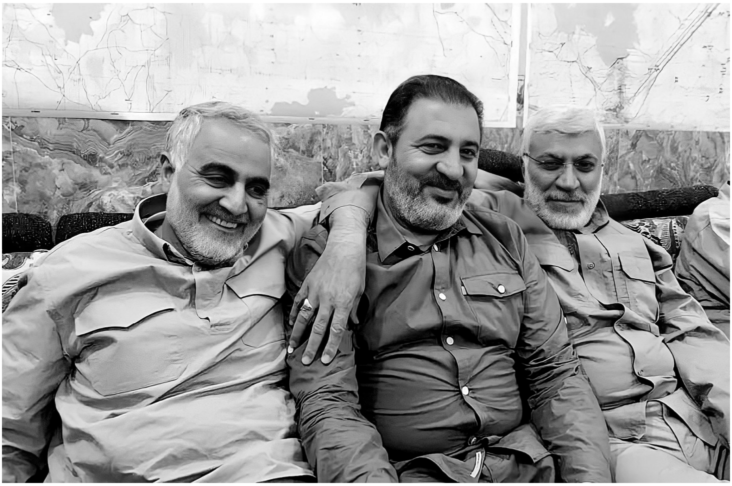

السيّد السيستاني:

الحاجّ أبو زينب اللامي:

بعد كلّ عمليات يقودها الحاجّ قاسم في العراق يزور العتبات المقدَّسة، وفي أغلب زياراته للنجف الأشرف يزور مراجع الدين جميعاً، وأكثر الوقت يبقى مع سماحة السيّد علي السيستاني، لم أكن معهم ولم يُسمح لأحد أن يكون معهم، لكن كنت أحسب الوقت.

في ذات مرّة بقي الحاجّ قاسم مع سماحة السيّد علي السيستاني ثلاث ساعات، وكان يحمل معه مفكّرته التي

يكتب فيها كلّ جدول أعماله، وحتى أكون صادقاً معكم لا أعرف إن كان الحاجّ قاسم هو مَن ينقل ملاحظاته إلى سماحة السيّد أو كان يستمع لسماحته ويكتب، علماً أنَّ الحاجّ قاسم كان أمنيّاً حتّى على مستوى ملامح وجهه، بحيث لم أستطع أن أعرف من خلال ملامح وجهه هل كان مستبشراً باللقاء أو حزيناً، وهو لا يتحدّث بشيء إطلاقاً.

لكن أنا أقول: من معرفتي الكثيرة بشخصية الحاجّ قاسم، أعرف كيف يفكّر وكيف يسير؛ لذلك أعرف عندما يبذل ثلاث ساعات بلقاء مرجع كبير مثل سماحة السيّد علي السيستاني، حتماً ما كان من أجل السلام فقط، و لم يكن دور سماحة السيّد السيستاني للعراق فقط، ولم يكن الحاجّ قاسم مهتمّاً بالعراق فقط، حتماً أنَّ هناك شيئاً أكبر بكثير من أن نتصوّره، يمكن أن نفهمه من خلال رسالة سماحة السيّد السيستاني التي وجهها لسماحة السيّد علي الخامنئي في شهادة الحاجّ

قاسـم، التـي تبـيّن أن سـماحة المرجـع كـان مطّلعـاً علـى دور الحـاجّ قاسـم وعملـه وحجمـه، حتّـى عنـدما وصـفهم بــ (قـادة النصـر) كـان يعـرف جيـداً أنَّ الحـاجّين قاسـم وجمال هم من قادا النصر للعراق.

الشيخ جلال الدين الصغير:

كـان الحـاجّ قاسـم يحـيط المرجعيـة إحاطـة كاملـة فـي القضـايا الاسـتراتيجية، وكـان يخبـر سـماحة السـيّد السيسـتاني عـن القضـايا المصـيريّة جـداً، وكـان سـماحة السيّد يستمع له كثيراً.

لذلك عندما تطَّلع على رسالة سماحة السيّد السيستاني التي أرسلها إلى سماحة السيّد علي الخامنئي بعد أيام من شهادة الحاجّ قاسم، يحصل لك اليقين بأنَّ سماحة السيّد السيستاني كان على معرفة تامة بحركة الحاجّ قاسم؛ لذلك كتب في الرسالة كان للحاجّ قاسم سليماني دور كبير في تحرير العراق، كما أسماه (قائد النصر).

المؤلّف:

هذا نص رسالة التعزية التي كتبها سماحة السيّد علي السيستاني لسماحة السيّد القائد علي الخامنئي بعد شهادة الحاجّين قاسم وجمال عام ٢٠٢٠م.

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المستطاب آية الله السيّد علي الخامنئي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لقد آلمنا كثيراً خبر استشهاد اللواء العظيم الحاجّ قاسم سليماني رحمة الله عليه.

إنَّ الـدور الفريـد للمرحـوم فـي سـنوات الحـرب مـع عناصـر داعش فـي العـراق والأتعـاب الكثيـرة التـي تحمَّلهـا فـي هـذا المجال لا يمكن أن تُنسى.

إننـي أقـدّم التعـازي بمناسـبة فقـدان هـذا الشـهيد العزيـز إلـى جنـابكم وإلـى أولاده المكـرَّمين وعائلتـه المحتـرمين وجميـع الشـعب الإيرانـي الشـريف، وعلـى الخصـوص أهـالي كرمـان الأعـزاء، وأدعـو الله المنّـان أن يعلـي درجـات الفقيـد، ويمـنَّ علـى ذويـه بالصـبر الجميـل والأجـر الجزيل.

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم

السيّد علي الحسيني السيستاني

٨ جمادي الأوّل ١٤٤١

٭ ٭ ٭

قالوا في سليماني:

الحاجّ مهدي تقي:

كان الحاجّ قاسم سليماني مدرسة، وخُطَّ على باب هذه المدرسة ما قاله الإمام الحسين عليه السلام: «**هيهاتَ منّا الذلّة**»[1].

(١) الاحتجاج: ج٢، ص٢٥.

السيّد خضير المطروحي:

كان الحاجّ قاسم سليماني دقيقاً جداً في عمله، ودائماً ما كان يوصينا بالحفاظ على المجاهدين وإدامة التواصل مع عوائل الشهداء، وفي كلّ لقاء واجتماع كان يوصينا بالجرحى ومراعاتهم.

كان عقائدياً، لكن لم يتعامل بتعصّب اتجاه عقيدة معيّنة، وصاحب دين حقيقي، يشعر بمسؤولية اتجاه المستضعفين في العالم.

كلّ الصفات التي كان يحملها الحاجّ قاسم لم تكن طبيعية، كنا نعتقد بأنَّ الحاجّ قاسم هو ولي من أوليا الله في الأرض.

كان الحاجّ قاسم صاحب بصيرة؛ فلقد كان يتحدّث لنا عن أحداث ثلاث سنوات قادمة بجميع تفاصيلها، فكنا نشعر بالعجب ونحن نستمع له.

لم يعمل الحاجّ قاسم سليماني للجمهورية الإسلامية فقط، فلقد كان جندياً وقائداً إسلامياً، عمل على أن ينصر المستضعفين في العالم في كلّ الميادين الإسلامية

التي واجهت أعداء الإسلام وكان للحاجّ قاسم فيها صولات بطولية نفتخر بها نحن كمسلمين.

كان هناك حضور ميداني للحاجّ قاسم.

كان له حضور ميداني من فلسطين إلى لبنان واليمن وسوريا والعراق، وحتى الدول الأفريقية، لا يعلم بحجم الحاجّ قاسم سليماني ومدّة عمله إلاّ الله تعالى ومَن ألهمه الله ذلك، وقد خسر العالم الإسلامي بأسره الحاجّ قاسم سليماني.

تعلَّمت من الحاجّ سليماني أن أهتمَّ بعوائل الشهداء والجرحى، أهتمّ بشؤونهم العامّة، فكلّ شيء أُقدم عليه في خدمة الشهداء والجرحى كان الفضل فيه للحاجّ قاسم وتوصياته لنا.

كان الحاجّ قاسم من العُبَّاد، فلم أتذكر أنَّه حان وقت الصلاة ولا يكون هو إلاّ من أوائل الواقفين على سجادة الصلاة، في ذات يوم كنا على متن إحدى الطائرات المدنية وأدركَنا وقت

الصلاة ونحن ما زلنا على متنها في الجو، فرأيت الحاجّ قاسم افترش سجادته بين مقاعد المسافرين وأدَّى صلاته.

في العمليات العسكرية لاحظت الحاجّ قاسم يصلّي في أوقات مختلفة، حينها لم تكن من مواقيت الصلاة وبعد مدّة من الزمن عرفت بأنَّ الحاجّ قاسم اعتاد على أن يصلّي صلاة الشكر لله على كلّ أرض يصلها لأوّل مرة.

ترك الحاجّ قاسم سليماني أثراً طيّباً في قلوب سُنَّة العراق وكرده وحتى المسيحيين؛ فلقد تعامل معهم جميعاً بأخلاق القائد الإسلامي المحمّدي، وقف حتّى مع الأخوة الإيزيديين ودعمهم وهم يعرفون ذلك جيداً، ويكفي ما قدَّمه هذا القائد العظيم لهم في قضاء سنجار.

ومن الصفات الحسنة للحاجّ قاسم كان يشعر بالمسؤولية تجاه الجميع، فهو لا يكتفي بمتابعة شؤون الحشد الشعبي فقط، فكان يرى من مهامه الحقيقية متابعة تسليح الجيش العراقي والشرطة الاتحادية، فطيلة أيام الحرب مع داعش كان الحاجّ قاسم داعماً لكل الصنوف العسكرية.

لـــديَّ الكثيـــر مـــن الأصـــدقاء الأعـــزاء فـــي الجـــيش العراقـــي والشـــرطة الاتحاديـــة مـــن الضـــبّاط والمراتـــب كـــانوا يتحـــدّثون لـــي عـــن شخصـــيّة الحـــاجّ قاســـم سـليماني، فكـانوا يقولـون: لـم نـرَ هكـذا قائـداً طيلـة حياتنـا العسـكرية، قائـد عظـيم مثـل الحـاجّ سـليماني يخـدم المجاهـدين يسـير معهـم ينـام معهـم يتنـاول طعـامهم، لا يميّـز نفسـه عـن سـائر المقـاتلين، بـل يرى نفسه أقلّ منهم.

أحـد الإخـوة مـن ضـبّاط الجـيش العراقـي ينقـل لـي يقـول: «سـيّدنا أنـا عنـدما أرى الحـاجّ قاسـم قبـل شـروعنا بالعمليـات العسـكرية، كنـت أقـول للجنـود: اليـوم ننتصـر إن شـاء الله؛ لأنَّ الحـاجّ قاسـم قائـد المعركة».

فـي كـلّ العمليـات العسـكرية التـي اشـتركت فيهـا كـان معنـا الحـاجّ قاسـم سـليماني، وأذكرهـا هنـا بالاسـم حتّـى تبقـى شـاهداً للأجيـال القادمـة، لقـد

اشـــترك معنـــا الحـــاجّ قاســـم ســـليماني فـــي عمليـــات تحريـــر طريـــق بلـــد إلـــى ســـامراء، حمـــرين، العظـــيم، الـــدور، العَلَـــم، عـــلاس، آمرلـــي، بيجـــي، الزركـــة، صـــلاح الـــدين، الصـــينية، الفلّوجـــة، معســـكر طـــارق، الصـــقلاوية، الكرمـــة، جلـــولاء، الســـعدية، مكيشـــيفة، جرف الصخر، الموصل.

إنَّ الحـاجّ قاسـم سـليماني حضـر معنـا فـي كـلّ العمليـات العسـكرية التـي حرّرنـا فيهـا ثلـث العـراق، ولا أتـذكر أنّنـا قـدنا عمليـات عسـكرية علـى العـدو ولـم يكـن فيهـا الحـاجّ قاسم سليماني موجوداً.

كـــان الحـــاجّ قاســـم قائـــداً للعمليـــات العســـكرية وجنـــدياً للاســـتطلاع فـــي أغلـــب العمليـــات العســـكرية، يســـتطلع الحـــاجّ قاســـم ميـــدانياً إمكانيـــة العـــدو قبـــل شـــروعنا فـــي العمليـــات، وهـــذه فـــي غايـــة الخطـــورة. إنَّ الحـــاجّ قاســـم ســـليماني يفكّـــر فـــي اســـتراتيجيةٍ لا يســـتطيع أحـــد أن يفكـــر بمثلها إطلاقاً.

الحاجّ فالح الخزعلي:

حضور الحاجّ قاسم في غرفة العمليات يعزّز الدعم المعنوي للقادة العسكريين، وحضوره بين المجاهدين على السواتر يشعرهم بأنَّ النصر قادم لا محال.

حين يكون الحاجّ قاسم حاضراً معنا في غرفة العمليات لا نسأل عن إمكانيات المعركة، فحضور الحاجّ قاسم يعني نحن في أعلى مستوى الجهوزية للمعركة القادمة.

حين نكون في معركة متعدّدة المحاور ومعنا قطعات من الجيش العراقي والشرطة الاتحادية، يوجِّه الحاجّ قاسم الأخوة المعنيين، بتجهيز محاور الجيش والشرطة بكافة الإمكانيات العسكرية.

كان الحاجّ قاسم قائداً ميدانياً في أرض المعركة، يتّخذ القرار سريعاً ويوجّه القوات حسب ما يراه مناسباً في المعركة.

كان الحاجّ قاسم سليماني إنساناً عاطفياً أكثر من أن يكون حربياً، والذين يسمعون باسم الحاجّ سليماني لا يتصوّرن بأنَّ هذا القائد الذي أرعب العالم باسمه كان كثير البكاء على أبواب الشهداء، وربما لا يصدّقنا البعض إذا قلنا لهم: إنّنا حين نشكر الحاجّ قاسم على موقفٍ ما يحمرُّ وجهه خجلاً!

عندما يتعرّف الحاجّ قاسم على أحد القادة الميدانيين في المعركة وبعد انتهاء المعركة يسمع بأنَّ فلاناً الذي تعرَّف عليه اليوم نال وسام الشهادة، يبقى يبكي على فراقه وكأنَّه رفيقٌ له منذ سنوات.

كـان الحـاجّ قاسـم داعمـاً للشـعب العراقـي فـي كـلّ طوائفـه، لـم يميّـز بـين طائفـة وأخـرى، سـعى إلـى خـلاص الأخـوة الإيزيـديين، كمـا دعـم الأخـوة المسـيحيين وأسّـس لهـم قـوةً عسـكريةً، وهكـذا وقـف مـع الكـرد، ودعـم السـنَّة، كمـا وحـرّر أراضـي التركمـان، وكـان يوصـي ويسـعى إلـى أن يبقى العراق واحداً قوياً.

الشَّيخ جلال الدين الصغير:

كـــان السياســـيُّون العراقيـــون ينتقلـــون وســـط بغـــداد بـالعجلات المدرَّعـة، فـي حـين كـان الحـاجّ قاسـم يتنقَّـل فـي سـاحات العمليـات وسـط الرصـاص بعجلـة نـوع (بيـك آب) مدنيَّة.

لم يكن تواجد الحاجّ قاسم سليماني في ساحة المعركة كقائد عسكري للمعارك فقط، وإنّما عمل بنيَّةٍ خالصةٍ على إعادة الروح المعنوية للمقاتلين، بل وحتى للقادة الميدانيِّين، فحضور الحاجّ قاسم بين المجاهدين والتنقُّل بينهم والتقاط الصور معهم جعلهم يشعرون بالنصر قبل تحقيقه.

كان وجود الحاجّ قاسم ميدانياً في عمليات (ناظم التقسيم) في الثرثار فيه مخاطرة كبيرة جداً عليه، وتحدَّث معه الأخوة القادة الميدانيُّون وطلبوا منه عدم التجوال بين المقاتلين؛ خوفاً من استمكانه من قبل العدو ومن ثمّ استهدافه بسهولة، لكنَّه كان لا يبالي لحديث الأخوة، وبقي يتجوَّل بين المقاتلين كلّ يوم، في كلّ نقطه أقف وأتحدَّث مع الجنود وأسألهم عن أوضاعهم يتحدّثون لي عن الحاجّ قاسم، وكيف كان معهم اليوم والتقطوا معه الصور وتحدَّث معهم واحداً تلو الأخر، من هنا انطلقت شعبية الحاجّ قاسم بين المقاتلين العراقيين وأصبح حبيب الجميع، كان الحاجّ قاسم سليماني قائداً بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى.

كان يتحدّث لي الحاجّ قاسم عن شراسة المعركة في سوريا وكثرة العدو هناك، لكنَّه كان يشعر بأنَّ المعركة في العراق فيها طعم مختلف عن سوريا.

في ذات يوم قال لي: أنا أحسّ بحلاوة النخوة التي أخرجت ملايين الشباب العراقيين الذين هبّوا للدفاع عن العقيدة والوطن بلا أيّ مقابل.

الحاجّ قاسم كان يعشق المقاتلين العراقيين وكان يشعر معهم بالنخوة والأمن، وهم يشعرون بأنَّ النصر يأتي مع الحاجّ قاسم.

كان الحاجّ قاسم يحب العرفانيين ويمل إلى العرفان، وكان له علاقات مع أصدقاء عرفانيين لا تجدهم بسهولة.

في ذات يوم كان الحاجّ قاسم سليماني ضيفي هنا في داري وتحدَّث لي عن هؤلاء العرفانيِّين الذين يحبّهم كثيراً، وبينما نحن نتحدّث عن العرفان والعرفانيين اتصل الحاجّ قاسم بشخص أجهل اسمه، وقال له: نحن هنا نجلس ونمسك بأيدينا قرآناً فرد العارف قبل أن يكمل الحاجّ قاسم حديثه، وقال له: نعم بأيديكم قرآن وأنتم الآن تقرؤون الآية الفلانية رقمها كذا وجزئها كذا، والشخص الذي يجلس بجانبك

(يقصدني أنا) لديه أمرٌ مهم جداً لكن لا أحبّ أن أتحدّث فيه الآن.

انتهت المكالمة وأنا منبهر بذلك الرجل، سألت الحاجّ قاسم عنهم وكيف وجدهم وأصبحوا أصدقائه؟

ابتسم وهو يقول لي: أنا أسمع من الناس عنهم وعن قصصهم، فأبحث عنهم وأجدهم ويصبحوا أصدقائي.

كانت علاقتي بالحاجّ قاسم بعيدة جداً عن العمل كانت علاقة أخوية، هو كان يقول لي أنا في العراق لديَّ خمسة أصدقاء أحبّ أن أجلس معهم دائماً وأزورهم.

وذكر منهم السيّد حيدر الحكيم نجل السيّد الشهيد محمّد باقر الحكيم، وأخي الأصغر الحاجّ أبا ضياء الصغير.

وأنا شخصياً كنت أعلم بأنَّ بين الحاجّ قاسم وبينهم علاقة شخصية أخوية، وأعلم أيضاً أنَّهم من محبي الحاجّ قاسم كثيراً.

كان الحاجّ قاسم في قمَّة الآداب والتواضع مع الجميع، وصاحب قلب كبير جداً.

عندما يكون هناك خصام بين طرف وآخر، يجلس الحاجّ قاسم مع كلّ طرف ويستمع لهم ويتعامل بصدق مع القضية ولا يجامل أحداً على كلمة الحقّ والصدق حتّى وان كان أحد الأطراف مقرّباً له.

كان الحاجّ قاسم صريحاً جداً ويحترم طالب العلم المعمّم ومهما كان يكون محترماً لدى الحاجّ قاسم، أتذكر في يومٍ ما ذهب أحد طلاب العلم وهو سياسي عراقي إلى طهران وهناك التقى بسماحة السيّد القائد علي الخامنئي، وكان سبب اللقاء هو أن يشتكي على الحاجّ قاسم! استمع السيّد القائد للمعمّم السياسي، ثمّ طلب من مسؤول حمايته وهو حجازي بأن يجلس مع طالب العلم هذا ويدوّن كلّ التفاصيل عن الحاجّ قاسم.

أكثر من نصف ساعة يتحدّث ذلك المعمّم وينقص من قدر الحاجّ قاسم، وكان الحاجّ قاسم حاضراً ويستمع

لكلامـه وهـو صـامت، وكـان هـذا الرجـل يتصـور بـأنَّ الحـاجّ قاسـم ضـعيف ولا يسـتطيع أن يـرد، لكـن فـي الحقيقة إنَّ الحاجّ قاسم كان مؤدّباً جداً معه.

ولمّا رجع هـذا المعمّـم للعـراق قـال: بـرد غليلـي مـن الحـاجّ قاسـم، وتكلَّمـت كـلَّ شـيء عنـه! حينهـا قلـت لـه: أنـت مشتبه بتصرفك هذا.

وحـين سـألت حجـازي عـن هـذا الموضـوع قـال: إنَّ الحـاجّ قاسـم رفـض أن يتحـدّث بـأي شـيء عـن ذلـك المعمّـم، واكتفى بكلمة واحدة فقط: « هذا الرجل سيخسر».

بعـد أيـام زار الحـاجّ قاسـم العـراق وطلـب زيـارتي، الصـراحة أنـا أقلـق عليـه كثيـراً، فقلـت لـه: أنـت أبـقَ فـي مكانـك وأنـا آتـي لـك حيـث تكـون، رفـض وقـال لـي: لا، أنا أحبّ أن أزورك في دارك.

لكن بالحقيقة أنا أعرف بأنَّ الحاجّ قاسم يرفض أن يقف على بابه طالب علم معمّم، وكان هو من يحب أن يقف على أبواب المعمّمين حتّى الذين لا يرغب فيهم كثيراً.

لـولا وجـود الحـاجّ قاسـم ميـدانياً فـي العـراق يصـعب نجـاح الفتوى المباركة التي حفظت لنا الأرض والعرض.
كـان الحـاجّ قاسـم ملتزمـاً جـداً بولايـة الفقيـه، وكـان جنـديّاً مطيعاً لقائده الولي الفقيه.

مـن الأشـياء التـي يحبهـا الحـاجّ قاسـم كثيـراً هـو التحـدّث باللغة العربية، بل لا يقبل أن يتحدّث بالفارسي كثيراً.

الحاجّ أبو ضياء الصغير:

أنـا علاقتـي بالحـاج قاسـم سـليماني علاقـه أخويـة عقائديـة منـذ سـنوات طويلـة؛ لـذلك فـي أغلـب اللقـاءات مـا بيننـا نتحـدّث عـن الشـهداء وعـن خدمـة عـوائلهم، وكثيـراً مـا يسـألني عـن شـهيد المحـراب السـيّد محمّـد بـاقر الحكـيم، وهـذا بحكـم مرافقتـي الشخصـية لشـهيد المحـراب لأكثـر من عشرين عاماً.

كـان الحـاجّ قاسـم سـليماني عاشـقاً لشخصـيّة السـيّد الشـهيد محمّــد بــاقر الحكـيم، ذلــك القائــد العظـيم الــذي خــتم مسيرته الجهادية شهيداً صائماً مقطّعاً إرباً إرباً.

أنـا لـم تكـن لـي صـفة عسـكرية لكنّنـي أحـب حضـور الجلسـات التـي يترأسـها الحـاجّ قاسـم سـليماني؛ لـذلك كنـت شـاهداً علـى أغلـب المواقـف البطوليـة للحـاجّ قاسـم مثـل اتخـاذ القـرارات الشـجاعة فـي أصـعب الظـروف التـي مرّت على العراق وشعبه.

أغلب الأخوة الحاضرين في الجلسات الأولى التي عُقدت بعد سقوط الموصل كانوا يستمعون فقط للحاجّ قاسم.

الحاجّ قاسم هو مَن اتخذ قرار حماية بغداد قبل الفتوى، وهو مَن أمر بالتحرّك فوراً إلى سامراء قبل وصول داعش لها، وهو الذي أصرَّ على تحرير طريق بلد الدجيل وتحرير محيط الدجيل، وأوَّل من وصل جوّياً إلى قرية آمرلي وهي تحت قصف العدو، وأوَّل مَن أخذ عهداً على نفسه بأن يحرّر كلّ شبر عراقي احتله داعش، وهو مَن تعهّد بإيصال السلاح للمتطوّعين وتسليح القوات الأمنية العراقية؛ فلولا حضور الحاجّ قاسم سليماني منذ الساعات الأولى لسقوط الموصل، والفتوى المباركة للسيّد السيستاني، لم يبقَ العراق موجوداً.

يتمتّع الحاجّ قاسم بالشجاعة المفرطة، ولم تقتصر شجاعته على الميدان العسكري فقط، بل كان شجاعاً في كلّ شيء حتّى في اتخاذ المواقف السياسية.

عام ٢٠١٤م كنّا بحاجة ملحّة إلى هكذا قائد شجاع لا يتردّد في أخذ القرارات مهما بلغت.

كان الحاجّ قاسم بارد الأعصاب لكنَّه شديد الهمّة والعزيمة، وهذا ما كان يذكره الحاجّ المهندس دائماً، حيث كان يقول: «نحن بحاجة إلى قائد يمتلك أعصاباً باردة بقلبٍ حارٍ وعزيمة شديدة وإرادة صلبة»؛ من هنا استطاع الحاجّ قاسم سليماني أن ينقلنا من الفوضى والانهزام إلى الانتصار.

على مدى تلك السنوات التي قضيتها رفيقاً للحاجّ قاسم لم أرَه إلاّ ثابتاً على ما رأيته عليه منذ اليوم الأوّل، كنت أراه يتجوّل في العراق بعجلة واحدة وسط مرافقينَ لا يتعدّى عددهم ثلاثة أو أربعة أشخاص كحد أقصى، مع معرفته بأنَّه كان مطلوباً للأمريكان و داعش، لكنَّه

كـان لا يبـالي مهمـا اشـتدَّ الخطـر، وعنـدما كنـت أراه فـي طهـران كـان يتجـول بعجلـة واحـدة أيضـاً، وكانـت العجلـة نـوع بيجـو صناعة إيرانيـة، مع أنَّـه يُعـدُّ مـن الرجـال الأوائـل فـي الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة، وكـان دئمـاً برفقـة سـائق العجلـة فقـط، وكثيـراً مـا يضـع مسـنداً خلـف ظهـره لشعوره دائماً بالألم؛ نتيجة تعرّضه لإصابات عديدة.

مـن الـدروس القيّمـة التـي تعلّمتُهـا مـن الحـاجّ قاسـم هـو الاهتمام بعوائل الشهداء، وبالخصوص أيتامهم.

كـان الحـاجّ قاسـم يضـع فـي مكتبـه أمـام وجهـه صـورة كبيـرة تجمع العديـد مـن الشـهداء مـن بينهم صـورة لشـهيد المحـراب محمّـد بـاقر الحكـيم، علمـاً لـم يكـن فـي هـذه الصــورة الشــهداء الإيرانيــون فقــط، وكــان يســمّيهم أصــدقائي، كــان فــي الصــورة شــهداء أفغــان، ولبنــانيين وعراقيين وحتى يمنيّين.

كلّ مساء يوم جمعة إذا كان موجوداً في طهران يجتمع مع عدد من الشباب ذوي الشهداء، ويختمون جزءاً من القرآن.

الحاجّ قاسم سليماني غادر العراق قبل ستة أيام من الزيارة الأخيرة التي غُدِر فيها ونال وسام الشهادة برفقة أخيه وحبيبه الحاجّ المهندس.

في آخر لقاء جمعنا في بيتي قال لي الحاجّ قاسم: بأنَّه سيغيب لعدّة أيام ثمّ نلتقي مرةً أخرى، قلت له: إن شاء الله حجّي، وقبل أن يغادر بيتي طلب مني أن أزوره في مساء هذا اليوم بمحل أقامته في العاصمة بغداد.

حلَّ المساء فذهبت إلى دار إقامة الحاجّ قاسم، وهنا سألني عن العجلة التي أستقلُّها لماذا تحمل لوحة حكومية؟ فقلت له: هذه العجلة خاصة بمكتب الحشد الشعبي وأنا أشغل منصب مدير المكتب، وقد طلبت من الحاجّ المهندس عجلة بلوحة مدنية لكن لم تتوفر لديه الآن، فردَّ عليَّ: اشترِ عجلة مدنية واترك هذا العجلة الحكومية، ابتسمت في وجهه وقلت له: يا حاجّ! أنا لا أمتلك شيئاً، ولا أستطيع شراء عجلة خاصه بي. فقال لي: اشتر عجلة على حسابي الشخصي واترك هذه العجلة الحكومية.

ثـمّ سـألني الحـاجّ قاسـم عـن أحـد الأخـوة الـذي يحبّـه كثيـراً، فتحـدّثت لـه عـن ذلـك الشـخص، فطلـب منـي شـراء عجـلات مـع أسـلحة شخصـية لتأمينـه، وقـال: يجـب أن لا يبقـى بـلا مـرافقين أمِّنـوا كـلّ وضـعه، يجـب أن يكـون بأمان[(١)].

فـي ذات يـوم كنـت برفقـة الحـاجّ قاسـم سـليماني فـي طهـران، وكـان هـو بانتظـار وفـدٍ عراقـيٍ لـديهم موعـدٌ مـع سماحة السيّد القائد علي الخامنئي.

أنـا شخصـياً لا شـغل لـي مـع الوفـد ولا أعـرف طبيعـة الزيـارة، لكنّنـي مشـتاق أن أسـلّم علـى سـماحة السـيّد القائـد، فطلبـت مـن الحـاجّ قاسـم مـرافقتهم مـن أجـل السـلام علـى سـماحة السـيّد ثـمّ أغـادر المكـان، ابتسـم الحـاجّ قاسـم وقـال لـي: نحـن لـيس فـي مهمّـة عسـكرية،

(١) لـم أتعـرّف لحـد الآن عـن تلـك الشخصـيّة المقصـودة، وقـد حاولـت معرفتـه مـن الحـاجّ أبـي ضـياء الصـغير لكّنـه رفـض أن يـذكر لـي أيّ تفاصـيل عنـه، بـل لـم يـذكر لي اسم ذلـك الشـخص حتّـى بشـكل شخصـي بعيـداً عـن الكتابـة، بـل لـم يحـدّد لـي إن كانت شخصية سياسية أم دينيّة!

والزيـارة كلّهـا لمجـرّد السـلام علـى سـماحة السـيّد فقـط، وأنـا دعوتـك هنـا حتّـى ترافقنـا. وفعـلاً رافقـتهم إلـى المكـان المخصّـص لاسـتقبال الضـيوف، وكنـت أنـا برفقـة الحـاجّ قاسم، وقبـل أن يصـل سـماحة السيّد لنـا، طلبـت مـن الحـاجّ قاسـم أن يأخـذ لـي (الشـماغ) الـذي يضـعه السـيّد القائـد علـى كتفـه. فقـال لـي: لمـاذا لا تطلبهـا أنـت بنفسـك مـن سـماحة السـيّد؟ فهـو يعرفـك جيـداً، قلـت لـه: أخجـل أن أطلبهـا أنـا منـه. وصـل سـماحة السـيّد القائـد وقبـل أن يـدخل القاعـة التـي فيهـا الأخـوة ينتظرونـه، شـاهدني برفقـة الحـاجّ قاسـم منتظـرين قدومـه قبـل الـدخول للقاعـة، ولمّـا شـاهدني فـتح ذراعيـه لاسـتقبالي، عانقتـه ثـمّ قبّلتـه فـي وجهـه وعلـى جبينـه وقبّلنـي علـى وجهـي، أطـال سـلامه وسـؤاله عنّـي وعـن عـائلتي، وبينمـا أنـا أتحـدّث معـه طلـب الحـاجّ قاسـم مـن سـماحة السيّد القائـد الشـماغ الـذي يضـعه علـى كتفـه، وقـال لـه: أريـد هـذا الشـماغ للحـاجّ أبـي ضـياء، فـردَّ سـماحة السـيّد القائـد لمـاذا أنـت تطلبـه؟! لمـاذا لا يطلـب هـو منـي؟! فـرددت أنـا علـى الحـاجّ قاسـم وأنـا

مبتسم، قلت له: «صحيح حجّي أنت ليش تطلب من السيّد القائد عن لساني، أنا أطلب منه شخصيّاً!» ابتسم الحاجّ قاسم لي وأخذ يتوعَّد لي، وأنا والسيّد نبتسم.

لو لم يكن الحاجّ قاسم بهذه الأخلاق الحسنة والروح الطيّبة، لم نستذكر له شيئاً الآن حتى هذا الموقف البسيط، لقد كان الحاجّ قاسم يعيش بشخصية واحدة، وعاش بوجهٍ واحدٍ مع الجميع.

سواء كان في طهران أم بغداد، دمشق أم بيروت، لا تختلف أخلاقه وتعامله مع الآخرين على حساب جغرافية المنطقة.

في ذات مرَّةٍ اتفق الحاجّ قاسم مع السيّد محمّد باقر الحكيم على موضوعٍ ما، قال الحاجّ قاسم للسيّد الحكيم: كلِّف أبا ضياء بمتابعة الموضوع معي، فعلاً كلَّفني السيّد الحكيم بذلك واتصلت بالحاجّ قاسم، فطلب مني أن آتيه غداً إلى مكتبه في طهران الساعة السادسة صباحاً، فكنت أمزح مع الحاجّ قاسم وأقول له:

«حجّي أنا أستيقظ عند الساعة الواحدة بعد الظهر، قال لي: هذه مشكلتك، أنا انتظرك عند الساعة السادسة صباحاً، وإذا لم تأتِ لي بهذا الموعد سيُلغى موعدك!».

توسَّلت به حتّى يكون الوقت السابعة صباحاً، وفعلاً ذهبت له عند الوقت المحدّد وجدته في المكتب ينتظرني، وقال لي: إنَّه أنهى اجتماعاً كان لديه قبل مجيئي عنده، كما وتابع كلّ أعماله.

فقلت له: حجّي منذ متى أنت هنا؟ قال: من بعد صلاة الصبح، كلّ يوم أكمل صلاتي في مكتبي، ثمّ أبقى أتابع عملي.

فقلت له: متى تنام؟ قال: أنام بالعجلة حين أنتقل من مكانٍ إلى آخر، وبالطائرة إذا كان لديَّ سفر.

المؤلّف:

نفس تلك الصفات التي يتحدّث لي عنها الحاجّ الصغير عن الحاجّ قاسم، عشتها أنا شخصياً مع الحاجّ المهندس

عنـدما كنـت مرافقـاً لـه، حيـث كـان الحـاجّ المهنـدس يسـتغل الانتقـال بـين المحافظـات للمنـام فـي العجلـة، ودائمـاً مـا كـان يحمـل معـه وسـادةً صـغيرةً يضـعها تحـت رأسه بالعجلة التي يستقلُّها ثمّ ينام.

الحاجّ أبو علي البصري:

في السابق عندما كنا نريد شيئاً ما ونحتاج فيه للمساعدة نلجأ إلى الحاجّ قاسم، كنا نشعر بأنَّ الحاجّ قاسم وُجِد لنصرة المستضعفين، نعم هناك وزارة خارجية تمثّل حكومة إيران

خارج البلد، لكن كان الحاجّ قاسم وزارة المستضعفين التي تمثّل الوجهة الحقيقية للإسلام المحمّدي.

منذ الساعات الأولى أخذ الحاجّ قاسم دور القيادة العسكرية للدفاع عن العراق، كان هو مَن يخطّط، وهو مَن يطلب السلاح و ينقل لنا السلاح، كان يوزِّع المهمّات على القوات العسكرية ثمّ يأتي دور الحاجّ المهندس في متابعة ما خطّط له الحاجّ قاسم سليماني ميدانياً.

كـان دور الحـاجّ المهنـدس مكمّـلاً لـدور الحـاجّ قاسـم سـليماني، ولـو لـم يكـن أحـدٌ مـنهم موجـوداً لـم يتحقّـق النصر بهذه السرعة.

عنـدما كنـا نتحـدّث مـع الحـاجّ المهنـدس ونقـول لـه: أنـت مـاذا تقـول؟ يقـول: «أنـا جنـديٌ لـدى الحـاجّ قاسـم، اسـألوا الحاجّ قاسم ماذا يقول».

وحين نتحدّث مع الحاجّ قاسم يقول لنا: «الحاجّ المهندس هو القائد، أنا جندي لدى الحاجّ المهندس، وخادمٌ لكم».

كان الحاجّ قاسم حريصاً على العراق حيث تحمَّل معنا كلّ المصاعب في عمليات التحرير، لا يتخيَّل أحدكم أنَّ عمليات التحرير جاءت فقط بالسلاح، كان هناك تخطيط سياسي قبل التخطيط العسكري، كان البعض يصرّ إصراراً عجيباً أن لا يتحرّر العراق، لكن الحاجّ قاسم كان يدير الملف العسكري والسياسي في آنٍ واحد.

وخير دليل على حديثي هذا هو إيقاف ميزانية الحشد الشعبي ورواتب المقاتلين التي لا قيمه لها مقابل ما تصرفه الحكومة آنذاك، ولولا وجود ضغوطاتٍ سياسية وتأثيرات على الحكومة العراقية لم يتم إيقاف رواتب المقاتلين الذين كانوا في خطّ الصدّ الأوّل والأخير لحماية العراق وشعبه الكريم.

الأمريكيُّون كانوا يقولون بصراحة: لا سلاح لكم قبل عام ٢٠٢١م وفي المقابل كانوا يضغطون على الحكومة بعدم أخذ السلاح من الإيرانيين، حينها كان السلاح

الإيراني كالشريان الأبهر في جسد العراق إذا يُقطع يموت العراق، كما أنَّ الحاجّ قاسم كان يقول: «أنا مستعد أن أموت من أجل الدفاع عن العراق». ونحن على يقين بأنَّه صادق فيما يقوله؛ لما لمسناه من صدقه وتفانيه، حيث كنا نجبره أن ينسحب من خطوط الصدّ الأولى مع العدو خوفاً عليه، وفي كلّ مرة كان يرفض ويصر على متابعة العمليات ميدانياً، حتى إنَّه في بعض العمليات العسكرية كان يستقل دراجة نارية ويتجول فيها بين القطعات، وفي مواقع كثيرة كان يستطلع فيها خطوط العدو.

لم يختصر دور الحاجّ قاسم في تخطيط العمليات العسكرية فقط، فأنا كنت قريباً عليه وشاهداً على ما يقدّمه هذا القائد العظيم، كان طوال النهار وهو يستطلع ويجتمع ويجمع القوات ويوزّع المحاور، وفي الليل لا يصمت هاتفه حيث يتابع خطوة بخطوة تجهيز وتحميل وإيصال السلاح إلى العراق.

يوماً بعد يوم أصبح دور الحاجّ قاسم يكبر في العراق، فأصبحت الجبهات مع العدو تكبر، وأعداد المقاتلين تتعاظم، حيث إنَّ الفتوى المباركة جاءت لنا بالأمل إذ تعدَّى أعداد المتطوّعين لأكثر من مليون متطوّع، فأصبح على عاتق الحاجّ قاسم دور أكبر من الذي كان عليه، فأخذ هنا دوره في تجهيز السلاح والذخيرة بمئات الأطنان، كما أنشأ وجهَّز عشرات المعسكرات، وتوفير كوادر المدرّبين من الأخوة اللبنانيين في حزب الله، والأخوة من الحرس الثوري، وكلّما ازدادت أعداد المتطوّعين ازدادت مهام الحاجّ قاسم.

منذ الساعات الأولى للفتوى المباركة أخذ الحاجّ قاسم سليماني على عاتقه تنظيم هذه الجموع، وتشكيل هيئة عسكرية تنظم هذه الإعداد؛ لتصبح قوات عسكرية منظّمة مدرّبة جاهزة للقتال في أيّ ساعة.

كان الحاجّ قاسم يبذل قصارى جهده على أن تكون هذه الهيئة المباركة التي جاءت من فيض بركات الفتوى، محميّة بقانون الدولة، وأن تكون حقوق مقاتليها محفوظة كسائر القوات الأمنية.

كنا نشعر بأنَّ الحاجّ قاسم هو الوصي على حياة المجاهدين، فعندما تنتهي العمليات العسكرية يبدأُ الحاجّ قاسم يوصي القادة الميدانيين بالاهتمام بالمجاهدين، كان الحاجّ قاسم شخصياً يتابع تمويل المجاهدين، جرحاهم، عوائل الشهداء، التسليح، كلّ شيء، كان يقول لنا: نحن مؤمَّنون على أروح أولئك الناس الذين بسواعدهم ننتصر في كلّ مرة.

بعض العمليات العسكرية في العراق تزامنت مع عمليات سوريا، وكان على الحاجّ قاسم أن يتواجد في احدى العمليات إمَّا أن يكون في العراق أو أن يذهب إلى سوريا، لكن في كلّ مرة التي تتزامن فيها العمليات العسكرية كان يُحبّذ البقاء في العراق، وكان شغله الشاغل هو تحرير العراق والحفاظ على شعبه.

في بعض العمليات العسكرية التي لم يكن فيها الحاجّ قاسم موجوداً في العراق، نشعر بالفراغ الحقيقي، فنطلب من الحاجّ المهندس أن يتّصل هاتفياً بالحاجّ قاسم، ونستمع إلى رأيه وماذا يقول.

كان الحاجّ المهندس على اتصال مباشر مع الحاجّ قاسم، بل ولا يخطو خطوة قبل أن يسأل الحاجّ قاسم فيها، كان هناك احترام متبادل عجيب فيما بينهما.

نحن جميعاً كنا نحتسب الحاجّ قاسم سليماني واحداً منّا، بل كنا نشعر بأنّه أخونا الأكبر، وبحقّ أقول: كان الحاجّ قاسم من الناس المخلصين للعراق ولشعبه، ومن الذين يحترمون مراجع الدين، وكان صاحب دين حقيقي، فنشعر بصدق كلماته وإحساسه اتجاه بلدنا العزيز، كان لا يفرّق بين الشعب العراقي والإيراني، كان يتعامل مع الجميع بأنَّهم مسلمون.

كثيراً ما كان يقول: مسؤوليتي اتجاه العراق هي ذاتها اتجاه إيران، ولبنان، وفلسطين، وسوريا، واليمن.

الشيخ جلال الدين الصغير:

ترأس الحاجّ قاسم أوّل اجتماع أمني في بغداد، وبدأ يشرح للقيادات العسكرية كيفية التعامل مع العدو وحماية بغداد.

طبعـاً كانـت الإمكانـات اللوجسـتية شـبه معدومـة؛ بحيـث كـلّ مقاتـل لا يحمـل معـه سـوى مخـزن الـذخيرة الموجـود داخـل سـلاحه، وبـاقي الـذخيرة يضـعها المقاتـل فـي كـيس أسود ويحملها مع بندقيته.

أرسـلت إيـران عشـرات الطـائرات مـن السـلاح والـذخيرة، لكــن مــع كثــرة محــاور العمليــات وآلاف المتطــوّعين لا تكفي لسد الحاجة.

ازداد عدد المتطوّعين والإمكانيات ما زالت محدودة جداً، اتّصل الحاجّ قاسم بالحاج صبوري وهو أحد قيادات الحرس الثوري، وطلب منه أن يتواجد في العراق بكلّ عدده وعدّته، وفعلاً وصل صبوري ووصلت معه الدبابات الإيرانية والمدفعية، وأخذ ينشئ معسكرات سريعة، كنا نلقّب صبوري بالجنّ؛ لسرعة تحرّكه وانتقاله وعمله.

تحـدّثت مـع الحـاجّ قاسـم حـول الطـائرات (السـيخوي) الموجـودة فـي إيـران وهـي طـائرات عراقيـة، وقلـت لـه: القــوات الجويــة العراقيــة بحاجــة إلــى هــذا العــدد مــن

الطائرات، قال لي: الطائرات موجودة وجاهزة لكن نريد ٢٥ طياراً عراقيّاً من الطيّارين الثقات.

اتصلت بالأخ فاروق الأعرجي، مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة، ومع الأسف كان موقفه غير جيد، بل وتعامل معنا بطريقة غير مناسبة.

ثمّ اتصلت بالأخ الدكتور طارق نجم فأرسل لي رقم أحد الطيّارين وهو من أهالي الكوت، وبواسطة هذا الطيّار الطيّب وصلنا إلى أغلب الأخوة الطيّارين.

الحاجّ أبو كرّار السهلاني:

مَن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق؛ للحاجّ قاسم سليماني دور نصف المعركة، كما يليق عليه اسم قائد النصر، كما أسماه سماحة المرجع الديني الكبير السيّد علي السيستاني (دام ظلّه الشريف).

عندما احتلّت داعش المحافظات الغربية، كانت الدولة خاوية ولا تستطيع حتّى الدفاع عن قرية صغيرة، وهذا

بسبب تدخل قوات الاحتلال الأمريكي بتدريب القوات العراقية وتسليحهم.

والحرب كما يعرف الجميع تحتاج إلى أهم ثلاث مقوّمات وهي: القيادة، الرجال، السلاح، ونحن كنا نفتقر للقيادة، ووجود قائد أو قائدين لا يكفي لقيادة عمليات فيها ثلث العراق محتل من أشرس مجاميع الإرهاب في العالم، مجاميع لا تعرف للحقّ وجه، ولا دين لهم.

نعم لدينا الملايين من الشباب الأبطال المستعدّين للشهادة دفاعاً عن العقيدة والوطن، لكن أغلبهم غير مدرَّبين للحرب.

أمَّا السلاح فلا نمتلك ما يكفي لإدامة المعركة لساعات وليس لأيام وسنوات؛ لذلك عندما أقول: إنَّ الحاجّ قاسم سليماني كان له نصف دور المعركة أرى أنَّ الوصف قليلٌ بحقّ الحاجّ قاسم، بالحقيقة له دور ثلثي المعركة والنصر؛ فلولاه لم يصل إلينا أكثر من ٣٥٠

قائد عمليات ميداني وعشرات المستشارين والمدرّبين، ولولا دخوله منذ الساعة الأولى لسقوط مدينة الموصل لم تصل إلينا الطائرات المحمّلة بمئات الأطنان من السلاح والذخيرة.

نحن كنا نفتقر للعجلات الخاصة بنقل المجاهدين، بل وحتى عجلات للعمليات العسكرية على العدو، لكن عندما وصل الحاجّ قاسم ومنذ الساعات الأولى لوصوله طلب من الأخوة في محافظة السليمانية تجهيزنا بمئات العجلات البيك آب، نوع تيوتا، وهو مَن تعهّد لهم بدفع المبالغ المالية، في وقتٍ لا أحد يقبل أن يبرم مع العراق أيّ عقد؛ خوفاً من سقوط الدولة وخسارة كلّ شيء.

كان الحاجّ قاسم متعلّقاً كثيراً بصلاة الليل، ودائماً ما كان يتحدّث لنا عن ثواب صلاة الليل، وكان يقول لنا: مَن يريد أن ينتصر ويوفّق في عمله، عليه أن يصلّي صلاة الليل، فكانت صلاة الليل بالنسبة للحاجّ قاسم فريضة لا تنفصل عن الصلوات الخمسة.

كـــان الحـــاجّ قاســـم يقبّـــل أيـــادي المجاهـــدين، وأحيانـــاً ينحنـي لتقبيـل أقـدامهم! ولـم أرَ قائـداً عراقيـاً انحنـى علـى كفّ مقاتلٍ وقبَّلها سوى الحاجّ المهندس.

وكـان الحـاجّ قاسـم دائمـاً مـا يقـول ـ وأنـا سـمعتها منـه شخصياًـ: «أنـا مسـتعد أن أستشـهد فـي العـراق عشـرات المـرّات ومـرّة واحـدة فـي إيـران؛ لأنَّ العـراق إذا سـقط سقطت إيران والمنطقة بأسرها».

كـان الحـاجّ قاسـم متواضـعاً جـداً لا يفـرّق بـين أن يجلـس مع أصغر مجاهـد أو أكبـر قائـد، كـان يتنـاول أبسـط الطعـام مـع المجاهـدين، ويلـبس ثيـاب الفقـراء، كـان كثيـر التسـبيح، ومبتسـماً دئمـاً، ومـن صـفاته الجـود والكـرم، لا يبخل على مَن سأله حتّى ولو سأله أن يهب له روحه.

الحاجّ حسن فدعم:

عنـدما تـمَّ تكليفـي مـديراً لمكتـب هيئـة الحشـد الشـعبي فـي بابـل، أوصـاني الحـاجّ قاسـم سـليماني بخدمـة عوائـل

الشهداء والجرحى، وقال لي: إنَّ جميع المؤسسات في الجمهورية الإسلامية في خدمتكم، كلّ الأبواب مفتوحة أمامكم، اعملوا على ترتيب سفرات لعوائل الشهداء، ولا تقولوا للجرحى: لا نستطيع توفير علاجكم، ما عليكم فقط إلاّ أن ترسلوهم إلى إيران ونحن من نتكفّل بعلاجهم، جهادكم الحقيقي هو خدمة عوائل الشهداء والاهتمام بالجرحى».

ما جلسنا في غرفة العمليات وكان فيها الحاجّ قاسم إلاّ وتحدث عن أهل السنّة وأوصانا بهم.

وكان يقول:« إنَّ سنة العراق غير طائفيين؛ لأنَّهم تعايشوا منذ الآف السنين مع الشيعة، حتّى أصبحوا يزورون مراقد أهل البيت عليهم السلام ويشاركونهم في مجالس عزائهم»، وكان دائماً ما يقول هذه الكلمة باللهجة العراقيّة: «إخوان! ترى سنة العراق شيعة إلاّ شوية»، بمعنى أنَّ سنّة العراق قريبون جدّاً من الشيعة وليس هناك من فرق إلاّ الشيء اليسير.

قسماً بالله كنت شاهداً على حديث الحاجّ قاسم سليماني مع أهل السنّة في القرى المحيطة بقضاء بلد، التي يسكنها الكثير من أهل السنة، حيث كان يقول لهم:« نحن جئنا من أجل تحرير مدنكم من الإرهاب، نحن هنا حتى ندافع عنكم، لا تسمعوا للذين يقولون: جاءوا لكم من أجل أن يجعلوكم شيعة، نحن هدفنا محاربة الدواعش الذين حرّفوا دينكم وشوهوا ديننا».

الحاجّ أبو امتحان الحلفي:

في زمن الترف والراحة و الاطمئنان قبل سبع سنوات كنا بحاجة للكلمة الطيّبة لا السلاح والذخيرة فقط، والحاجّ قاسم وفَّر لنا كلّ شيء، كان صاحب فضل لا أستطيع الحديث عنه الآن ووصفه، ولا أعتقد أنَّ هناك مَن يستطيع ردّ الجميل للحاجّ قاسم.

وأستطيع القول: إنَّ العراق قد انتصر بالفتوى المباركة، وقيادة الحاجّ قاسم، والدم العراقي، والسلاح الإيراني.

كان الحاجّ قاسم سليماني يصنع من اليأس نصراً، ويحوّل أزَماتنا إلى انفراج، كان يخطّط لسنوات ونحن لا نعرف ماذا سيحدث غداً.

كان يسهر الليالي وينتقل من بلد إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى من أجل دارسة المنطقة وتقديم المخطّطات والحلول لنا.

قد تعرّض الحاجّ قاسم لعشرات الإصابات، وكان قريباً جداً من الشهادة، لكن أشعر بأنَّ الله أراد للحاجّ قاسم أن يبقى؛ ليكون سبباً لتحرير العراق.

والجدير بالذكر إنَّ تسليح وتدريب الجيش العراقي والقوات الأمنية من قبل الاحتلال الأمريكي كان أكذوبةً، وأغلب القادة العسكريين العراقيين يعرفون الحقيقة، لكنَّ أغلبهم يخشى التصريح والحديث في المسألة؛ خوفاً من تجريدهم عن مناصبهم.

فالأمريكان كانوا يعدّون لسيناريو دخول داعش منذ سنوات؛ لذلك عملوا على عدم تسليح الجيش العراقي، ثمّ قدَّموا استشارات خاطئةٍ، والمستشارون الأمريكيون

كـانوا يعملـون علـى إسـقاط العـراق لا علـى حمايتـه كمـا يدَّعون.

والدليل على ذلك إنَّ داعش دخل العراق في وضح النهار وأمام أنظار العالم كلّه، ولم يحرّك الأمريكان ساكناً، بل ساعدوا على إسقاط محافظة الأنبار بشتَّى الطرق، حتى أنَّ القيادة الأمريكية تحدَّثت عن بقاء داعش في العراق لسنوات، لكن الحاجّ قاسم والفتوى المباركة وسواعد الشرفاء ردّت كيدهم إلى نحورهم وغيَّرت المعادلة بالدماء العراقية الطيّبة ودمه الزكيّ.

كـان الحـاجّ قاسـم يقـف علـى مشـارف المدينـة المـراد تحريرهـا ويشـاهدها بـأُمّ عينـه، ثـمّ يشـرع بعقـد اجتمـاع للحـديث عـن تحريرهـا، لـم يعمـل إطلاقـاً مـن خلـف الكـواليس، ولـم يصـدر قـراره علـى أسـاس الاسـتماع، كـان يتحقّق بنفسه ثمّ يتخذ القرار.

أشـرف الحـاجّ قاسـم شخصـياً علـى تشـكيل معاونيـة الاسـتخبارات فـي الحشـد الشـعبي، وجهَّزهـا بأحـداث

التقنيّات، كان يقول لنا: لا تهتمّوا بنوع وتكلفة الجهاز ولا في أيّ بلد يكون. كان يعمل على أن يكون تعدادنا أكثر من ١٥ ألف عنصر.

ذات يوم احتجنا إلى جهاز من دولة معيّنة كانت متحفّظة على تجهيزه للحشد الشعبي، فتدخّل الحاجّ قاسم وبعلاقاته استطعنا الحصول على الجهاز والعمل به.

في بعض الاجتماعات العسكرية والحديث عن الأجهزة التقنية الاستخباراتية، قال الحاجّ قاسم: «لا تعتمدوا على الأجهزة الإيرانية فقط، ابحثوا عمّا هو أفضل لكم لا لنا، إذا كان هناك جهاز في إيران بقيمة ١٠٠ ألف دولار، وفي دولة أخرى بـ ٨٠ ألف دولار، خذوا الأنسب قيمة لكم، فهو لم يقيّدنا بشيءٍ معيّن، ولم يضع أيّ خطوط أمام أيّ دولة من الدول الشرقية.

كان الحاجّ قاسم يصف الدول العربية بالدول التخريبية، طبعاً يتحدّث عن أنظمة تلك الدول وليس شعوبها الكريمة، فكان يقول النظام السعودي نظام تخريبي.

الدكتور علي الخفّاف:

لـم أكـن أعـرف الحـاجّ قاسـم كثيـراً، لكـن أكثـر الصـفات الحسـنة التـي أعرفهـا عـن الحـاج المهنـدس رأيتهـا عنـد الحــاج قاســم، حتّــى صــرت لا أســتطيع أن أُميّــز بــين الشخصـيتين، فهـم تخرّجـوا مـن مدرسـة واحـدة؛ فالاهتمـام الـذي كنـت أراه لـدى الحـاجّ المهنـدس رأيتـه لـدى الحـاجّ قاسم أيضاً.

كان يهتم بأصغر تفاصيل المعركة، لم أرَه يعيش دور القائد ويصدر الأوامر عبر النداءات وهو يجلس في مكاتب مكيَّفة، بل كان كأيّ جندي في أرض المعركة وهو قائدها.

طيلـة سـنوات الحـرب فـي العـراق، لـم أسـمع الحـاجّ قاسـم قـال: هـذا الموضـوع لـيس مـن شـأني أولا يناسـبني، مهمـا بلـغ هـذا الشـيء، صـغيراً كـان أو كبيـراً، عـاش مـع الجنـود ميدانياً، وعاش حياتهم بكلّ تفاصيلها اليومية.

محـلّ نـوم الجنـود منامـه وطعـامهم طعامـه، لـم يميّـز نفسـه بسـلاح مختلـف ولـم يرتـدي بدلـةً عسـكريةً تختلـف عـن

بدلات المقاتلين، الكثير من ضبّاط الجيش العراقي والقوات الأمنية كانوا لا يعرفون الحاجّ قاسم، وحين يكون حاضراً معنا يرحبُّون بنا أوَّلاً.

شاهدت الحاجّ قاسم عشرات المرّات وهو ينتقل بين القطعات العسكرية بدراجة نارية برفقة مَن يقودها فقط، وفي أغلب المرّات أشاهدهم لم يحملوا معهم سوى السلاح الشخصي (مسدّس) ونحن نسير في أرض وعرة، وفي كلّ مكان وآن تتوقع خروج العدو أمامك.

أ ـ د:

منذ أن تعرّفت على الحاجّ قاسم سليماني عام ٢٠٠٦م عرفته كريماً شجاعاً طيّباً صادقاً، وإذا وَعَد وفى بوعده، بقي الحاجّ قاسم هو ذاته بتلك الأخلاق التي عرفتها بها حتّى نال وسام الشهادة عام ٢٠٢٠م كأنّه منذ أن وُلِدَ وُلِدَ بهذه الصفات الحميدة، كان السيّد الخامنئي يسمّيه: (المعجزة).

البعض يقول: إنَّ الحاجّ قاسم تدرّج في حياته حتّى أصبح بهذه الشخصية التي ترونها أمامكم، لكنّي لا أتفق معهم، و ما زلت على رأيي الأوّل من أنَّ الحاجّ

قاسم لم يتغيّر شيء من صفاته الحسنة؛ فأربعة عشر عاماً كانت كفيلة بتغيّره ولو بشيء بسيط، لكنَّه بقي على صفاته الغُرّ، وكان سماحة السيّد علي الخامنئي صائباً حين سمّاه بالمعجزة. وسأذكر لكم موقفاً من مواقف الحاجّ قاسم المعروفة بنصرة المستضعفين.

في العامين ٢٠٠٧م و ٢٠٠٨م كان يحصل في بغداد فقط أكثر من ١٠٠ تفجير يومياً، وكانت الجثث تملأُ الشوارع، أنا أتحدّث لك بالأرقام، في بغداد فقط يومياً أكثر من ١٥٠ جثة مجهولة الهوية لا يعرف أصحابها، وكان عمل القوات الأمنية هو نقل الجثامين يومياً من الطرق العامة للطّبّ العدليّ، وفي بعض الأيام لا تستوعب ثلاجة الموتى تلك الأعداد، فتبقى بعض الجثث ملقاةً على الطرق العامة!

في هذه الأحداث الدامية التي تحتاج إلى معجزة حقيقية لإيقافها، طلب مني الحاجّ قاسم سليماني شخصياً، أن أتحدث مع الأخ المالكي رئيس

الوزراء آنذاك واطلب منه أن يسمح له بالتدخل لحماية بغداد وإيقاف نهر الدم، وقال لي الحاجّ قاسم: «إنَّ حماية بغداد ستكون بقوات عراقية مدرّبة بخبرة إيرانية بالتعامل مع هكذا ملف، وكونوا على يقين لا يحدث تفجيرٌ واحدٌ في بغداد بعد استلامنا للملف الأمني». نقلت رسالة الحاجّ قاسم سليماني إلى الأخ المالكي ولم أسمع الرد بعد وبقيت بغداد تستيقظ كلّ يوم على عشرات الشهداء.

اهتمَّ الحاجّ قاسم كثيراً بتشكيل الحشد الشعبي حتّى أصبح بإمكانيات لا يمتلكها أحد، كان يركّز على إضافة الخبرة العسكرية لدى حزب الله والحرس الثوري للحشد الشعبي وكان يقول: «لولا وجود الحشد الذي جاء بفضل فتوى السيّد السيستاني، لم يبقَ العراق على وحدته؛ لأنَّ المشروع الأمريكي الخليجي ذاهبٌ إلى تقسيم العراق منذ الأيام الأولى لدخول (داعش).

عـاش الحـاجّ قاسـم سـليماني معـي فـي بغـداد عـدّة أشـهر، كنـا نسـكن داراً واحـدةً، كنـت أرى فيـه صـفات لـم أرهـا فـي أحـد سـواه، مـثلاً كـان متـديناً جـداً، وخلوقـاً وهادئـاً كثيـراً، كـان ذكيّـاً بحيـث يقـرأ مـا تريـد قبـل أن تتحـدّث بشــيء، وكــان متواضــعاً إلــى حــد يشــعرك بالخجــل، تواضـعه لا مثيـل لـه، لديـه القـدرة علـى العمـل عجيبـة، فـي أيـام شـهر رمضـان كنـا معـاً ومـا إن يصـلّي المغـرب ويفطـر يخـرج إلـى الاجتماعـات الأمنيـة فـي بغـداد، يبقـى حتّـى السـحر، يصـلّي وينـام سـاعة واحـدة أو سـاعة ونصـف السـاعة كحـد أعلـى، ثـمّ يسـتيقظ ويـذهب إلـى محـاور العمليـات بحـزام بغـداد ولا يعـود إلاّ عنـدما يحـين وقـت الإفطار.

كــلّ يــوم يخــرج وهــو صــائم تحــت أشــعة الشــمس التــي تصــل حرارتهــا فــي العــراق إلــى نصــف درجــة الغليـان، علمـاً بأنَّـه يعـاني مـن جراحـه القديمـة ولديـه أمــراض مزمنــة، لكــن كانــت لديــه روح جهاديــة لا تهزم.

كان بور جعفري مرافقاً للحاجّ قاسم لأكثر من ثلاثين عاماً، شخصيته شخصيّة عجيبة؛ حيث كان كما يريد الحاجّ قاسم دائماً، سبحان الله كأنّه خُلِق من أجل الحاجّ قاسم، عندما كان يذهب الحاجّ قاسم كي ينام، يبقى بور جعفري واقفاً في باب الغرفة لأكثر من ١٥ دقيقة، حينها كنت أسأله: لماذا تبقى واقفاً في باب الغرفة؟ يقول لي: أخشى أن أذهب وأرتاح ويحتاج الحاجّ قاسم لشيء ولا أكون قريباً منه، فأبقى واقفاً في باب الغرفة حتّى أشعر بأنَّه نام فعلاً ولم يعد يحتاج شيئاً منّي!

كان الحاجّ قاسم صاحب ابتسامة لا تفارق محيّاه، ومن صفاته الجميلة أنّه كثير الصبر.

والحقّ يُقال: إنَّ الحاجّ قاسم سليماني بشخصه هو مَن أنقذ العراق، حتّى وإن كانت إيران موجودة لا يمكن تحرير العراق مع عدم وجود الحاجّ قاسم، علماً بأنَّ الحاجّ المهندس هو القائد لعمليات التحرير، لكنَّه كان

مرتكـزاً كثيـراً علـى الحـاجّ قاسـم أيضـاً، وكـان بينهمـا تفاهم واتفاق عجيب يعجز الكلام عن وصفه.

في زمن تولّي العبادي رئاسة الوزراء صارت هناك فجوة كبيرة بين الحكومة والحشد الشعبي، أنا برأيي سببها بعض المنافقين الذين كانوا ينقلون المعلومات الخاطئة لرئيس الوزراء، لكن من إيجابيات الحاجّ قاسم سليماني ورفيقه الحاجّ المهندس أنَّهما لم يهتمّا لهكذا حديث، لا من قريب ولا بعيد، وكانا يمضيان بخططهما العسكرية ويتعاونان مع الجيش العراقي والشرطة الاتحادية، وكانا على علاقة طيبة مع جميع قادة الصنوف العسكرية.

علمـاً أنَّ العبـادي يحـب الجمهوريـة الإسـلامية، كمـا ويحـبّ السـيّد الخـامنئي، وعنـده احتـرام خـاص للحـاج قاسـم سـليماني، لكـن طبيعـة العبـادي جـدلي؛ لأنَّـه عقليـة رياضية والعقلية الرياضية تكون جدلية.

بعـض قـادة الجيـش العراقـي لـم يكونـوا منبسـطين لوجـود الحـاجّ قاسـم سـليماني معهـم، بـل ولا لوجـود أيّ إيرانـي

أو لبنـاني؛ لأنَّ هـذا جـزء مـن ثقـافتهم، فأغلـب ضبّاط الجيش العراقـي كـانوا برتـب كبيـرة حـين سـقوط نظـام صـدام المقبـور؛ لـذلك كانـت تـربيتهم مختلفـة، مـع أنَّـه هنـاك فـرق بـين أن يكـون فكـر الشـخص فكـرٌ بعثـي وبـين شـخصٍ تربَّـى علـى مبـادئ حـزب البعـث، فمثـل هـؤلاء تختلف حتى لغتهم ومصطلحاتهم.

أتـذكر فـي أحـد الأجهـزة الأمنيـة بـالعراق لغايـة ٢٠٠٨م يقولـون حـين يتحـدّثون بيـنهم (حـزب الـدعوة العميـل) ويسمون فيلق بدر بـ (غدر).

عـام ٢٠١٩م تحديـداً فـي الشـهر الثالـث ذهبـت إلـى طهـران، وهنـاك التقيـت بالحـاجّ قاسـم سـليماني، جلسـنا وتحـدّثنا عـن الأوضـاع الأمنيـة فـي العـراق ولمّـا أنتهـى حـديثنا دعـاني معـه إلـى زيـارة حـرم السـيّدة زينـب عليها السلام فـي سوريا، قبلت الدعوة ورافقت الحاجّ قاسم إلى هناك.

كانت الرحلة على متن طيران أجنحة الشام، لـم يكـن فـي الطـائرة جنـاح VIP فكنـا نجلـس مـع عامّـة النـاس، طـول

الرحلـة مـن طهـران إلـى دمشـق، لـم يجلـس الحـاجّ قاسـم سـليماني فـي مقعـده، حيـث كـان ينتقـل بـين الركـاب ويسـلّم علـيهم واحـداً تلـو الأخـر، يقبّـل الأطفـال والشـباب ويصـوّر معهـم، فلقـد كـان للحـاجّ قاسـم منزلـة عجيبـة فـي قلوب الناس.

حـين يُطلَـب مـن الحـاجّ قاسـم التصـوير معـه يحمـرُّ وجهـه خجلاً، فحقّاً كان من عباد الله الصالحين.

في الساعة العاشرة مساءًا وصلنا إلى مطار دمشق، اُستقبل الحاجّ قاسم من داخل المطار، كان الشخص الذي استقبلنا لبناني الجنسية من أبطال حزب الله، ومن طبيعة عمله عرفت بأنَّه هو المسؤول عن حماية الحاجّ قاسم في سوريا.

تحـدّث ذلـك القائـد مـع الحـاجّ قاسـم وقـال لـه: «إنَّ ترامـب أخـذ القـرار الرسـمي بقتلـك، ولـدينا معلومـات مؤكَّـدة أنَّ قـرار قتلـك وقَّـع عليـه وسـيُنَفَّذ بـأي لحظـة ممكنـةٍ؛ لـذلك علينـا أن نعمـل علـى أن تغيّـر كـلّ تحرّكاتـك؛ لأنَّ موضـوع اغتيالك بات واقعياً وليس مجرّد احتمال».

الـذي أثـار اسـتغرابي طـول هـذا الحـديث، هـو أنَّ الحـاجّ قاسم بقي صامتاً وكأنَّه لم يكن الحديث معه.

وصلنا إلى موقع السكن وكان عبارة عن دار فيلا، تناولنا وجبة العشاء ثمّ أخذونا إلى الطابق الثاني الذي يحتوي على غرف للنوم، قال لي الحاجّ قاسم:« أنت نَم في هذه الغرفة» وفعلاً توجّهت حسب ما طلب مني، عندما دخلت للغرفة شعرت بأنَّها غير اعتيادية؛ حيث كانت غرفة مصفّحة ضد الرصاص، حتّى زجاجها كأنّه مصفّح، نمت وفي الصباح وجدت في صالون الفيلا فراش على قنفات الصالة، فسألت بور جعفري عن صاحب الفراش فقال لي: «هذا فراش الحاجّ قاسم أعطاك غرفته الخاصة ونام هو هنا»، شعرت بالخجل وأنا أستمع لكلام بور جعفري.

أعطاني غرفته الخاصة في ذات الليلة التي أخبروه فيها بأنَّ أمر اغتياله أصبح واقعياً، وبوضعه الأمني هذا ينام في الصالون ويعطيني غرفته، فهكذا حالة من الخُلُق الرفيع والإيثار لم تصادفني على الإطلاق؛ فأنا تعاملت

مع الكثير من الناس من جنسيات وبلدان عدّة فلم أرَ إطلاقاً كالحاج قاسم؛ لذلك ما زلت أعيش في صدمة ولم أصدق لحد الآن أننا فقدناه.

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

الحديث عن الحاجّ قاسم سليماني طويل، لكن سأحاول الاختصار، وأتحدّث عن بعض خصاله الطيّبة.

بحكم عملنا القريب من الحاجّ سليماني، عرفنا عنه الكثير ومن أهم ما عرفنا هو أنَّ الحاجّ قاسم كان إسلامياً مدافعاً عن المسلمين، كان يدافع عن الدين الإسلامي، وهذا ما تعلَّمه من نهج الإمام الراحل روح الله الخميني؛ لذلك أغلب شعوب المنطقة وأتحدّث عن الشعوب المستضعفة، كانوا محبّين للحاجّ قاسم سليماني، حيث سيطر على قلوب الناس في البلدان التي تواجد فيها للدفاع عنها، مثل لبنان، سوريا، فلسطين، العراق، اليمن، وحتى في دول شمال أفريقيا، كذلك لم يقف بالدفاع عن المسلمين فقط، كما لم يكن دفاعه عن الشيعة فقط.

حين ذهب الحاجّ قاسم للدفاع عن سوريا، كان يعرف أنَّ النظام الحاكم هو نظام بعثي، وكان مطّلعاً على أحداث العراق نتيجة التدخل السوري، لكنَّه كان يعمل بالواجب الشرعي، وهذا الواجب حتَّم على الحاجّ قاسم الدفاع عن الإسلام والدول الإسلامية.

من أهم وصايا الحاجّ قاسم سليماني لنا هو أن نتوحّد جميعاً، وقالها في عدّة اجتماعات: «اجتمعوا جميعاً وشكّلوا قوةً للدفاع عن العراق، وتكون عقيدة هذه القوّة هي حبّ العراق، لا تعني هذه القوّة حمل السلاح فقط، فأيّ شخص عنده حسٌّ وطنيٌّ وحبٌّ لوطنه فليكن معكم، سياسي، جهادي، إعلامي، فنَّان، إسلامي، علماني، ليس مهمّاً ماذا يكون المهم أن يكون وطنيّاً».

كنت أشعر بالاطمئنان في ظلّ وجود الحاجّ سليماني معنا خلال العمليات العسكرية.

أحياناً يتطلّب الأمر بأن يذهب الحاجّ سليماني إلى سوريا، لكن طول المدّة التي يغيب فيها عن العراق، كنا

نشعر بالفراغ، علماً بأنَّ الحاجّ المهندس كان له دورٌ كبيرٌ جداً، لكن حتّى الحاجّ المهندس في حضور الحاجّ قاسم كان يقول: «أنا جندي لدى الحاجّ قاسم سليماني».

عندما كان الحاجّ قاسم يجتمع بنا ويتحدّث عن العمليات القادمة، نشعر كأنّه كان يدرس المناطق المراد تحريرها قبل أن نجتمع به ونتحدّث عنها، وعندما نشرع بالعمليات العسكرية كانت تتمّ بأحسن وجه، ويزفّ النصر للشعب العراقي.

وفي الوقت الذي يخرج فيه السياسيّون للحديث عن العمليات العسكرية وكيف تمّت وما حقّقت من نصر، كان الحاجّ قاسم سليماني يجلس في خيمة أو بيت مهجور، ويخطّط للعمليات التي تليها.

كان البعض يقول: لماذا نحرّر هذ المدن وأهلها قد ساندوا داعش؟! فكان الحاجّ قاسم سليماني يردّ عليهم بقوله: «نحن هنا لتحرير هؤلاء الناس من هذا العدوان

المجـرم، لا يهمنـا مَـن يكونـوا، نحـن لا ثـأرَ لنـا معهـم، بـل علـيكم أن توصـلوا رسـالةً لهـم بـأنَّكم هنـا للـدفاع عـنهم وللحفـاظ علـى ممتلكـاتهم، اجعلـوا هـؤلاء النـاس يشـعرون فعلاً أنَّكم تدافعون عنهم».

أنـا علـى يقـين بـأنَّ الحـاجّ قاسـم سـليماني كـان وليّـاً مـن أوليـاء الله فـي الأرض، كـان يقـرأ الأحـداث ومجريـات المنطقـة قبـل حـدوثها، كنّـا نشـعر بالراحـة النفسـية والنصـر عند وجوده معنا.

فـي عمليـات النبّـل والزهـراء فـي حلـب السـوريّة، سـأل الحـاجّ قاسـم سـليماني الأخـوة القـادة الميـدانيين قـائلاً لهـم: «كـم تسـتغرق هـذه العمليـات مـن الوقـت؟» الجميـع قـالوا: كأحـد أدنـى سـبع أيـام، ابتسـم الحـاجّ قاسـم وقـال لهـم:« لا تحتـاج سـوى أربعـة أيـام فقـط، ويتحقّـق النصـر إن شـاء الله تعالى».

فعـلاً شـرعت العمليـات وتقـدّمت المحـاور، وخـلال أربعـة أيام فقط تمَّ تحرير النُّبُل والزهراء بشكلٍ كاملٍ.

من السمات الجميلة التي يتمتّع بها هذا القائد العظيم هو التواضع وحب الناس، كان يحب الجميع لا يميّز بين طائفة وأخرى ولا دينٍ وأخر.

أتذكر في يوم ما رافقني الحاجّ سليماني حينها كنت أستقلُّ عجلةً مدرّعة مضلّل زجاجها باللون الأسود، ولمّا استقلَّ الحاجّ قاسم العجلة معي قام بإزالة التظليل بيده، وقال لي:« لماذا تظلّلون عجلاتكم؟ كيف ترون الناس وكيف يرونكم؟» حينها بقيت صامتاً وشعرت بالخجل.

الحاجّ عبد الحسين عبطان:

كان الحاجّ قاسم سليماني يتميّز بالقيادة الحكيمة والسرعة بالأداء وأخذ القرار، وكان استثنائياً بمعنى

الكلمة، وكانت لديه القدرة على إدارة الرجال وبثّ الروح المعنوية فيهم.

كان ذكيّاً إلى حدٍّ ملفت للانتباه، وعندما يجتمع مع الأخوة المجاهدين الشباب يبقى لساعات طويلة يستمع إلى آرائهم، ثمّ يناقش رأي كلّ واحد فيهم مع الجميع، وهنا عندما يصمت الجميع، يطرح الحاجّ قاسم سليماني رأيه بكلّ احترام، فيقتنع جميع المجتمعين برأيه، ثمّ يغادر الاجتماع والجميع يخرجون مسرورين بما سمعوا.

كان لديه القدرة العجيبة على إدارة الاجتماعات العسكرية، وكان حافظاً للخرائط قبل أن يطَّلع عليها.

من قواعد أركان الكليّة العسكرية هو أن يندفع القائد إلى أقصى الأمام، والحاجّ قاسم سليماني كان دائماً في الخطوط الأمامية، في بعض العمليات العسكرية كنت أحاول أن أسحب الحاجّ قاسم من خطوط الصدّ الأولى، فكان يردّ عليّ:« هذا ليس شأنّك، أنت انشغل

بعملك»، وفعلاً أنا عملي لوجستي، لكنّي كنت أخشى من أن يحدث له أيّ مكروه.

كان شبابنا المجاهدون بخبرة قتالية متواضعة في قبال عدوٍّ شرسٍ مدرَّبٍ على أن يقاتل حتّى يموت، وأغلبهم مقاتلون في سوريا؛ لذلك وجود الحاجّ قاسم سليماني والحاج المهندس في الخطوط الأولى مع المقاتلين هو ما جعلهم ينتصرون على العدو بمعنوياتهم، فالحاجّ قاسم كان يدرس طبيعة المعارك وحياة الجنود وكأنّه في مختبر تحليلي، ثمّ يخرج بخطّة عسكرية صحيحة تُحقّق النصر بأقل الخسائر.

كان متّكلاً على الله في كلّ شيء، كان مؤمناً يخشى الله حتّى يرتجف وهو يقف على سجادة صلاته.

يقول الحاجّ قاسم سليماني:« عندما تعصي عليَّ بعض الأمور أُقيم مجلساً للسيّدة فاطمة الزهراء ، وما إن ينتهي مجلسها حتى ينتهي كلّ شيء».

الحاجّ قاسم سليماني كان موفَّقاً في الدنيا وختمها بالشهادة، فكان ذو حظٍّ عظيم حقّاً؛ لأنَّه يعمل ويتحرّك في سبيل الله تعالى، وهمّه نصرة الشعوب المستضعفة.

عندما تمَّ تكليفي بمنصب وزير الرياضة في حكومة حيدر العبادي، أوصاني الحاجّان قاسم وجمال، أن أبقى قريباً من الحشد الشعبي، وأكون معهم في السرّاء والضراء، وأنا مؤمن بهذه الوصيّة وسأبقى أعمل بها حتّى الموت.

❁ ❁ ❁

رفيق سليماني:

المؤلّف:

ما إن نجتمع في مكانٍ ما مع الحاجّ أبي زينب اللامي إلاّ ويبدأ بالحديث عن الحاجّ قاسم، وما من موقف يمرّ بنا أوقصة تعرضنا إلاّ ويستذكر فيها رفيقه الذي كان لا يفارقه طيلة تواجده في العراق.

أخبرت اللامي بأني أريد الكتابة عن الحاجّ قاسم وقلت له: أنت أكثر شخص كان قريباً من الحاجّ قاسم في العراق، وأعرف بأنَّ مسؤوليات عملك كبيرة جداً ووقتك ضيّق للغاية، لكن أنا لا أريد أكثر من ساعة فقط، فقال: وهل تظنّ أنَّ الساعة كافية للحديث عن الحاجّ قاسم؟! قلت له: لا والله لكن حتّى آخذ منك موعداً قريباً وعندما تجلس أمامي و تبدأ بالحديث عن الحاجّ قاسم أعرف سيطول حديثك.

حدَّد اللامي أحد أيام الأسبوع موعداً للّقاء في الساعة ٩:٠٠ مساءًا، فعلاً ذهبت برفقة العقابي إلى دار اللامي.

بدأ الحاجّ أبو زينب اللامي بالحديث عن الحاجّ قاسم وكان حديثه مختصراً على بعض المواقف التي نستطيع كتابتها لعامّة الناس، لم أشعر بالوقت وأنا أستمع له، حتّى رُفع أذان صلاة الفجر في الساعة ٤:٣٠ صباحاً.

أبو زينب اللامي:

منذ شهادة الحبيب الحاجّ قاسم سليماني حتّى هذه اللحظة، لم أتحدّث بحديث رسمي أمام الإعلام

والصحافة وما شابه ذلك، لكنَّ إصرار الحاجّ مهنّد العقابي عليَّ حال دون ذلك، أنا شخصياً أشعر بالتعب الروحي والحزن عندما أتحدّث عن الحاجّ قاسم؛ لأنَّ فراقه جرحٌ لا يبرأ.

بدأت علاقتي بالحاجّ قاسم سليماني منذ عام ٢٠٠٤م في أيام مقاومة الاحتلال الأمريكي، وأصبحت هذه العلاقة تزدهر شيئاً فشيئاً.

عام ٢٠٠٦م تمَّ اعتقالي من قبل قوات الاحتلال الأمريكي، كنت حينها أشغل منصب أمني في الحكومة العراقية، شعر الحاجّ قاسم بالحزن على اعتقالي وكان يقول: تمَّ اعتقال أبو زينب بسببي.

بقيت في المعتقل حتّى عام ٢٠١٠م أربع سنوات أنا أُنقل بين كمبّات (قسم في السجن) سجون الاحتلال الأمريكي.

أصبحت علاقتي بالحاجّ قاسم أكبر وأكثر من علاقة عمل ومحور مقاومة، صار يرعاني رسمياً ويهتمّ بوضعي شخصياً.

قبل سقوط الموصل عام ٢٠١٤م بأشهر قليلة لم ألتقِ بعد بالحاجّ قاسم، انشغلت بوضع عائلتي؛ لكوني بعيداً عنهم كثيراً بسبب اعتقالي وعملي.

ويوم سقوط الموصل ٦/١٠/ ٢٠١٤م سمعت بأنَّ الحاجّ قاسم قدِم إلى العراق وعازمٌ على الحرب، لكن لم ألتقِ به بعد.

وبعد أيام من سقوط الموصل اتصل بي الحاجّ المهندس وطلب مني أن أحظر الاجتماع الأمني الذي سيعقد تلك الليلة، فلم أستجب له لسببٍ هو يعرفه، مرّت عدّة أيام فأعاد الاتصال بي وطلب لقائي مرةً أخرى، فلم أستطع ردَّه هذه المرّة، التقيت به وذكرت له سبب عدم التحاقي بهم، بقيت معه حتّى ساعة متأخرة من الليل حيث كان مشغولاً في بعض الاجتماعات الأمنية ولمّا انتهى الاجتماع أدخلني إلى غرفة الاجتماعات الخاصة، فشاهدت لوحةً كبيرةً رُسم عليها هيكلية الحشد الشعبي والمديريات قبل تأسيس الحشد، أعطاني القلم وقال لي: هذه خارطة العراق أمامك، وهذه هيكلية الحشد الشعبي اختار المكان الذي تريده، قلت له: أنا

غير مستعد لأيّ عمل بعد! مضت خمسة أيام اتصل بي وطلبني مجدّداً، فقلت له: حجّي أنا ما زال عندي ذات التحفظات ولا أستطيع العمل، أصرَّ عليَّ فذهبت له، وبقيت هناك كان حينها يجلس في اجتماع وعندما انتهى من الاجتماع قال لي: ألا تصعد إلى الطابق الثاني؟ قلت له: لا، فأخذني بيده إلى غرفته الخاصة، فتح الباب وهنا رأيت الحاجّ قاسم يقرأ القرآن، لم ينتبه لي بعد، لكن ما إن شاهدني حتى قام وضمَّني إلى صدره، قبَّلني على جبيني وسألني: «أين أنت؟!»، قلت له: أنت لا تسأل عني، فقال لي: «أنا رجلٌ كبير السن ومشغول كثيراً، لماذا لم تسأل عني أنت؟!».

ثمّ قال: «سمعت بأنَّك تريد ترك الجهاد فإلى أين أنت ذاهب؟!»، قلت له: نحن نشأنا وكبرنا مع الجهاد فكيف نستطيع تركه؟! لا نترك الجهاد حتّى ندرك الشهادة.

بقي يتحدّث عني بحديث جميل جداً أمام الحاجّ المهندس، ثمّ طلب بقائي مع الحاجّ المهندس والعمل معه، فقلت له: أنا عندي تحفظات ولا أستطيع أن أعمل بأي شيء، قال لي:

أترك التحفظات لك وتعال معي الآن، ومن هنا بدأ عملي مجدداً مع الحاجّ قاسم.
بعد عمليات فكّ الحصار عن سامراء، قرَّر الحاجّ المهندس تشكيل مديرية أمن وانضباط، قال بعض الأخوة: لا نحتاج إلى مديرية أمن في هذه الوقت، فقال لهم الحاجّ المهندس: هذا أكثر وقت نحتاج فيه إلى مديرية الأمن.

طلب الحاجّ المهندس مني تأسيس الأمن، فردَّ أحدّ الأخوة عليه قائلاً: لماذا لا نكلّف فلاناً بدلاً عن الحاجّ أبي زينب؟ فردَّ الحاجّ المهندس، أنا أعرف شخصياً كلّ شخص بأي مهمَّة سينجح ومهمّة أمن وانضباط الحشد الشعبي ستنجح بيد الحاجّ أبي زينب.
شكَّلت أمن الحشد بأقل الإمكانيات حتّى أصبحت الآن من أقوى مديريات الأمن على مستوى العراق بأكمله.

أصبح أمن الحاجّ قاسم من مهامّ عملي فأصبحت مرافقاً له في كلّ مكان، ستّ سنوات أنا برفقة الحاجّ قاسم في العراق حتّى

أصبحت كظلّه أكون معه حيث كان، فرأيت فيه ما لم أره في أحد، كان جنرالاً عسكرياً بكلّ ما تعني الكلمة، رجلٌ لم يكن له مثيلاً ولا أعتقد سيكون بقدر تلك الشجاعة التي كان يحملها، كان متواضعاً متديناً مجاهداً يخشى الله في كلّ شيء.

ذات يوم كنت برفقة الحاجّ قاسم وهو يتفقّد القطعات العسكرية المنتشرة في محافظة ديالى، حينها كان الطقس بارداً جداً وممطراً وبينما نحن نتفقّد القطعات المنتشرة شاهدَ الحاجّ قاسم أحد المجاهدين في الواجب تحت المطر ولا يرتدي شيئاً غير البدلة العسكرية التي لا تقيه أمام هذا البرد، فنزع الحاجّ قاسم الجاكيت (القمصلة) التي يرتديها وقال لي: أعطها لذلك المجاهد، فأخذتها وذهبت بها إليه، فرفض المجاهد أخذها وقال لي: أنا لا أرتدي ثياب أحد، قلت له: هذا جاكيت الحاجّ قاسم وهو هناك داخل العجلة يسلّم عليك، فأخذها مني بسرعة، فخرج رفاقه من النقطة، فصاروا يتشاجرون عليها حبّاً بالحاجّ قاسم، كلّ واحد فيهم يقول: هي لي، ثمّ اجتمعوا جميعاً حول الحاجّ قاسم وسلّموا عليه وقبَّلهم

واحداً تلو الأخر. يوماً بعد يوم أصبحتُ أتيقّن تماماً بأنَّ هذا القائد من أولياء الله تعالى.

أنا على يقين بأنَّ في كلّ يوم من عمر الحاجّ قاسم هناك موقف إنساني وجهادي وعبادي، وأعتقد تماماً بأنَّ حياة هذا القائد العظيم العابد ليست كسائر الناس.

حين أكون برفقة الحاجّ قاسم يطلب مني أنا شخصياً قيادة العجلة، أقول له: لماذا يا حاجّ أنا؟! وكلّ الأخوة الذين معي هم يتقنون قيادة العجلة وأبطال؟ قال لي: «أعرف ذلك، لكنّي أخجل من أن يكون معي سائق، وفي كلّ دقيقة وأخرى أطلب منه أن يتوقّف ويتحرّك، أمّا أنت فأخي وأنا لا أخجل منك إذا طلبت منك شيئاً ما».

كنت أقول له: حجّي أنت هنا قائد ونحن جنود تحت أمرك، وأنت تأمرنا لا تطلب منا، فكان يقول لي: «لا يا عزيزي أنا هنا في مهمّة عسكرية وهي خدمتكم لا خدمتي».

أحياناً أكون مشغولاً فأكلّف بعض الأخوة الثقات مرافقة الحاجّ قاسم حتّى أعود، فكان الحاجّ المهندس

يـرفض ذلـك الأمـر، قلـت لـه: لمـاذا حجّـي تـرفض؟ قـال لـي: أبـو زينـب، حجّـي قاسـم أمانـة عنـدي مـن السـيّد الخـامنئي، عنـدما تكـون أنـت معـه موجـود لا توجـد مشكلة، لكـن إذا لـم تكـن أنـت موجـوداً فـلا بـدَّ أن أكـون أنـا موجـوداً برفقتـه حتّـى إذا صـار خطـر علـى الحـاجّ قاسـم لا سمح الله أكون أنا معه.

كـان الحـاجّ المهنـدس يخشـى علـى الحـاجّ قاسـم مـن كـلّ شـيء، عنـدما لـم أكـن موجـوداً، يتّصـل بـي الحـاجّ المهنـدس ويقـول: صـاحبك هنـا وأنـا متعـب وأريـد أن أنـام ولا أسـتطيع النـوم والحـاج قاسـم داخـل الـدار، فتعـال أنـت حتّى أنا أنام.

علمـاً أن أغلـب هـذه الإجـراءات الأمنيـة هـي بغيـر علـم الحـاجّ قاسـم، فكـان يـرفض رفضـاً قاطعـاً أيّ أجـراءٍ أمنـيٍ حولـه، بعـض المـرّات يحـدّد موعـداً مـع شـخص قبـل معرفتـي بـالأمر، فكنـت أقـول لـه: حجّـي هـذا الأمـر لـيس صـحيحاً، يجـب أن أكـون أنـا مطّلعـاً علـى الموعـد قبـل

تحديده حتّى أعرف الزمان والمكان المناسبين، فكان يرد عليَّ مبتسماً: «أبو زينب أنا أعرف وين راح تقتلني أمريكا، فكن مطمئناً»[١].

لدينا هاتف خاص للعمل الأمني، فكنت أتلقَّى الاتصال من الحاجّ قاسم شخصياً، قبل وصوله للعراق ب ٢٤ ساعة.

كان الحاجّ قاسم على اطّلاع تام بأمن المنطقة؛ لذلك هو مَن يحدّد موعد مجيئه للعراق، وأمّا نحن فنتكفّل بأمنه الداخلي فقط.

إذا لم يكن الحاجّ قاسم في العراق، يكون على اتصال معي كلّ يوم عند الساعة ٦:٠٠ صباحاً، يسألني عن أوضاع العراق الأمنية والعسكرية، وبعض المرّات يكلّفني بإيصال رسائل شفهية إلى بعض الأخوة، ومنهم الحاجّ المهندس.

---

(١) أقول: عندما ذكر لي الحاجّ اللامي هذه القصة، كانت السيجارة بيده، وعندما ذكر ما قاله له الحاجّ قاسم حول شهادته وأين يُقتل سقطت السيجارة من يده وبكى.

كنا على إطلاع تام بأنَّ الأمريكان يراقبون الحاجّ قاسم في العراق؛ لذلك كنا نعمل بسرية تامَّة، ولا أحد هنا يعرف بقدوم الحاجّ قاسم وتحرّكاته الداخلية، سواي والحاج المهندس فقط، علماً إنَّ أغلب زيارات الحاجّ قاسم للعراق تكون برّاً وهي آمن بكثير من المطارات، وإذا أراد الحاجّ قاسم القدوم عبر مطار بغداد الدولي، نبلّغ رئيس الوزراء فقط، ويكون التبليغ قبل ساعة من وصول الحاجّ قاسم، وفي داخل المطار يتم الإبلاغ على أنَّ القادم ضيف خاص غير معروف، أمّا أنا فكنت أتجنّب الظهور أمام كاميرات المطار وحتى الموظّفين؛ خوفاً على الحاجّ قاسم، فما أن يشاهدوني داخل المطار سيعرفون أنَّ الضيف القادم هو الحاجّ قاسم.

المؤلّف:

الشيء بالشيء يذكر، عام ٢٠١٦م كنت أزور في حرم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وكان برفقتي خالي سماحة الشيخ

الدكتور كاظم البهادلي، وأخي الكبير فؤاد البهادلي، ونحن داخل الحرم شاهدت أحد الأخوة من مرافقي اللامي يزور أمامي، فأخبرت خالي: ما زال هذا الشخص هنا، يعني صديقك اللامي موجود بالحرم أيضاً، فخالي صديق الحاجّ أبو زينب اللامي منذ عام ١٩٩٤م عندما كانوا معاً في سجون الطاغية صدام، حينها كانوا من المعارضين للطاغوت، وفعلاً ونحن نسير في رواق الحرم الخارجي شاهدنا الحاجّ اللامي متوقّفاً جانباً، فقلت لخالي وأخي: ابحثوا ستشاهدون الحاجّ قاسم، أخذ اللامي خالي بالأحضان، وبينما نحن نسلّم عليه، سألته: أين الحاجّ؟ قال: ذاك الذي يصلّي جماعة، ولمّا أنهى صلاته، ذهبنا جميعاً للحاجّ قاسم وسلَّمنا عليه، حينها عرَّف اللامي خالي إلى الحاجّ قاسم وقال له: هذا كان معي في المعتقل من أصدقائي المجاهدين، فأخذ الحاجّ قاسم خالي في أحضانه مرةً أخرى وقبَّله، حينها تقدّم خالي بالشكر للحاجّ قاسم إزاء الخدمة التي قدَّمها للعراق ووقوفه معنا ثمّ قبَّله من جبينه.

الحاجّ أبو زينب اللامي:

مع كلّ الإجراءات الأمنية التي أتخذُها بقدوم الحاجّ قاسم، كنت أُبقي رتلاً متكاملاً وهمياً؛ خوفاً من المراقبة، كما كنت أوفّر العديد من العجلات المدنية مع أفراد، تكون مهمّتهم سرّية من غير علم أيّ شخص سوى الحاجّ المهندس، حتّى الحاجّ قاسم لا يعرف بأغلب هذه التفاصيل.

عندما أكون أنا على سفر خارج العراق، وأعرف بأنَّ غداً قدوم الحاجّ قاسم أقطع سفري وأعود من أجله؛ لأنّي أعرف إن بقي الأمر إلى الحاجّ قاسم فسوف ينتقل بعجلة تكسي ولا يأخذ أيّ احتياط أمني، وإذا تعذَّر عليَّ الحضور أُبلّغ الحاجّ المهندس بأنَّ الحاجّ قاسم قادم إلى بغداد، فيتّخذ الحاجّ المهندس كلّ هذه الإجراءات وربما أكثر؛ حرصاً منه على الحاجّ قاسم.

كان الحاجّ المهندس يتحرّك بعجلات الأجرة ولا يهتم بوضعه الأمني إطلاقاً، لكنّه حرصاً وخوفاً على الحاجّ قاسم كان يبذل كلّ شيء، وكثيراً ما يقول لنا: الحاجّ قاسم أمانة.

كـــان الحـــاجّ المهنـــدس يـــرفض إدخـــال عناصـــر مســـلّحين داخـــل داره، وكـــان يقـــول لنـــا: لا داعـــي لهـــذا الشـــيء، لكـــن عنـــدما يكـــون الحـــاجّ قاســـم موجـــوداً، الحـــاجّ المهنـــدس يطلـــب منـــي ادخـــال عناصر مسلّحين إلى داخل الدار.

في الأيام الأخيرة من حياة الحاجّ قاسم صرت أشعر بأنَّه يبحث عن الشهادة، كان يريد الشهادة ويبذل جهده من أجلها، أصبح لا يراعي وضعه الأمني ولم يتقبّل منا أيّ أجراء أمني، فقلت له: يا حاجّ أصبحنا نشعر بالتعب معك بسبب وضعك الأمني أنت لا تراعي أيّ وضع، وهذا ليس صحيحاً؛ أنت أمانه، فكان يبتسم، ثمّ قال لي: «أنا أثق بك كثيراً وعندما تقول لي كلاماً أعتمده وأثق فيه، فأطلب منك عدم إخبار أيّ مسؤول إيراني أو من حزب الله اللبناني بعدم اهتمامي بوضعي الأمني».

عرفتُ حينئذٍ بأنَّ الحاجّ قاسم فعلاً عازم على الشهادة، ولا يريد أحداً يعرف ذلك، بل حتى السيّد الخامنئي لم يكن

مطّلعاً على أنَّ الحاجّ قاسم لا يسير ضمن الضوابط الأمنية التي تتعلّق بأمنه الشخصي.

فـي أحـد محـاور عمليـات محافظـة ديـالى انتهـت المعركـة وزُفَّ النصـر بقيـادة الحـاجّ قاسـم، ومـا إن انتهـت المعركـة حتـى اتجهنـا إلـى خـط الصـدّ مع العـدو مـن أجـل أن يضع الحـاجّ قاسـم خطـة تثبيـت القـوات فـي المنطقـة، وحـين باشـرنا بالانسـحاب اتجـاه الخلفيـات، اسـتوقَفَنا عـددٌ مـن المجاهـدين وقـالوا لنـا: إنَّ هنـاك قنّاصـاً مـن العـدو مـا زال موجـوداً فـي المنطقـة، وتمكّـن حتّـى الآن مـن إصـابة أكثـر

مـن ١١ مجاهـداً بإصـابات مختلفـة، لـم يكتمـل حـديث المجاهـدين معنـا بعـد، حتـى ترجَّـل الحـاجّ قاسـم فـوراً بيـنهم، حاولـت منعـه لكنّـه رفـض وأصـرَّ علـى أن يكـون بين المجاهـدين، كـان العـدو يبعـد عنـا مـا يقـارب ٢٠٠ متـراً فقـط، ولمّـا ترجَّـل الحـاجّ قاسـم مـن العجلـة تمكـن العـدو مـن أن يطلـق النـار اتجاهـه، وكـان الحـاجّ قاسـم لا يبـالي بـذلك الرصـاص وقربـه منـه، كأنّـه لـم يكـن ذلـك الرصـاص اتجاهــه، بقــي متوقّفــاً فــي منطقــة مفتوحــة ويوجــه بالمجاهــدين لمعالجــة الموقــف، حينهــا كــان الرصــاص يقـع بـين أقـدام الحـاجّ قاسـم، فكنـت أهـرول اتجـاه الحـاجّ قاسـم و أقـول لـه: يـا حـاجّ اجلـس علـى الأرض و هـو يـرد علـيّ: أبـو زينـب أبـقَ فـي مكانـك سيصـيبك القنّـاص، ولمّـا وصـلت لـه وقفـت أمامـه وكنـت علـى يقـين بـأنَّ القنّـاص سيصـيب أحـدنا لا محـال، طلبـت منـه مغـادرة المكـان لكنّـه رفـض، ولمّـا رفـض احتضـنته بـين يـدَيَّ وهرولـت مسـرعاً اتجـاه العجلـة، وبينمـا نحـن نتّجـه بـه اتجـاه العجلـة وقـع

الشخص الثالث الذي يرافقنا، فقال لي الحاجّ قاسم: وقع فلان، قلت له: نعم، لكن إذا عدنا له سيصيبنا القنّاص لا محال، أبقَ انت داخل العجلة وانا سأذهب له، لم يقبل بحديثي ودفعني بكلّ قوة وهو يقول: «ليس نحن الذين يتركون إخوانهم مصابين في أرض المعركة»، سحبنا رفيقنا وتبيَّن أنَّه لم يصب بإطلاق ناري، وسبب سقوطه هو التواء قدمه في التراب ما أدّى إلى إعاقة تحرّكه.

قسماً بالله كنا على مشارف الموت ولا أعرف كيف لم يصبنا القنّاص، هنا شعرت بأنَّ القلوب بلغت الحناجر والله ليس خوفاً من الموت، بقدر خوفي على فقدان الحاجّ قاسم. حين وصلنا إلى العجلة قلت له: يا حاجّ لماذا وضعتنا في هذا الموقف، أنت أمانة عندي، كيف تترجّل من العجلة قبلي؟! فرد عليَّ قائلاً: «أنا الذي أعتب عليك، كيف تسحبني من أرض المعركة وتحرمني من الشهادة في سبيل الله، بسببك أنا تأخرت عن الشهادة؟!».

كـان الحـاجّ قاسـم مصـرّاً علـى الشـهادة وعمـل علـى أن ينالها بكلّ إخلاص.

فـي عمليـة تحريـر جسـر (الزركـة) الـرابط بـين محـافظتي كركـوك وصـلاح الـدين، كـان القنّـاص يطلـق بصـورة مباشـرة اتجـاه الحـاجّ قاسـم، طلبـت منـه مغـادرة المنطقـة لكنّـه رفـض وأنـا لا خيـار أمـامي سـوى أن أقـف أمامـه وأحميـه بجسـدي، ومـع كـلّ إطلاقـة أشـعر بـالموت، فكنـت أتحـدّث مـع نفسـي وأقـول: إلهـي أنـا أشـعر بـأنَّ مـوتي قريـب، لكـن لـديَّ طلبـان، الأوّل: أن تحسـب شـهادتي هـذه فـي سـبيلك، لا فـي سـبيل الحـاجّ قاسـم، أنـا واجبـي حمايتـه لـذلك مضـطر أن أقـف أمامـه، والطلـب الثـاني: هـو خلَّفتـك علـى عيـالي، الحمـد لله انتهـت المعركـة ولم نصب بشيء.

بعـد مـرور مـدّةٍ مـن الـزمن، اجتمعنـا مـع الحـاجّ قاسـم بحضـور عـدد مـن إخواننـا المجاهـدين، وبينمـا نحـن نتحـدّث عـن العمليـات والمنطقـة، سـأل أحـد الأخـوة

الحاجّ قاسم ممازحاً وقال له: يا حاجّ لماذا أنت تميّز الحاجّ أبا زينب اللامي عنا ونحن جميعاً رفاقك؟! ابتسم الحاجّ قاسم له وقال: «إنَّ أغلب الأخوة حين أُعتقلوا أيام الاحتلال الأمريكي أُعتقلوا من أجل المقاومة الإسلامية، والوحيد الذي أُعتقل بسببي هو الحاجّ أبو زينب، وحين خرج من المعتقل لم يقل حتّى هذه اللحظة أنا تم اعتقالي من أجلك، وأنا مطّلعٌ على معاناة أهله وعائلته خلال الأربع سنوات التي قضاها في سجون الاحتلال، فهو يطلبني أربع سنوات من عمره، وفي كثير من المواقف يدفع بنفسه أمامي ويجعل روحه بيني وبين الموت».

في بعض الواجبات العسكرية كنت أخشى على الحاجّ قاسم من الاستهداف، فأحاول منعه من التقدّم، فكان يدفعني من صدري حتّى يزيحني من أمامه، فكنت أقول له: يا حاجّ حرام عليك أن تتقدّم فهناك خطر حتمي عليك، شعرت بأنَّه غضب من كلمة خطر عليك،

فردَّ عليّ: «أنا زعيم الحرب فكيف تقول لي خطر أمامك؟!».

دفعني بقوّة وتقدّم مع المقاتلين، وبعد ثلاث أيام أراد مغادرة العراق، فذهبنا معه أنا والحاج المهندس وحين وصلنا إلى مطار بغداد طلب من الحاجّ المهندس أن يتركنا بمفردنا ولمّا ترجّل الحاجّ المهندس أخذ الحاجّ قاسم يدي وقبّلها، قلت له: ماذا فعلت يا حاجّ؟! قال: «عزيزي أبو زينب أبرئني الذمّة؛ أنا لست خلوقاً معك»، قلت له: يا حاجّ أنت أخي الكبير وواجبي هو حمايتك، وأخاف عليك، وفي نفس الوقت لا أنزعج منك مهما حدث.

لا يختلف اثنان في حكمة وقدرة الحاجّ قاسم في إدارة المعركة، لكن كان عندما يتأخّر الوقت بحسم المعركة، يقول لي: «أبو زينب اتصل بالأخوة في بغداد، فليذبحوا لوجه الله تعالى ذبيحةً؛ حتّى تنتهي المعركة»، أتّصل أمامه وأطلب منهم أن يذبحوا عشرة من الخراف لوجه الله تعالى، ينظر إليَّ غاضباً ويقول: «لا تكن بخيلاً، لماذا عشرة؟ قل لهم: اذبحوا خمساً وعشرين خروفاً،

ووزّعوها على الفقراء؛ حتّى يدعوا لنا وينصرنا الله تعالى».

في إحدى العمليات العسكرية، تأخّر حسم المعركة بسبب عواصف التراب، فكان الحاجّ قاسم قلقاً جداً، فقلت له: حجّي إن شاء الله سننتصر، فقال لي:« لا؛ أشعر بأنَّ هناك ذنباً قد أذنبتُه وعاقبني الله تعالى بتأخّر النصر».

فقلت له: إن شاء الله حجّي لا يوجد أيّ ذنب وساعات وننتصر، فقال لي: «لا؛ أطلب منك أن تنذر نذراً بإقامة مجلس عزاء للسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ حتّى ينصرنا الله عزَّ وجلَّ، فأنا على يقين بأنَّ السيّدة الزهراء لا يُرَد لها طلب عند الله تعالى».

كنت أرى في الحاج قاسم عالماً دينياً يرتدي الزي العسكري وحافظاً للعلوم العسكرية مع العلوم الإسلامية.

كان يقول لي: «أنا مقصّر في صلاتي وأعمالي، فالعمل شغلني كثيراً عن ذكر الله تعالى».

فكنت أبتسم وأنا أتحدّث مع نفسي وأقول: إذا كان الحاجّ قاسم مقصّراً في عباداته فماذا نقول نحن؟!

ستّ سنوات معه ولم أره يسجد ولم يبكِ في سجوده، ستّ سنوات لم أره ترك صلاة الليل لمرّةٍ واحدةٍ.

لم أتذكر، وأنا على يقين، لم يحصل في يومٍ ما أخَّر صلاته عن وقتها.

كان قليل النوم جداً وبعض المرات ينام قبل صلاة الفجر بساعة أو أقل، لكن ما إن يُرفع أذان الفجر إلاّ استيقظ وقام لصلاته، وأي صلاة يصلّي؟ كان يعقّب بعد كلّ صلاة يقرأ الدعاء، ثمّ يقرأ القرآن.

عندما كان يسجد الحاجّ قاسم في صلاته يختم سجدته بقول: «يا حبيب يا عزيز».

وفي قنوته كان يقول: «اللَّهُمَّ صَلّ على محمّد وآل محمّد ولا تفرّق بيني وبين آل محمّد طرفة عين أبداً في الدنيا والآخرة»، ومع كلّ هذه العبادة وهو يقول: «أنا مقصّرٌ في صلاتي».

كان الحاجّ قاسم من الزاهدين في الدنيا، وكان متواضعاً أكثر من أن يتصوّره أحد، فمساحة بيت هذا القائد العظيم ١٤٠ متراً فقط، ويبلغ راتبه الشهري ١٢٠٠ دولار أمريكي.

يُعَد منصب الحاجّ قاسم في الجمهورية الإسلامية من حيث القوة والقرار بعد سماحة السيّد القائد علي الخامنئي، لكن في الواقع ابنه حسين وهو البِكر يعمل خيَّاط، وأعتقد بأنَّه عامل في محل الخياطة وليس مالكاً له.

الثياب التي كان يرتديها الحاجّ قاسم قديمة جداً، وبعضها كان شديد القدم؛ لكثرة استخدامها.
من المعروف لدى الكثير منّا أنَّ عادة الشعب الإيراني تجهيز البنت من قِبَل أهلها حين زواجها، فحين اقترب موعد زواج ابنة الحاجّ قاسم والتي هي التسلسل الثاني بعد حسين وتليها زينب ورضا، كان لا يمتلك مالاً لتجهيز ابنته، فاتصل بأحد أصدقائه- وهو السفير الإيراني السابق لدى العراق السيّد حسن دانائي ـ وقال له: «أخي دانائي! كم تمتلك من المال؟ قال له: يا حاجّ خمسين مليون دولار، فردَّ عليه الحاجّ قاسم وهو

يبتسم، دانائي! أنا اسأل عن أموالك الشخصية وليست أموال بيت المال، فإذا عن أموال بيت المال فأنا أمتلك الآن مليار دولار، ابتسم دانائي وقال له: يا حاجّ كلّ ملكيتي عشرة الآف دولار أمريكي، قال له الحاجّ قاسم: هل تقرضني هذا المبلغ؟ أريد تجهيز ابنتي فموعد زواجها اقترب، فقال له دانائي: بالخدمة يا حاجّ».

أخذ الحاجّ قاسم المبلغ من رفيقه، واتفق معه بأن يسدّده من مرتبه الشهري والبالغ ١٢٠٠ دولار كما ذكرته سابقاً.

عندما اقترض الحاجّ قاسم هذا المبلغ من رفيقه، علم به مدير مكتبه ومرافقه لأكثر من ثلاثين عاماً الأخ العزيز الشهيد بور جعفري الذي نال وسام الشهادة برفقة الحاجّ قاسم، أبلغ بور جعفري الحاجّ إسماعيل قاآني معاون الحاجّ قاسم في قيادة فيلق القدس، والذي أصبح الآن قائداً للفيلق بعد شهادة الحاجّ قاسم، فاجتمع قاآني وبور جعفري ومسؤول مالية مكتب الحاجّ قاسم، فاتفقوا بأن

يخرجوا مبلغاً من المال بعنوان هدية إلى الحاجّ قاسم، ويسدّدون فيه المبلغ الذي اقترضه، فأخرجوا المبلغ البالغ عشرة الآف دولار، وسلَّموها إلى رفيق الحاجّ قاسم الذي اقترض منه.

بعد مدّةٍ قصيرةٍ علم الحاجّ قاسم بأنَّ المبلغ الذي اقترضه من رفيقه تمَّ تسديده بهذه الطريقة، فعاقب كلّ من بور جعفري والحاج قاآني، ومدير المالية، وفيما أعتقد أنَّه أعفى الأخير من منصبه.

وفي حادثةٍ مشابهةٍ لهذه أنَّه عاقب بعض أعضاء مكتبه حين تدخّلوا في إطلاق سراح ابنه الصغير رضا مع عجلته من أحد مراكز الشرطة بسبب مخالفه مرورية، وأمر بإعادة ابنه والعجلة إلى الحجز وتطبيق القانون عليه.

أنا عاجزٌ عن أن أتحدّث لكم عن الحاجّ قاسم وكيف كان، فأنا لم أطّلع على كلّ شيء في حياته، ولكن الذي اطّلعت عليه ـ وهو قليلٌ جدّاً ـ أعجز عن الحديث في تفاصيله!

كـان الحـاجّ قاسـم يتحـدّث لـي عـن بدنـه، فيقـول: «إنَّ بـدني هـذا سيشـكوني إلـى الله عـزَّ وجـلَّ، فأنـا لـم أرتـح طيلـة حيـاتي، فمـا ذنـب بـدني معـي؟ حتّـى زوجتـي المسـكينة لـم تعـش كسـائر النسـاء، فكيـف لا يشـكوني بدني إلى الله تعالى؟!».

قال لـي الحـاجّ قاسـم: إنَّـه قبـل الحـرب مـع الطاغيـة صـدام عـام ١٩٨٠م كـان عاقـداً قِرانـه علـى فتـاة مـن قـريتهم فـي مدينـة كرمـان، وحـين بـدأت الحـرب كـان يريـد فسـخ العقـد بينهمـا؛ لأنَّـه كـان عازمـاً علـى الشـهادة، كمـا لا يعلـم متـى سـتنتهي الحـرب، وهـي لا ذنـب لهـا كـي تبقـى تنتظـر زوجـاً لا يريـد الرجـوع إليهـا، لكـن إصـرار والديـه حـال دون ذلك.

في إحدى العمليات العسكرية تعرَّض الحاجّ قاسم للإصابة ونُقِل على أثرها إلى المستشفى وحين خرج طلب من والدته أن يفسخ العقد مع خطيبته فهي لا ذنب لها حتى تنتظر، رفضت والدته مرةً أخرى، فطلب من والدته طلباً تعجيزياً

لبقاء هذه الفتاة معه، حيث طلب من والدته، أن تخبر الفتاة بأنَّ زواجه منها سيكون غداً بلا أيّ حفل زفاف ولا أيّ أثاث، وبعد زواجهم بيومٍ واحد يلتحق إلى الجبهة، فإذا وافقت بهذا الشرط يتقبّلها زوجةً له، وإذا لم تقبل بشرطه سيفسخ العقد معها!

يقول الحاجّ قاسم: « عندما وضعت هذا الشرط كنت على يقين بأنَّها لا توافق على شرطي هذا، وحينئذٍ سأكسب رضا والدتي وأفسخ العقد وهي راضية.

ذهَبَتْ والدتي إلى أهل الفتاة وحين عادت قالت لي: إنَّ الفتاة لا مانع لديها من الزواج بالشرط الذي قدَّمته، وفعلاً تزوجت بلا أيّ مراسيم للزواج ولا أثاث، وفي اليوم الثاني من زواجي التحقت إلى الجبهة، ولم أعد إلاّ بعد ستّة أشهر من زواجي».

كان الحاجّ قاسم يحب والديه كثيراً، ودائماً يقول: «أنا تعلّمت ديني من والدي، إذ كان متديناً جدّاً، وطيلة

سنوات الحرب مع صدام كان يدعو أن ينال أحدنا الشهادة، وكان يقول لنا ـ نحن أولاده ـ: أريد أحدكم يستشهد حتّى أُبيّض وجهي أمام الإمام الحسين عليه السلام.

كثيراً ما كنت أختلف مع الحاجّ المهندس في العمل، فكان يشكوني للحاجّ قاسم، وأنا أيضاً كنت أشكوه إلى الحاجّ قاسم.

فكان الحاجّ قاسم لا يعطي بالحاج المهندس أمامي، ولا يعطي بي أمام الحاجّ المهندس، وكان يحاول جاهداً أن يصلح بيننا بلا أن ينزعج أحدنا.

كنت في يومٍ من الأيام أنا والحاجّ قاسم داخل إحدى عجلاتنا المدنية، نتجوّل في شوارع بغداد، حينها كان الحاجّ قاسم يتحدّث لي عن الناس الذين يحبّهم كثيراً، فقال لي: «أنا مستعدٌّ أن أتبرّع بكلّ عضو من جسمي للذين أحبّهم، وبما أنَّ هناك أعضاء في جسمي لا يمكن أن نتبرّع بها، مثل القلب، لكن لي رفيقان حبيبان

أنـا مسـتعد أن أتبـرّع بـأي شـيء مـن بـدني لهمـا مقابـل أن يبقـوا هـم علـى قيـد الحيـاة، حتّـى لـو كـان علـى حسـاب حيـاتي»، قلـت لـه: حجّـي مَـنْ هـم الـذين تحـبّهم إلـى هـذا الحدّ، وأنَّك مستعد للموت من أجلهم؟

قال لي: «أحدهم سماحة السيّد حسن نصر الله»، وسكت! سألته عن الشخص الثاني مَن يكون؟ فلم يخبرني به.

كان الحاجّ قاسم من الذين يذوبون بحب السيّد نصر الله، حتى قال لي: بأنَّه أصدر أمراً لمجموعة من الأخوة المقاومين، وحين سمعوا أمره قالوا له: إنَّ سماحة السيّد حسن نصر الله أمرنا بأمر مختلف تماماً عن الذي أمَرتنا به، فقال لهم: «اتركوا أمري واتّبعوا أمر سماحة السيّد، حتّى لو كان الأمر الذي أصدرته لكم صحيحاً، وأمر سماحة السيّد خطأ اتَّبعوا أمره؛ لأنّي أرى كلّ أوامره صحيحة».

ذات يوم سألني الحاجّ قاسم:« كم تحب عائلتك؟»، قلت له: بعد حبّي لديني، فطلب مني أن أسجّل له فيديو وهو يتحدّث أمام الكامرة باللغة العربية لأبنائي محمّد وأبو الفضل وعليّ،

موجود الفيديو في اليوتيوب معروف جداً، وكان هذا نصّ الرسالة: « السلام عليكم محمّد علي، أبا الفضل، علي، كيف صحتكم أحوالكم؟ جيدين أنتم؟ الله يحفظكم إن شاء الله. أنا تصوّري لازم أنتم تعرفون قدر أبوكم.. وأمّكم أيضاً. هم بالنسبة إليكم [لهما] حقٌّ كبير، كل أب وأم بالنسبة للإنسان له حقٌّ كبير. أمّا أبوكم مجاهد، مدّة طويلة بطريق الجهاد بانتظار الشهادة، مدة طويلة بطريق الشهادة يتحرّك، يبقى يعمل، يشتغل.

أنا أتصوّر إذا أنتم تريدون أن تحترمونهم أو بأي مقدار تفرحونهم، أفضل شيء تسمعون منهم، وأيّ شيء يأثّر على جسدهم روحهم أو غير راضيين لا تعملون، أنا تصوري بعد رضا الله سبحانه وتعالى هو رضائهم، الأم والأب، وهذا حقّهم كبير جداً، دليل بالقرآن الكريم الله سبحانه وتعالى بعد اسمه المبارك، يؤكّد على موضوع الأم والأب، هذه مسألة أساسية.

موضوع أخر، أنتم تحترمون حلال الله سبحانه وتعالى وتحترمون حرامه، ما تذهبون اتجاه حرامه وتتابعون بشكل

إساسي موضوع حلاله بشكل أساسي، إن شاء الله سبحانه وتعالى يساعدكم وتتابعون موضوع دراستكم، خصوصاً في هذه الفترة، بالظرف الحالي يحتاج المتخصّصين، العراق يحتاج المتخصّصين، الشيعة تحتاج المتخصّصين المجاهد، إذا أنتم إن شاء الله تأخذون المخصّصات العالية، بالمستقبل تستطيعون أكثر تساعدون هذا الشعب المظلوم العزيز العراقي. الله يحفظكم دائماً، أحتاج إلى دعائكم سلامي إلى أمّكم».

لكن إلى الآن لا أعرف لماذا طلب مني الحاجّ سليماني أن يرسل لأبنائي هذه الرسالة وباللغة العربيّة!

في ذات يوم شاهدت الحاجّ قاسم يرتدي ملابس نوم أكبر من قياسه، أتذكر بأنَّ لونهما كان رصاصيّاً، فقلت له: لماذا ترتدي هذه البجامة؟ أراها كبيرة الحجم عليك، هل تحب بأن أبعث الشباب يشتروا لك واحدةً جديدةً على مقاسك؟ قال لي: «لا، أنا أُحبّ أن أرتدي هذه البجامة وأنام فيها، أعرف بأنَّها لا تناسب قياسي، لكن حبّاً

بصاحبها أرتديها كلّ ليله، حتّى عندما أكون في بيتي أرتديها هي ذاتها، قلت له: ومَن صاحبها؟ قال لي: «بأنَّها تعود للشهيد القائد الحاجّ عماد مغنية».

في ليلة ٣/ ١/ ٢٠٢٠ م في الزيارة الأخيرة للحاجّ قاسم إلى العراق، بقي أكثر من ١٤ يوماً، حينها كان ابني محمّد يجري عملية جراحية في بيروت وكنت قلقاً عليه كثيراً، لكن لا أستطيع أن أغادر العراق والحاجّ قاسم فيه، كذلك لم أخبره بأنَّ لدى محمّد عملية جراحية، حتّى لا يجبرني على تركه، فهو يعرف جيداً بأنّي متعلّق جداً بعائلتي وبعد أيام من عملية محمّد عرف الحاجّ قاسم، فعاتبني على بقائي هنا وترك ولدي في بيروت، قلت له يا حاجّ: ما زال أنت هنا فأنا هنا، فقال لي: «احجز بطاقة لسفرك واذهب إلى ولدك أنا أتأخر هنا، لكني رفضت ذلك وقلت له: يا حاجّ أنا باقٍ هنا، ومحمّد إن شاء الله جيّد، ما أرجوه منك هو أن تدعو له.

في اليوم الثاني غادر الحاجّ قاسم العراق، وفي اليوم الذي بعده سافرت إلى بيروت.

بعد يومين من وصولي إلى بيروت، اتصل بي بور جعفري وسألني عن مكان تواجدي، فقلت له: في بيروت، قال لي: غداً صباحاً سنكون في بغداد أو بعد الظهر.

أخرجت هاتفي الخاص واتصلت بأحد الأخوة المقرَّبين مني، وأخبرته عبر الجهاز المشفّر، بأنَّ الحاجّ قاسم غداً قادمٌ إلى بغداد أبلِغ الحاجّ المهندس بذلك.

حينها كان الحاجّ المهندس مريضاً جداً يعاني من فلاونزة حادة، وحرارته دائماً مرتفعة.

فطلب الحاجّ المهندس من الأخ الذي أرسلته له الهاتف الخاص وقال له: انتظرني وبعد الانتظار ناداه الحاجّ المهندس وقال له: أبلغ أبا زينب بأنَّه تأخَّرَ مجيئ الحاجّ قاسم، فليبقَ في بيروت.

بعد يومين من هذه الاتصالات الخاصة عرفت بأنَّ الحاجّ المهندس أبلغ الحاجّ قاسم بعدم المجيء للعراق، وقال له: بأنَّ

الوضع الأمني متأزّم جداً، والطائرات المسيرة تملأ سماء بغداد. علماً نحن كنا نفكّر بإخراج الحاجّ المهندس من بغداد بأسرع وقت ممكن؛ خوفاً عليه.

أبلغ الحاجُّ قاسمُ الحاجَّ المهندسَ: بأنَّ زيارته إلى العراق ستكون ليومٍ واحدٍ فقط، أنا شخصياً كنت لا أعرف بهذا الأمر وتفاجأت ليلة ٢٠٢٠/١/٣م بشهادة الحاجّين قاسم وجمال معاً، وكيف اجتمعوا في عجلة واحدةٍ، مع العلم بأنَّ الحاجّ المهندس كان رافضاً لزيارة الحاجّ قاسم، كيف ذهب لاستقباله؟

أردت مغادرة بيروت لكن الأخوة في حزب الله منعوني من ذلك، بسبب أن الأحداث متسارعة ولا نعرف ماذا سيحدث، وبعد أيام غادرت بيروت متّجهاً إلى طهران من غير علم الأخوة بالحزب.

لقد تركنا الحاجّ قاسم بشهادته في فراغ السلاح والدعم والخطط العسكرية، لكن الحاجّ المهندس بشهادته تركنا في

فوضى لا يدركها سواه، لا أتصور أبداً أنَّ أحداً يستطيع أن يسدَّ فراغ الحاجّ المهندس مهما كان.

نحن ما زلنا متمسكين ونعمل بفضل معنوياتهم معنا، إلى الآن نحن نسير بتوجيهاتهم وخططهم الذي تركوها لنا.

لـو كـان الحـاجّ المهنـدس علـى قيـد الحيـاة والحـاج قاسـم يستشـهد أمامـه، لشـاهدنا ردّاً ينهـي كـلّ الوضـع فـي غضـون ساعات.

ولو أستشهد الحاجّ المهندس أمام الحاجّ قاسم، أتوقّع أن يموت الحاجّ قاسم ثائراً للحاجّ المهندس لشدّة حبّه له.

علاقـة الحـاجّين جمـال وقاسـم لا يمكـن لأيّ أحـدٍ مهمـا كـان معرفتهـا، تصـوَّرْ الحـاجّ قاسـم هـذا القائـد العسـكري الكبيـر الـذي يخشـاه الجميع يقـول: أنـا جنـدي لـدى الحـاجّ المهنـدس، فمـاذا قـال الحـاجّ المهنـدس هـذا القائـد الكبيـر عـن الحـاجّ قاسـم؟ يقـول: أنـا تحـت أمـر الحـاجّ قاسـم يوجّهني هو حيث يشاء.

في بعض الاجتماعات نشاهد الحاجّ المهندس يؤيّد كلّ حديث الحاجّ قاسم، وأحياناً نشعر بأنَّ هناك خطأ، فنقول للحاجّ المهندس: هذا خطأ لماذا لا تعطي رأيك بالصحيح للحاجّ قاسم؟! فكان يقول: عندما يضع الحاجّ قاسم قدمه في العراق، أتحوَّل إلى جزء صغيرٍ في عقله، أُفكّر بما يفكر به هو وأقول بما يقوله صحيحاً كان أم خطأً.

كان حبّهم خالصاً وصادقاً لله وفي سبيل الله؛ لذلك جمعهما معاً في شهادةٍ واحدةٍ؛ حتّى لا يموت أحدهما حرقة على حبيبه، فنالوا وسام الشهادة معاً، وأشعر بأنَّ أحدهما كان يمسك بيد الآخر.

عندما أراه يبكي على سجادة صلاته، أقول: هذا ليس الحاجّ قاسم سليماني الذي أرعب اسمُه العالمَ.

فراقهم معاً أشعرنا بالعجز الحقيقي، فما زالت المنطقة بحاجة إلى أحدهما، لكن هذه حكمة الله تعالى وهو أعرف بالصلاح.

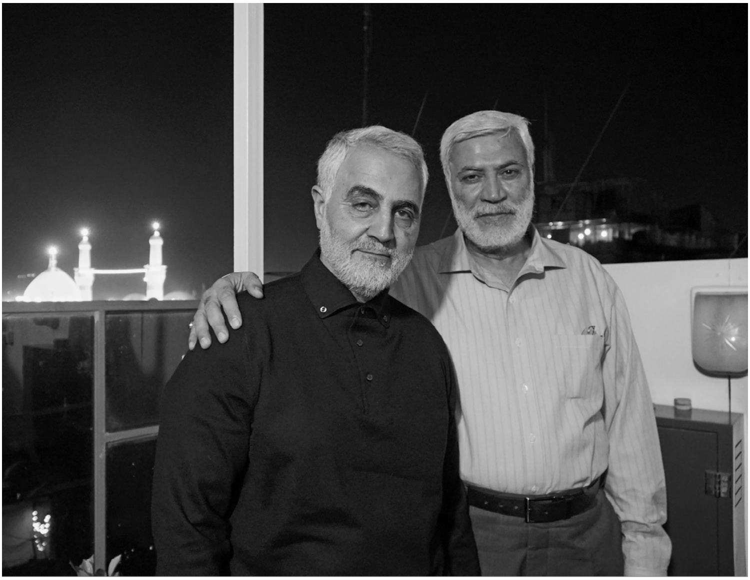

الشهادة:

السيّد حسن نصر الله:

كان الحاجّ قاسم يبكي عندما يذكر الشهداء، وفي كثير من اللقاءات كان يقول: «ضاق صدري من هذه الدنيا لشدّة شوقي للقاء الله تعالى، والشهداء الذين مضوا». فمبارك للحاجّ قاسم الشهادة العظيمة والعاقبة الحسنة.

الشيخ جلال الدين الصغير:

عام ٢٠١٧م التقيت بالحاجّ قاسم معاً وكان مسروراً كثيراً والابتسامة تعلو محيَّاه، سألته عن سرّ تلك الابتسامة العجيبة؟ فقال لي: إنَّ ابنته أخبرته بأنَّه سينال وسام الشهادة في حلب، أطلتُ النَّظر في وجهه وقلت له: أنت ما تستشهد في حلب، شعرت بأنَّ ملامح وجهه قد تغيَّرت وبان الحزن عليه، سألني لماذا لا أستشهد في حلب؟!

قلت له: داعش لا يليقون بك، أنت قاتلك قاتل استثنائي، طبيعة المعركة الإلهية تجعلك لا تستشهد بمعركة صغيرة! منذ ذلك اللقاء بقي عندي هذا الهاجس العجيب عن شهادة الحاجّ قاسم.

في آخر زيارة للحاجّ قاسم سليماني إلى العراق، التقينا معاً وكان هذا اللقاء مختلفاً تماماً عن سائر اللقاءات السابقة، كنت أشعر بأنَّ هذا اللقاء هو الأخير، وكنت أشعر بأنَّ هذه الزيارة هي زيارة الوداع.

يوم الخميس كنت على موعدٍ مع الأخ آل صادق، اتصلت به قبل الموعد، وأثناء حديثي معه عبر الهاتف قال لي: اليوم كنت مشغولاً كثيراً، عرفت بأنَّ الحاجّ قاسم قادمٌ إلى العراق.

في ليلة الجمعة ٢٠٢٠/١/٣م نمت في الساعة ١٢:٢٠ بعد منتصف الليل، لم أغفو كثيراً حتّى شعرت بأنَّ هناك عصفاً هائلاً يحيط بي، استيقظت مرعوباً وأنا أشعر بأنَّ شيئاً ما سيحدث أو حدث، فتحت هاتفي وجدت عشرات الإشعارات من وكالات إخبارية مختلفة، جميعها تتحدّث عن تفجير في مطار بغداد، لم أستوعب بعد أيّ شيء حصل، ولمّا استيقظت مرعوباً شعرت بأنَّ هناك شيئاً ما قد حدث لا محالة.

وبينما أنا أتصفّح الأخبار عبر هاتفي وصَلَت لي رسالة من أحد الأخوة مفادها: إنَّ الحاجّين قد رحلا، اتصلت بأحد الأخوة في أمن المطار، فأجابني وهو يبكي: شيخنا راح الحجي، قلت له: اذهب أنت قرب عجلاتهم وتأكّد لي تماماً، قال لي: شيخنا أنا الآن بجنب العجلات والحجي راح، قلت

له: تأكَّد جيداً أنَّها عجلة الحاجّ أبي مهدي وليس الحاجّ قاسم.

كنت أصنع لنفسي أملاً بأن هذه العجلات تعود للحاجّ المهندس هو مَن استشهد وليس الحاجّ قاسم.

اتصلت بالدكتور عادل عبد المهدي رئيس الوزراء آنذاك، فأكَّد لي بأنَّ الحاجّين قاسم وجمال نالوا وسام الشهادة معاً.

جلست أرضاً وأنا أبكي لفراق الحبيب، فمنذ عام ٢٠٠٦م كان يقول لي الحاجّ قاسم: شيخنا راح يقتلوك لا محال، وإذا قتلوك تشفع لي؟ قلت له: يا حاجّ أنت عاهدني بأنَّك إذا نلت وسام الشهادة أنَّك تشفع لي، فقال لي: أنا ما زلت بعيداً عن الشهادة وما أظنُّ بأنّي أدركها.

ما من مجلسٍ يجمعنا ونتحدّث فيه بأي حديث إلاّ ويستذكر الحاجّ قاسم رفاقه الشهداء، كان كثيراً ما يذكر الشهيد كاظمي، والشهيد همّت، كما كان عاشقاً لشهيد المحراب محمّد باقر الحكيم.

الحاجّ أبو رضا النجّار:

عند الساعة ١٢:٤٥ بعد منتصف الليل اتّصل بي صديقي وهو سفير إحدى الدول في العراق، سألني عن السيّد محمّد رضا الجابري، ماذا يعمل؟ قلت له: موظّف في الحشد الشعبي مسؤول التشريفات، قال لي: سمعت بأنّه تعرّض إلى حادث قبل قليل أثناء خروجه من مطار بغداد الدولي.

أنهيت المكالمة مع السفير، واتصلت بالأخوة الذين أعرفهم قريبين من السيّد الجابري، فسألتهم عنه، قالوا: محمّد رضا نال وسام الشهادة. لم يخطر في بالي بأن أسألهم مَن كان معه؟ ولا كيف استشهد؟ تألَّمت على رحيل محمّد رضا وهو شاب جميل في مقتبل العمر، وكنا نعتبره في مثابة أولادنا، كذلك هو ابن رفيقنا المجاهد السيّد أبي بلال الجابري. بقيت أسأل نفسي لماذا قتلوا السيّد محمّد رضا، ومَن الذي كان معه؟ لم أتوقع إطلاقاً بأنَّ أحد القادة كان معه.

في الساعة ١:٣٠ بعد منتصف الليل اتصل بي أحد الأصدقاء وأخبرني بأنَّ الدكتور علي الخفّاف يبحث عن بقايا الجثامين

التي مع الشهيد محمّد رضا، ويقال: إنَّ محمّد رضا كان برفقة الحاجّ سليماني.

عندما سمعت اسم الحاجّ سليماني وأنا لم أتأكد من أيّ شيء بعد شعرت بالرعب، وعندما تأكَّد لي رحيل الحاجّين معاً لم أعد أصدّق بشيء، كنت أظنّ بأنَّ كلّ الذي أسمعه من أخبار ما هو إلاّ وهم في وهم، كنت أشعر بأنَّ وقت الشهادة لهم لم يحن بعد.

شعرت بأننا فقدنا سندنا، سواء كان الحاجّ المهندس أم الحاجّ قاسم، عندما كنا نطلب شيئاً من الحاجّ المهندس نعلم بأنَّه سيلبّي طلبنا مهما كان الطلب؛ لأنَّ الحاجّ المهندس كان مستنداً على الحاجّ قاسم، كانوا معاً في كلّ شيء، سبحان الله حتّى في الشهادة لم يفترقا.

كان الحاجّ المهندس يجلس مع الحاجّ قاسم لساعات طويلة ويتحدّث له عن كلّ التفاصيل، وكان الحاجّ قاسم يضع أمامه صورة واضحة، وكذلك الحاجّ قاسم كان يتعامل مع الحاجّ المهندس قائداً ويطلعه على أدق التفاصيل.

العلاقة التي بين الحاجّين جمال وقاسم لا يناسبها سوى الشهادة معاً.

قسماً بالله وتلك الليلة التي رحلوا بها، أكتب عملي وأخطّط للأهداف التي أريد تحقيقها وأعرضها أمام صور الحاجّ قاسم والحاج المهندس، وأتحدّث مع نفسي وأقول: لو كان الحاجّان قاسم وجمال الآن معي وأنا أعرض عليهم هذا المشروع فماذا يقولان لي؟ أخمّن أجابتهم وأعمل عليها، وأكتشف بعدها بأنَّ النتيجة كانت صحيحة وأنَّ خيارهم كان أصح.

علماً أنَّ الحاجّ قاسم ترك معنا مستشارين وما زالا قريبين علينا جداً، لكن مهما كانا سوف نبقى نشعر بفراق وفراغ الحاجّ قاسم.

الحاجّ أبو ضياء الصغير:

ليلة ٢٠٢٠/١/٣م كانت لا تختلف عن تلك الليلة التي فقدت فيها والدتي حين كان عمري ١٤ عاماً، و الله يعلم كم ما زلت

أبكي على فراقها، ثمّ فارقنا السيّد محمّد باقر الصدر أملنا الوحيد، حيث لم يكن لنا أمل في العراق سوى محمّد باقر الصدر ورحل شهيداً أيضاً، تعلّقت بالسيّد الإمام الراحل روح الله الخميني وكنت من عشّاقه، وفقدته أيضاً، كذلك كنت مرافقاً شخصياً لمحمّد باقر الحكيم القائد والصديق، حيث أعيش معه كلّ تفاصيل حياته، لم أتذكر أنَّ موقفاً مرَّ به وأنا لم أكن معه.

٢٢ عاماً كنت مرافقاً له، في ذات يوم حدثت هناك مشكلة، فرأيت السيّد محمّد باقر منزعجاً ويتأسّف، قلت له: سيدنا ما بك؟ قال: مع الأسف أمريكا تصبح صاحبة الخيار الأوّل وصاحبة الفضل، قلت له: سيّدنا عزيزي، الناس تبحث دائماً عن مصالحها الشخصية والترف، فقال لي: أنا أخذت عهداً على نفسي وعاهدت الإمام الحسين عليه السلام، بأنّي لا أعود للعراق إلا شهيداً أو في وقت لا يكون صدام موجوداً فيه.

وفعلاً رجع السيّد محمّد باقر الحكيم للعراق وراح صدام وحكمه إلى مزبلة التاريخ، لكن لم

يعـش السـيّد الحكـيم فـي العـراق كثيـراً، وكـأنَّ الله حقّـق لـه حلمـه بـأن يريَـه صـدام مـذلولاً، ثـمّ ينـال هـو وسام الشهادة.

لا أستطيع أن أصف لك حرقة الفراق على السيّد محمّد باقر الحكيم، وكيف عشت بحزن لامثيل له، ولم أنسه للحظة واحدة، لكن محمّد باقر كان خسارة للعراق فقط، أما الحاجّ قاسم فخسارة للعالم الإسلامي بأكمله.

كـلّ الأحـرار فـي العـالم خسـروا الحـاجّ قاسـم، هـذا القائـد الإسـلامي الكبيـر الـذي أفنـى عمـره دفاعـاً عـن بيضـة الإسلام المحمّدي الأصيل.

أمّـا الحـاجّ المهنـدس فكثيـراً مـا يشـبه الحـاجّ قاسـم، لأنَّهمـا عاشـا معـاً فـي قضـية واحـدة، حتّـى تشـعر كـأنَّهم شخصـان فـي روحٍ واحـدة، وحتمـاً كـان كـلّ واحـد منهمـا لديـه رغبـة بـأن ينـال وسـام الشـهادة برفقـة صـاحبه؛ لـذلك أراد الله لهـم أن يستشـهدا معـاً وتخـتلط دماؤهمـا وأجسـادهما معاً.

السيّد خضير المطروحي:

حين علمت برحيل الحاجّين جمال وقاسم معاً، كرهت الحياة، فلا حياة لنا بعد حياتهما، كانوا الشمعة التي تنير طريقنا وترشدنا إلى الطريق الصحيح، تعلّمنا من الحاجّين جمال وقاسم مخافة الله، خدمة الناس، البساطة، التواضع، الخوف من دعاء المظلوم.

حين أُشيع خبر رحيل مهندس النصر وقاسم الجبّارين معاً، رأيت المئات من المجاهدين يفترشون الأرض ويبكون ويتمنّون الموت لأنفسهم وعوائلهم بدل الحاجّين جمال وقاسم، وهذه هي نتيجة من يعمل بنيّة خالصة ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[(١)]، حتماً بأنَّ كلّ الذي عمل به الحاجّان جمال وقاسم هو خيرٌ.

عندما تعرّضتُ للإصابة عام ٢٠١٥م استشهد معي ابن أخي مصطفى، لكن قسماً بالله لم أشعر عليه بالحزن قدر شعوري بالحزن على فراق الحاجّين الحبيبين جمال وقاسم

---

(١) سورة الزلزلة: ٧ـ٨.

أمثال الحاجّين جمال وقاسم، نهايتهم الحتمية هي الشهادة في سبيل الله، الله سبحانه وتعالى كرَّمهم بهذا الوسام، وأعطاهم في الدنيا حب الناس قبل الآخرة، فعلى مرّ الزمان الحديث لم يكن هناك تشييع لجنازة بهذا الزخم، وهذه الإمكانات، والحضور الجماهيري الغفير.

بكاء العلماء عليهم، نعيهم في كلّ العالم الإسلامي، تسميتهم بقادة النصر على لسان المرجع الأعلى السيّد السيستاني، كان غاية الفخر العظيم لهم.

الحاجّ مهدي تقي:

ليلة ٢٠٢٠/١/٣ اتصل بي أحد الأخوة وقال لي: بأنَّ الحاجّين (قاسم وجمال) قد نالا وسام الشهادة معاً بقصف أمريكي على عجلاتهم أثناء خروجهم من مطار بغداد الدولي.

اعتصر قلبي الألم وصرت أرتجف وأنا أحدّث نفسي هل فعلاً رحلا معاً؟ لم أعتد على البكاء؛ لكن في كلّ يوم من حصار آمرلي كان للحاجّ المهندس وللحاجّ قاسم موقفٌ بطوليٌّ،

فكيف لا أبكي وأنا أتذكر تلك المواقف البطولية التي جعلتنا على قيد الحياة؟!

شعرت بحزن ما بعده حزن، تألّمتُ كثيراً، واستذكرت تلك العبارة التي قالها الحاجّ قاسم حين فك الحصار عن آمرلي، قال: « اليوم إنّي فرحٌ جداً، طيلة حياتي لم أفرح هكذا».

أنا في ليلة ١/٣ كنت حزيناً جداً لم أشعر بكذا حزن طيلة حياتي، فارقت العديد من رفاقي وكثيراً ما فقدت أعزاء على قلبي، لكن لم يمر عليَّ حزن كهذا لا والله.

سنبقى بأمل أن نكون من رفاقهم في جنّة الفردوس إن شاء الله تعالى.

الحاجّ فالح الخزعلي:

يوم ٢٠٢٠/١/٣م شعرت بأنَّ صاعقة نزلت علينا من السماء، لم أستطع أن أتقبّل أنَّ الحاجّ قاسم والحاجّ جمال قد رحلا معاً.

الحاجّ قاسم كان أمل المستضعفين وناصر المظلومين، بكيت كثيراً لفراقهما وما زلت أبكي.

تحدّثت مع مَن كنّا نظنّهم شركائنا بالوطن أن يكونوا معنا ولو بالصوت فقط حتّى نخرج ما تبقّى من جنود قوات الاحتلال الأمريكية، لكن للأسف كانوا أقلّ ممّا ظننّا بهم.

يوم ٢٠٢٠/١/٥م عقد مجلس النواب جلسة طارئة للتصويت على إخراج القوات الأميركة من العراق كردّة فعل ورفض عراقي على غدر قادة النصر الحاجّين جمال وقاسم، وفعلاً صوَّت مجلس النواب بأغلبية كبيرة على إخراج القوات الأمريكية، لكن مع الأسف لم يطبَّق بسبب هذه الحكومة التي نعتقد بأنَّها حتّى أنفاسها بيد الأمريكان لا مواليةً لهم فقط.

يوم أمس ذكرى مجزرة حلبجة الكردية التي قصفها صدام بالكيمياوي عام ١٩٨٨م، والتي كان الحاجّ المهندس حاضراً فيها مدافعاً عنها، لكن للأسف الشديد ٩٥٪ من الأخوة الكرد لم يصوّتوا على إخراج القوات الأمريكية من العراق.

قلت لهم: بأنَّ شيبة الحاجّ قاسم والحاجّ المهندس علق فيها تراب مناطقكم، يجب أن تكونوا من المصوّتين على إخرج الاحتلال الأمريكي ردّاً لجميل الحاجّين جمال وقاسم.
أسمتهم المرجعية الإسلامية العليا شهداء قادة النصر، لكنَّ الغريب أنَّ أغلب السياسيّن لا ينطقون بهذا الاسم، ولم يسمُّوا الاعتداء على قادة النصر بالجريمة الأمريكية، أنا أعتبر هذا قلَّة وفاء.

الحاجّ أبو ثائر البشيري:

بتاريخ ٢٠٢٠/١/٣م كنت نائماً، وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل جاءني اتصال من أحد الأخوة أخبرني من خلاله أن الحاجّين (جمال وقاسم) قد نالا وسام الشهادة في مطار بغداد الدولي، وقبل أن ينهي حديثه قال لي: ربما الأخبار غير أكيدة.

خرجت مسرعاً وأخذت أجمع قواتي لأيّ طارئ، بعدها صارت تأتي الاتصالات بين الحين والآخر، حتّى تأكّد لنا تماماً بأنَّ القادة رحلوا شهداء.

شاهدت عشرات الصور للحادث والحشد أصدر بياناً وكلّ شيءٍ أصبح واقعاً، إلاّ أني ما زلت لم أصدّق بأنَّه انتهى كلّ شيء.

بقيت مستيقظاً تلك الليلة، وأتحدّث مع نفسي مَن سيكون معنا لو أننا تعرّضنا للخطر مرَّة أخرى، وعلى أيّ هاتف سوف نتّصل إذا أصبح هاتف الحاجّ المهندس مغلقاً الآن؟

نحن في بداية الطريق وما زلنا نحتاج الحاجّ المهندس، والأمّة الإسلامية ما زالت تحتاج إلى الحاجّ قاسم سليماني، لم يكن دور هذا القائد العظيم محصوراً بالجمهورية الإسلامية، أو العراق وسوريا، بل كان ناصراً للمستضعفين في جميع أنحاء العالم.

الحاجّ أبو امتحان الحلفي:

الحاجّ المهندس كان يخشى على الحاجّ قاسم أكثر من خشيته على روحه بعشرات المرات، ولو خُيّر بين أن يموت

يوم ١/٣ بدل الحاجّ قاسم ألف مرّة لم يتردّد أبداً؛ لذلك كانت إرادة الله تعالى أن يكونا معاً في الدنيا والآخرة.

الحاجّ أبو حسام السهلاني:

كان الحاجّ قاسم سليماني يقول لنا: «إنَّ الثمار التي تنضج يقطفها الفلاّح، وإذا لم يقطفها ستبقى معلّقه، ثمّ تنتهي ثمرتها».

إنّا نشعر بأنَّ الحاجّين (قاسم و جمال) لا يستطيعان أن يقدّما أكثر من الذي قدّما على مَرّ تلك السنوات الطويلة، أو ربما نحن بعد لا نستطيع أن نقدّم لهما ما يريدان، كما أشعر بأنَّ الشهادة للحاجّين (جمال وقاسم)، كانت الراحة الأبدية لهما، فأنا كنت قريباً منهما وأعرف مستوى العناء الذي يعترضهما عندما تكون هناك فتنة أو مشكلة، كانا صادقين حتّى في مشاعرهما أتجاه الناس؛ لذلك كانا يتأثران جداً بالأحداث، ويسعيان جاهدين بأن تكون بأقل الخسائر.

الحاجّان قاسم وجمال وصلا إلى القمة؛ لذلك كرَّمهما الله تعالى بالشهادة معاً في ليلة مباركة على يد أعداء الله والدين.

عندما رحل الإمام روح الله الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ شعر الناس باليأس لكنَّه خلّف رحيلُ الإمام روح الله قائداً عظيماً، شجاعاً، كريماً، ينصر المستضعفين ويقف مع المظلومين ضد الظالمين، وقد يسأل البعض: إذا رحل الإمام الخامنئي فماذا نفعل؟ بالحقيقة نحن لا نفعل شيئاً، والله تعالى هو مَن يفعل، وكل شيء من الله في صالحنا مهما كان؛ لذلك أنا على يقين بأنَّ دماء الحاجّ قاسم والحاج جمال، ستثمر لنا جيلاً مجاهداً ينصر المستضعفين.

الشهيد مطهري يقول: الشهداء يشفعون، وعندما نذكرهم ونذكر صفاتهم وأفعالهم سنكون مثلهم هي هذه الشفاعة.

عندما كنت برفقة رفاقي الذين سبقونا بالشهادة، أمثال أبي ميثم الصادقي، أبي أيوب البصري، أبي محمّد الطيّب، كنا نشعر بالتعب، وفي بعض المرّات نقرّر أن نترك كلّ شيء ونجلس في بيوتنا، لكن كنا نقول: إذا أردنا أن نجلس ونستريح في بيوتنا فالأمر في غاية السهولة، لكن ماذا سنقول لرفاقنا الشهداء الذين سبقونا بالشهادة؟!

أنا و الملايين معي من محبّي قادة النصر، نشعر بأنَّ الحاجّين (قاسم وجمال)، تركا فراغاً كبيراً جداً، كما نشعر بأنَّ المنطقة بأسرها ما زالت تحتاج لوجودهما، لكن حتماً بأنَّ إرادة الله أحكم، كما إنّي على يقين بأنَّ هذه الدماء الزكيّة ستكون حافزاً للمجاهدين الذين يسيرون على نهج القائدين العظيمين.

الحاجّ عبد الحسين عبطان:

طريقة استشهاد الحاجّين قاسم وجمال كانت مختلفة عن سائر الشهداء، حيث اجتمعت فيهم الشهادة والمظلومية، وهم لا تليق بتاريخهم غير تلك الشهادة ولا غير هذا القاتل.

في ليلة رحيلهم معاً شعرت بخسارة كبيرة، فما زلنا بحاجة الحاجّ سليماني والحاجّ المهندس، العراق ما زال في ورطة بسببنا نحن السياسيين.

في أحد الاجتماعات السياسية وبحضور أغلب أصحاب القرار، قالها الحاجّ قاسم سليماني بكلّ صراحة: « أنتم لم تقدّموا شيئاً لشعبكم، لم تخدموا الناس»، وكان الحاجّ قاسم سليماني صادقاً فيما يقوله.

كـلّ شـيء يسـير بحكمـة الله، ونحـن مؤمنـون بـالله تعـالى، لكـن لـو تـمَّ حسـم الموضـوع الـذي أوصـاهم بـه الحـاجّ قاسـم سـليماني، لمـا اضـطرّ أن يعـود إلـى العـراق مجـدّداً ولـم يقتـل فيـه. نحـن علـى يقـين أنَّ دمـائهم الزكيـة سـتبقى مثمرة لجيل بعد جيل.

٭ ٭ ٭

النهاية:

المؤلّـف: رزقنـي الله تعـالى بمولـود وأسـميتُه (قاسـم)؛ حبّـاً وإكرامـاً للشـهيد الحـاجّ قاسـم سـليماني، وطالمـا نادينـاه بـ:(الحـاجّ قاسـم)، وهـو المولـود الثـاني بعـد أخيـه الـذي سـمّيته بــ (مهـدي)، أسـأل الله تعـالى أن يجعلنـي وأهـل بيتـي علـى نهـج محمّـد وآلـه الـذي سـار عليـه الشـهيدان العظيمان ومَن معهما.

✡ ✡ ✡

الملحق الصوري

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد القائد أبو مهدي المهندس

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد القائد الشيخ كريم الخاقاني آمر اللواء الثاني في

هيئة الحشد الشعبي

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد القائد أبو منتظر المحمداوي آمر اللواء العاشر في

هيئة الحشد الشعبي

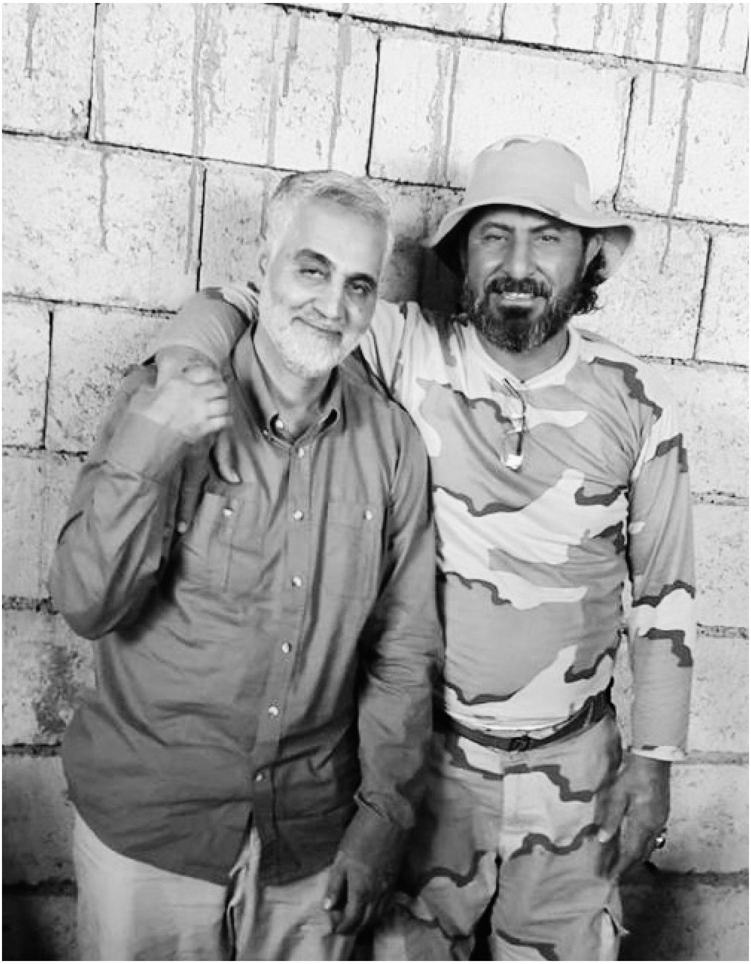

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد القائد مهدي الكناني آمر لواء٤٢ في

هيئة الحشد الشعبي

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد القائد السيد أبو حسنين النداوي آمر لواء ٤٠

في هيئة الحشد الشعبي

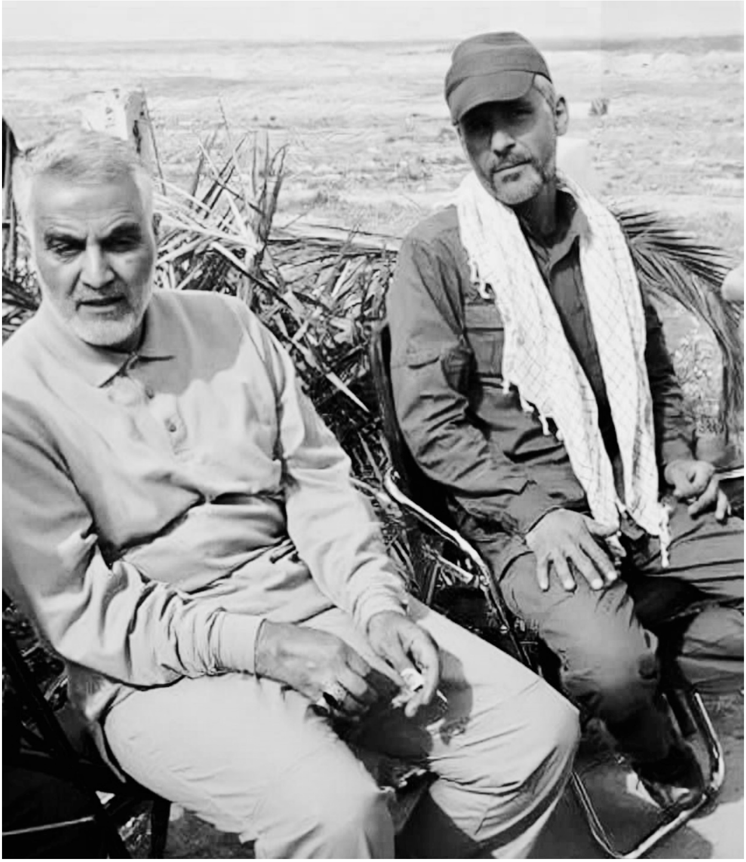

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد القائد أبو حبيب السكيني آمر اللواء الرابع

في هيئة الحشد الشعبي

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني
مع الشهيد القائد السيد داغر الموسوي آمر اللواء السابع
في هيئة الحشد الشعبي

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد القائد سلام الديراوي

مدير مكتب هيئة الحشد الشعبي – البصرة

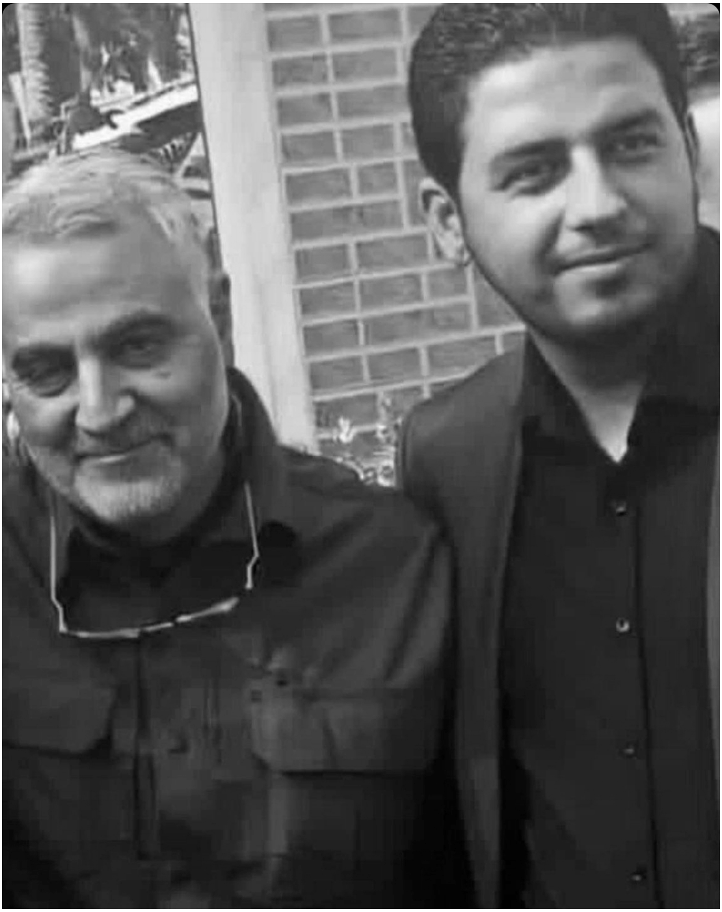

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد السيد محمد الجابري مدير العلاقات العامة

في هيئة الحشد الشعبي

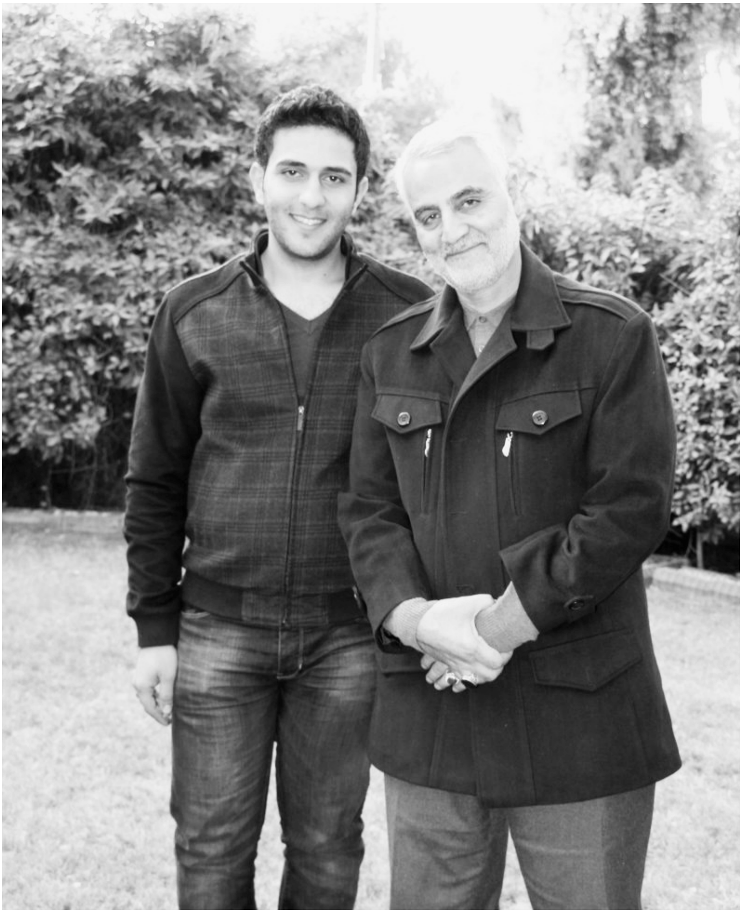

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد محمد الشيباني موظف في مديرية العلاقات العامة

في هيئة الحشد الشعبي

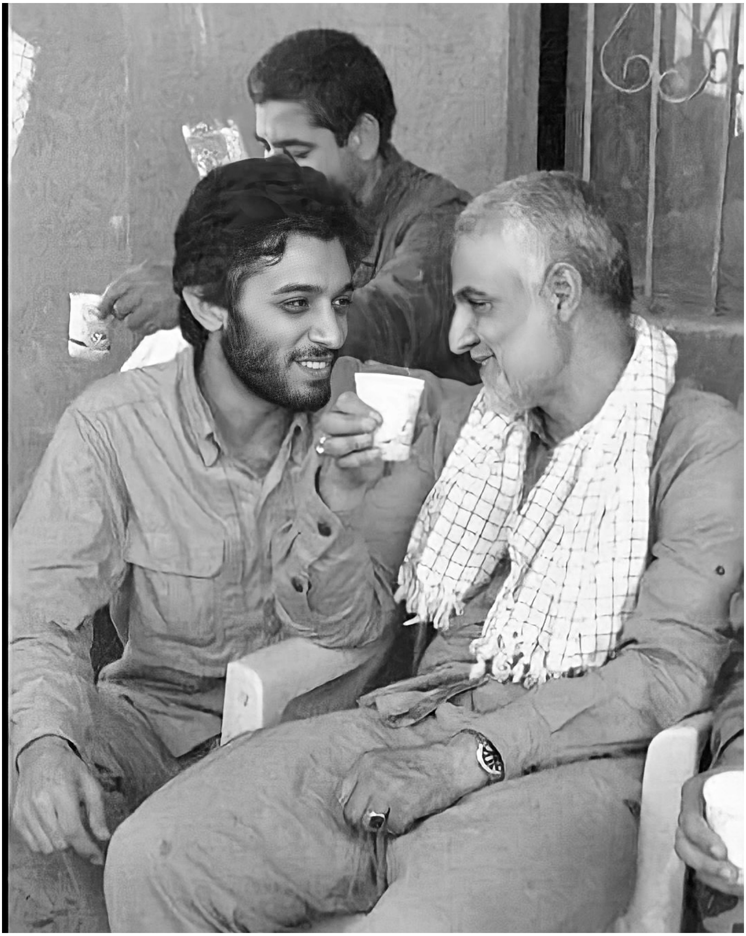

الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

مع الشهيد محمد المنصوري

ضابط في مديرية استخبارات هيئة الحشد الشعبي

الصور التي جمعتني بالإخوة الاعزاء الذين تحدثوا عن تواجد الحاج قاسم سليماني في كتاب سليماني منا أهل العراق

مع الحاجّ المجاهد أبو علي البصري

مع الحاجّ المجاهد أبو حسام السهلاني

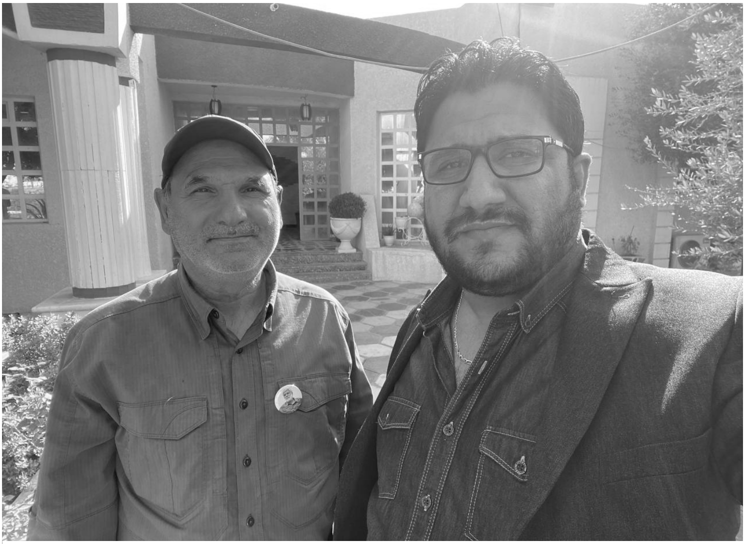

مع الحاجّ المجاهد أبو علي الكوفي

مع الحاجّ المجاهد أبو ضياء الصغير

مع الحاجّ المجاهد عبد الحسين عبطان

مع الحاجّ المجاهد حسن فدعم

مع الحاجّ المجاهد السيد خضير المطروحي

مع الحاجّ المجاهد أبو كرار السهلاني

مع الحاجّ المجاهد أبو زينب اللامي

مع الحاجّ المجاهد مهند العقابي

مع الحاجّ المجاهد أبو امتحان الدلفي

مع الحاجّ المجاهد أ- د

مع الحاجّ المجاهد أبو آمنه الخاقاني

مع الحاجّ المجاهد فالح الخزعلي

مع الشيخ المجاهد جلال الدين الصغير

مع الحاجّ المجاهد أبو عقيل الكاظمي

مع الحاجّ المجاهد حيدر البهادلي

مع الدكتور المجاهد علي الخفاف

فهرس

الاهداء ٥
رسالة وعبرة ٧
شكر وتقدير ١١
كلمة مدير أمن الحشد الشعبي ١٥
كلمة مدير الإعلام العام في هيئة الحشد الشعبي ١٧
المقدّمة ٢٣
ما قبل سقوط الموصل ٢٧
رسالة سليماني ٥٣
جاء سليماني ٥٩
السلاح الايراني ٧٧
قضائي تلعفر وسنجار ٩١

إلى سامراء ١٠٥
من بغداد إلى بيروت ١١٥
سامراء ١٢١
آمرلي ١٥٣
من الذي حدد ساعة الصفر في آمرلي ١٩٩
سليمان بيك ٢٠٣
جرف الصخر ٢٠٧
محور الشمال ٢٥٣
ديالى ٢٧٣
صلاح الدين ٢٧٧
الأنبار ٢٨٩
رامي مدفع الرشاش ٢٣ملم ٣٠٣
كنت برفقة سليماني .... ٣٠٩.
إصابة الحاج المحمّداوي ٣٢١
شهادة الحاج مهدي الكناني ٣٣٩
إصابتي ٣٤٣

عائلة شهيد عراقي ٣٤٩
ابن الشهيد العراقي ٣٥٣
قبَّل سليماني يدي ٣٦١
إنسانية سليماني ٣٦٧
ماذا طلب مني سليماني ٣٧١
الرفق بالحيوان ٣٧٥
تأسيس الطبابة ٣٧٩
الهندسة الميدانية ٣٩٧
كان يحتاط في الشبهات ٤٠٣
السيد السيستاني ٤٠٧
قالوا في سليماني ٤١٣
رفيق سليماني ٤٧١
الشهادة ٥٠٧
النهاية ٥٢٧
الملحق الصوري ٥٢٩
الفهرس ٥٥٥

سليماني منا أهل العراق

بقلم أبي لواء البهادلي

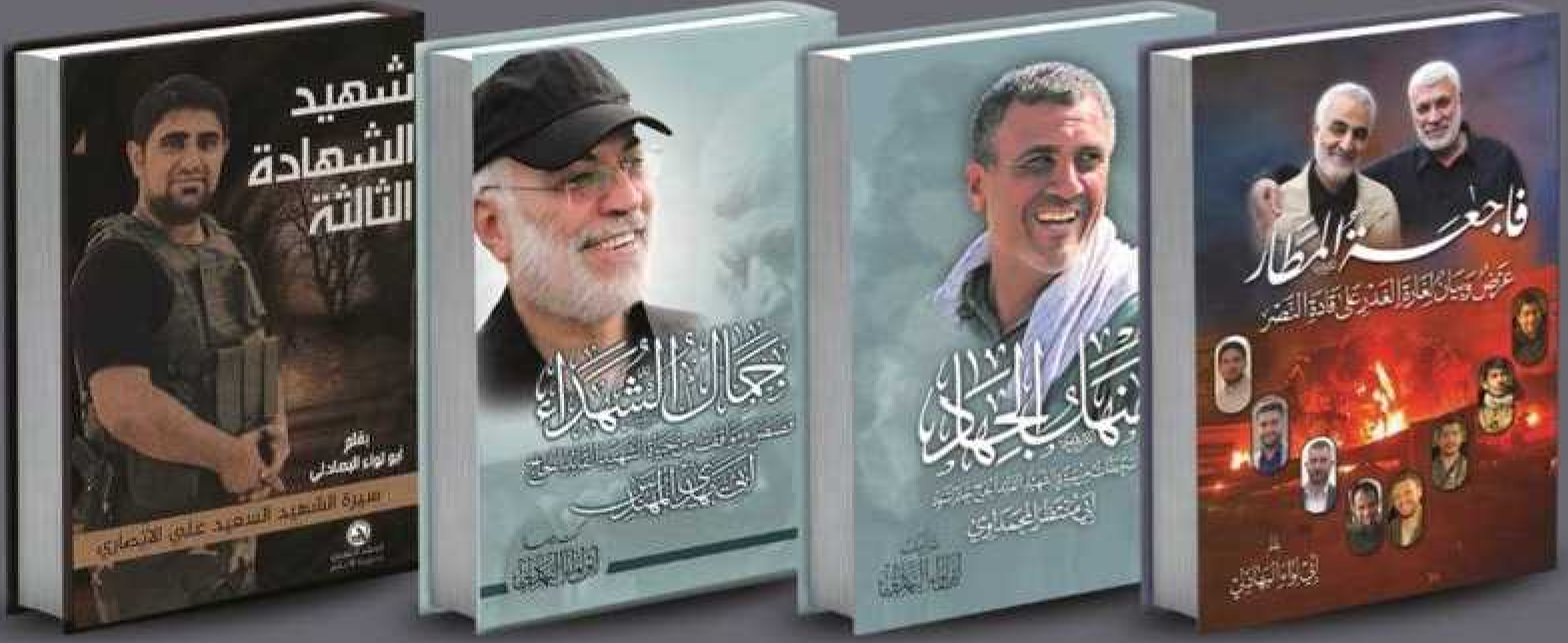

المؤلف

أيامٌ بأكملها بقيَ الحاجّ قاسم مستيقظاً من أجل الدفاع عن الذين كانوا يشعرون بالتعب من كثرة النوم، وحين يستيقظون يشتمون الحاجّ قاسم بلا أدنى معرفة.

أعلم بأنّي لم أتمكّن من جمع كلّ مواقف الحاجّ قاسم سليماني في عمليات تحرير العراق، لكن بهذا القدر أشعر بالفخر بأنّي استطعت تدوين ولو الجزء اليسير منها في هذا الكتاب.

الحشد الشعبي

مديرية الإعلام